المختار

من

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

فبراير ١٩٤٦

بعض ما تقرأ فى عدد مارس سنة ١٩٤٦

عين واحدة تساوي عينين : طبيبة عيون إنجليزية من الثقات تسرد حقائق تطمئن كلّ من فقد إحدى عينيه.

كن أنت القاضي : كيف تفصل فى هذه القضايا القانونية؟ اختبر منطقك ثم قارن بين حكمك وحكم القضاة.

الرجل الذي عامل هملر : قصة عجيبة عن رجل سويدي ولد فى أمريكا ، وكان رئيس الجستابو يثق به ، ووضع الحلفاء اسمه فى القائمة السوداء ، ولكن . . .

قف ... وتأمل : ترياق لتوتر الأعصاب لم يزل مهملا، ومقوٍّ نفسيّ يمهّد لمتع الحياة المتزنة الوافرة.

كنتُ سكيراً : قصة رسالة أنقذت حياة المؤلف ، وعمل الجماعة التي من وراء هذه الرسالة .

قضية السلام : الجزء الثاني من كتاب ، يُعتبر مرحلة خطيرة فى طريق التفكير الدولي السديد . وقد قال فيه الأديب المفكر « كريستوفر مورلي » : لو أمكن تعطيل الصحف والإذاعة يوما واحداً لكانت مطالعة هذا الكتاب أجدى عمل يعمله الناس .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 5, No. 30, FEBRUARY 1946

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات إنجليزيه ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وفنلاندية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون .

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوي ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوي ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العام : باركلي أتشيسون

حقوق الطبع ١٩٤٥ محفوظة لريدرز دايجست أسوسياشن انكوربوريتد . جميع الحقوق ومنها حقوق الترجمة محفوظة للناشر ، فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والمكسيك وشيلي والبلدان المشتركة فى اتفاق حقوق الطبع الدولي واتفاق حقوق الطبع للجامعة الأمريكية . ولا يجوز إعادة طبع شيء من هذه المجلة بغير استئذان الناشرين .

السنة الثالثة

المختار
من
ريدرز دايجست

المجلد ٥
العدد ٣٠

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

فبراير ١٩٤٦

القنبلة الذرية

أينشتين يحدث ريموند سوينج عن رأيه فيها

مختصرة عن مجلة " أتلانتيك منثلي"



إنّ إطلاق الطاقة الذرية لم يخلق مسألة جديدة ، وإنما جعل الحاجة أمس إلى حل مسألة قائمة. فما دامت هناك أمم ذات سيادة تملك قوة عظيمة ، فإن الحرب لا مفر منها عاجلا أو آجلا . وقد كان هذا صحيحا قبل أن تصنع القنبلة الذرية ، فالذى تغير هو مبلغ التخريب الذى تحدثه الحرب .

وقد يقتل ثلثا سكان الأرض فى حرب تستخدم فيها القنبلة الذرية، ولكن لن تمحى المدنية لأنه سيبقى من القادرين على التفكير، ومن الكتب ، ما يكفى للابتداء مرة أخرى، فيستطاع إعادة المدنية . ولكن الضرورة التى تقضى بمنع هذه الحرب ، واضحة .

ولست أرى أن يُباح لروسيا بسر القنبلة ، بل لست أرى أن يباح به لأية دولة ، أو جماعة من الدول ، لأن هذا ، مع ما نحن فيه من فوضى ، ومع خطر الاحتكاك بين الأمم المتنافسة ، لا يؤدى إلا إلى زيادة السرعة فى سباق التسلح ، وهو ما ينبغى أن نقفه إذا أردنا أن نحول دون حرب عالمية أخرى .

إن سر القنبلة ينبغى أن يوكل إلى حكومة عالمية ، وعلى الولايات المتحدة أن تعلن على الفور استعدادها لأن تسلمه إلى حكومة عالمية . وهذه الحكومة تؤسسها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا العظمى ، وهى الدول الثلاث الوحيدة التى لها قوة عسكرية كبيرة . وعلى الدول الثلاث جميعا أن تسلم هذه الحكومة كل ما لها من قوة

عسكرية . وإن اقتصار الأمر على ثلاث أمم ذات قوة عسكرية كبيرة ، جدير بأن يسهل إقامة مثل هذه الحكومة لا أن يصعبها .

ولما كانت أمريكا وبريطانيا تملكان سر القنبلة الذرية دون روسيا ، فإن عليهما أن تدعوا روسيا إلى أن تعد وتقدم المشروع الأول لدستور الحكومة العالمية المقترحة ، وهذا خليق أن يمحو ما يساور الروس من أن سر القنبلة إنما كتم لئلا يقفوا هم عليه . وبديهى أن المشروع الأول لن يكون هو الأخير ، ولكن الواجب هو أن يشعر الروس أن الحكومة العالمية ستكفل لهم الأمن .

وإنه ليكون من الحكمة أن يدور البحث فى دستور الحكومة العالمية بين أمريكى واحد ، وبريطانى واحد ، وروسى واحد . وسيحتاجون إلى مستشارين ، ولكن هؤلاء المستشارين يبدون رأيهم حين يسألون . وأنا أعتقد أن ثلاثة رجال يستطيعون أن يضعوا دستوراً يمكن العمل به ، ويقبلونه جميعا . والأرجح أن ستة رجال أو سبعة أو أكثر يخفقون فى مثل هذه المهمة .

وبعد أن تقرر الدول الكبرى دستوراً ، تدعى الأمم الصغيرة إلى الانضمام إلى الحكومة العالمية ، ويجب أن تكون حرة فى البقاء خارجها ، وينبغى أن تشعر بأنها آمنة إذا فعلت ، ولكنى واثق أنها ستؤثر الانضمام .

وطبيعى أن تُخوّل الحق فى اقتراح تعديل الدستور ، ولكن الدول الثلاث هى التى يجب أن تنظم الحكومة العالمية سواء انضمت إليها الأمم الصغيرة أم لم تنضم .

وينبغى أن تكون لهذه الحكومة العالمية السلطة فى كل الشئون العسكرية ، وسلطة أخرى واحدة ليس إلا هى التدخل فى البلاد التى تضطهد الأقلية فيها الأكثرية ، وبذلك تخلق ذلك النوع من الاضطراب الذى يفضى إلى الحرب . وينبغى أن تعالج أحوالا كالموجودة فى الأرجنتين وإسبانيا ، ويجب أن يكون هناك آخر لفكرة عدم التدخل ، لأن هذا جزء من المحافظة على السلام .

ويجب أن لا تتأخر إقامة هذه الحكومة العالمية إلى أن يتماثل مبلغ الحرية فى كل الدول الثلاث الكبرى ، فإنه وإن كان صحيحا أن الأقلية هى التى تتولى الحكم فى روسيا إلا أنى لا أرى أن الأحوال الداخلية فيها تهدد سلام العالم . ويجب أن نذكر أن الشعب فى روسيا لم يفز بتربية سياسية طويلة ، وأن التغيير اللازم لتحسين الأحوال الروسية كان لابد من أن تقوم به أقلية ، لأنه لم تكن هناك أكثرية قادرة على الاضطلاع بذلك .

وليس من الضرورى عند إقامة حكومة عالمية تنفرد بالسلطة العسكرية أن يحدث تغيير فى الكيان الداخلى للدول الكبرى

الثلاث . وعلى الثلاثة الذين يضعون مشروع الدستور أن يبتكروا الوسائل التي تجعل النظم الثلاثة المختلفة تلتئم في سبيل التعاون .

وهل تراني أخشى استبداد حكومة عالمية؟ بالطبع أخشى ذلك ، ولكنني أشد خوفاً من نشوب حرب أو حروب أخرى . وكل حكومة لابد أن تكون سيئة إلى حد ما ، ولكن قيام حكومة عالمية أفضل من ذلك الشر الأعظم الذي تنطوي عليه الحروب الذرية . وإذا لم تقم حكومة عالمية كهذه بالاتفاق ، فإني أعتقد أنها ستقوم على أي حال وفي صورة أشد خطراً ، فإن الحروب ستنتهي بسيادة دولة واحدة وسيطرتها على بقية العالم بقوتها العسكرية الساحقة .

والآن يملك الأمريكيون والبريطانيون سر الذرة ، وعليهم أن يوضحوا بأسرع ما يمكن أنهم لا يحتفظون بسر القنبلة التماسا للقوة ، بل رجاء توطيد السلام بواسطة حكومة عالمية يبذلون أقصى ما في وسعهم لإيجادها .

وأنا أدرك أن هناك قوما يوافقون على أن الحكومة العالمية هي الهدف الأخير ، ولكنهم يؤثرون الوصول إليها تدريجا . ولكن آفة الخطو الوئيد هو أن الأمم التي تملك القنبلة تظل في أثناء ذلك محتفظة بسريتها ، دون أن تقنع من لا يملكونها ما سوّغ كتمان السر . وهذا وحده يخلق المخاوف والشكوك ، وتكون العاقبة أن تسوء العلاقات بين الدول المتنافسة إلى حد خطر . فبينما يظن الذين لا يخطون إلا خطواً وئيداً أنهم يدنون من السلام العالمي ، يكون الواقع أنهم يساعدون على إثارة الحرب التالية . وليس هناك وقت نضيعه في هذه الطريق ، فإذا أريد منع الحرب فإن العمل ينبغي أن يكون سريعا .

وليس من الميسور أن يطول الاحتفاظ بسر القنبلة الذرية . وقد قيل إن دولاً قليلة فقط هي التي تملك المال الكافي لصنع القنبلة ، ولكن جميع الدول التي تملك الموارد والرجال تستطيع أن تصنعها إذا شاءت ، لأن الأمر يتطلب الرجال والموارد والعزم على استخدام ذلك ، لا المال .

ولست أعد نفسي صاحب الفضل في إطلاق الطاقة الذرية ، فقد كان جهدي في ذلك غير مباشر ، بل أنا في الواقع لم أكن أتوقع أن أشهدها في حياتي ، وإنما كنت أعتقد أن هذا ممكن من الناحية النظرية . وإنما أمكن ذلك عملياً بفضل اكتشاف وصل إليه مصادفة « هان » في برلين وهو التفاعل الذرّي المسلسل ، وقد أساء هو فهم ما اكتشف ، وكانت ليز مايتنر هي التي اهتدت إلى التفسير الصحيح وفرت من ألمانيا لتضع ما اهتدت إليه تحت تصرف العالم

الدانمركي نيلز بوهر الذى حمله إلى الولايات المتحــدة .

ولست أعتقد أن عصراً مجيداً للعلم الذرى يمكن تهيئته « بتنظيم » العلم على نحو تنظيم الشركات الكبيرة . فإننا نستطيع أن ننظم تطبيق اكتشاف حدث ، ولكنا لا نستطيع أن ننظم عمــل كشف ، وإنما يســتطيع الكشف فردٌ حرٌّ . وهل يسعك أن تتصور هيئة من العلماء منظمة تصــل إلى الاستكشافات التى وفق إليها داروين ؟

ولست أعتقد كذلك أن شركات حرة كبيرة تصلح أن تكون أمينة على التطور الذرى . ويجب أن تحتفظ الحكومة بالسيطرة على الطاقة الذرية ، لا لأن الاشتراكية مرغوب فيها بالضرورة ، بل لأن الطاقة الذرية حصلت عليها الحكومة . وليس مما يُتصور أن يعطى هذا الذى هو ملك للأمة إلى أفراد أو جماعة من الأفراد . أما من حيث الاشتراكية فإنها إذا لم تصبح دولية بحيث تستطيع أن تثمر قيام حكومة عالمية لها الســيطرة على كل قوة عسكرية ، فإنها قد تكون أشد استثارة للحروب من الرأسمالية ، لأن تركيز القوة في ظلها أعظم .

ومن المستحيل أن نتكهن متى يتيسر استخدام الطاقة الذرية فى الأغراض النافعة . والمعروف الآن هو كيف نســتخدم قدراً كبيراً إلى حد ما ، من اليورانيوم . وليس فى الوسع أن يتكهن المرء متى يســتطاع الوصول إلى استخدام مقادير صغيرة تكفى مثلا لتسيير سيارة أو طيارة . وما من أحد يستطيع أن يتكهن بإمكان الاهتداء إلى مواد أكثر شيوعا من اليورانيوم لاستخدامها فى الحصول على الطــاقة . والمفروض أن مثل هذه المواد ستكون عناصر ذات ثقل ذرى عظيم ، وهى قليلة نوعاً ما . فمع أن إطلاق الطاقة الذرية سيكون نعمة كبيرة على البشر ، إلا أن هذا لن يتحقق إلا بعد زمن ما .

وليست لى موهبة البيان الذى يقنع عدداً كبيراً من الناس بإلحاح المسائل التى تواجه الجنس الإنسانى الآن ، والحاجة الماسة إلى حكومة عالمية . ولهذا أنوّه بكتاب « قضية السلام » وهو كتاب يمتاز صاحبه بالبصر والوضوح والإيجاز والقوة * .

وليست الطاقة الذرية فى الوقت الحاضر نعمة على البشر ، بل هى نقمة . ولعل هذا من الخير ، فقد تروّع البشر وتكرههم على تنظيم شئونهم الدولية ، وهو ما لن يفعلوه إلا بالترهيب والخوف .

(*) باب الكتب فى هذا الجزء من المختار ، صفحة ١٠٥

قصة تشوق الصغار والكبار

أقمارٌ متعدِّدة

جيمس ثربر
مختصرة عن كتاب بهذا العنوان

يحكى أن أميرة صغيرة اسمها لينور كانت تعيش في مملكة تتاخم البحر، وكانت في العاشرة من عمرها، وتخطو إلى الحادية عشرة، فأكلت ذات يوم فطيرة محشوة بالفراولة، فبَشِمت، وألزمتها التخمة الفراش.

وجاء طبيب القصر ليراها، فقاس حرارتها وجس نبضها وفحص لسانها، فأدركه عليها القلق، وبعث يطلب أباها الملك ليراها.

قال الملك لابنته: «سآتيك بما يشتهيه قلبك أيا ما كان، فماذا تشتهين؟»

قالت الأميرة: «نعم، أريد القمر، فإن نلت القمر عوفيت».

وذهب الملك إلى مقصورة العرش فجذب حبل الجرس ثلاثاً طوالا وأخرى قصيرة، فدخل عليه كبير الأمناء، وكان رجلا ضخما بديناً يلبس نظارات سميكة، جعلت عينيه تبدوان أوسع مما هما في الحقيقة مرتين، وأضفى هذا على كبير الأمناء مظهراً جعله يبدو أعقل مما هو في الحقيقة مرتين.

قال الملك: «أريد أن تأتي للأميرة لينور بالقمر، فإنها إن نالته عوفيت، أحضره لها الليلة أو غداً على الأكثر».

فمسح كبير الأمناء جبينه بمنديل، ثم نثر أنفه فيه بصوت مرتفع ثم قال: «لقد جلبت لك يامولاي طوال عهدي عدداً عديداً من الأشياء، ومن المصادفة أن تكون معي قائمة بهذه الأشياء». وأخرج من جيبه رَقًّا طويلا، نظر فيه وقال وهو عابس: «دعني أحصها الآن. لقد أتيتك بالعاج والنسانيس والطواويس واليواقيت وحجارة عين الهرّ والزمرد، وخصى الذئب السود (من زهور الأوركيد) والفيلة الحمر، والكلاب الزرق، وألسنة الطيور الطنانة، وريش الملائكة وقرون الكركدنّ، والمردة والأقزام، وحور البحار، واللبان الذكر والعنبر والمر، ثم برطل من الزبد، وأربع وعشرين بيضة، وغرارة من السكر

كلا يا مولاى وأنا آسف ، فإن زوجتى هى التى كتبت هذا هنا » .

قال الملك : « لا بأس ، فما أبتغيه الآن هو القمر » .

فقال كبير الأمناء : « القمر محال لا ينال ، إنه يبعد عنا ٢٣٥٫٠٠٠ ميل ، وهو أكبر من مخدع الأميرة ، وفضلا عن ذلك فهو مصنوع من ذوب النحاس ، وليس فى طاقتى أن آتيك به . إن شئت الكلاب الزرق فنعم ، أما القمر فهيهات ! »

واستشاط الملك غضباً فأمر كبير أمنائه أن يخرج من المقصورة ويبعث إليه بساحر القصر . وكان الساحر رجلا ضئيلا نحيلا طويل الوجه ، وعلى رأسه قلنسوة عالية لها عذبة حمراء محلاة بنجوم من فضة ، وعليه طيلسان طويل أزرق موشى بالبوم المذهب ، فلما أخبره الملك أنه يريد القمر لبنته ، وأنه قد اصطفاه ليأتيه به ، انتقع لونه.

قال الساحر : « لقد صنعت لك كثيراً من السحر طوال عهدى يا مولاى ، ومن المصادفة أن يكون فى جيبى سجل لما أتاك به سحرى ، فدعنا نلق عليه الآن نظرة . لقد عصرت لك الدم من اللفت وجعلت الدم لفتاً . وأخرجت الأرانب من قبعات الحرير وقبعات الحرير من الأرانب . وصنعت لك الزهر والدفوف والحمام من العدم برقاى ، وصنعت لك العدم من الزهر والدفوف والحمام. وقد آتيتك باليراع الغوّاص ، والعصى المسحورة ، وأكر البلور تستشف فيها المستقبل ، وحبوتك بالمزيج الذى صنعته بيدى من خانق الذئب (نبت سام) وعنب الثعلب (نبت سام) ودمع النسور ، ليذود عنك الشياطين والنفاثات فى العقد ، وما هب أو دب فى الظلام . وقد منحتك بساط الريح والمسة التى تحيل ما مست إلى ذهب ، والطيلسان الذى يخفى لابسه عن الأبصار ».

قال الملك : « إن هذا الطيلسان المسحور لم ينفع فتيلا . فقد كنت أتعثر بكل شىء . كما كنت قبل أن أرتديه » .

فقال ساحر القصر : « إنما أردت بالطيلسان أن يخفيك عن الأبصار ، لا أن يقيك العثار » ثم عاد ينظر فى السجل ويقول : « وقد جلبت لك الأبواق من أرض العفاريت ، والرماد المنوم من بلاد النوم ، وجئتك بالذهب من قوس قزح . وفضلا عن ذلك جئت ببكرة خيط وورقة إبر ، وقطعة من شموم العسل . كلا وأنا آسف يا مولاى ، فهذه أشياء كتبتها زوجتى كى آتيها بها » .

قال الملك : « إن ما أبتغيه منك الآن هو أن تجيئنى بالقمر ، فإن الأميرة لينور تريد القمر ، فإن نالته تماثلت للشفاء » .

فقال ساحر القصر : « ليس فى مقدور أحد أن يأتى بالقمر ، فإنه يبعد عنا ١٥٠٫٠٠٠ ميل ، وهو مصنوع من الجبن الأخضر ، وهو أكبر من هذا القصر ضعفين » .

وعاد الملك فاشتعل غضباً ، وأمر الساحر أن يعود إلى كهفه، واستدعى حاسب الملك، وكان أصلع قصير النظر ، على رأسه قلنسوة وعلى أذنه قلم .

قال له الملك : « لا أحب أن تتلو على من سجلك الطويل كل ما حسبت لى منذ سنة ١٩٠٧ ، لكنى أريد أن تقدر لى الساعة كيف تأتى بالقمر للأميرة لينور » .

قال حاسب الملك : « سرنى ذكرك يا مولاى لما حسبت لك منذ سنة ١٩٠٧ ، فمن المصادفة أن يكون سجله معى . إنى حسبت لك بعد ما بين الحيص والبيص ، والليل والنهار ، والألف والياء ، وعلمتك مدى « فوق » وغاية « هناك » ومصير ما مضى ، واكتشفت لك طول غول البحر وثمن مالا ثمن له ، ومسطح فرس النهر ، وإنى لأعلم أين تكون حين تضرب الأخماس بالأسداس ، وأعرف كم مفرداً فى الجمع ، وكم من الطيور تستطيع أن تصيده بما فى البحر من أملاح ، وعددها إن كنت تحب أن تعرف ١٨٧٫٧٩٦٫١٣٢ » .

قال الملك : « ليس فى الدنيا هذا العدد من الطيور . وأيا ما كان الأمر، فإن القمر هو بغيتى الآن » .

قال الحاسب : « إن القمر يبعد عنا ٣٠٠٫٠٠٠ ميل ، وهو مستدير ومسطح كقطعة النقد ، ولكنه مصنوع من الحرير الصخرى ، وجرمه كنصف هذه المملكة . وفضلا عن ذلك فهو لاصق بالسماء ، وما من أحد يستطيع أن يأتيك به » .

وتلظى الملك غضباً من جديد وطرد حاسب القصر ، واستدعى مضحك البلاط ، فجاء يحجل إلى مقصورة العرش بطرطوره وجلاجله ، وجلس تحت قوائم الكرسى .

« ماذا أستطيع أن أصنع فى مرضاتك يا مولاى ؟ »

قال الملك وهو محزون : « إن الأميرة لينور تريد القمر ولن تبرأ حتى تناله ، ولكن ما من أحد يستطيع أن يأتيها به . وما سألت أحداً أن يأتينى بالقمر إلا رأيته يزيده ضخامة وبعداً . أما أنت فما تستطيع أن تصنع لى إلا أن تعزف لى لحناً محزناً على قيثارك » .

فسأله مضحك البلاط : « وما الذى قالوه عن حجم القمر وعن بعده ؟ »

قال الملك : « يقول كبير الأمناء إنه يبعد ٣٥٫٠٠٠ ميل، وإنه أكبر من مخدع الأميرة.

ويقول ساحر القصر إنه يبعد ١٥٠٠٠٠ر١٥٠ ميل ، وإنه أكبر من هذا القصر ضعفين . ويقول حاسب القصر إن بعده ٣٠٠٠٠٠ر٣٠٠ ميل وإن حجمه نصف حجم هذه المملكة » .

وعزف مضحك البلاط على قيثاره لحظة ثم قال : « كلهم ذوو حكمة وعقل ، وإذن فينبغى أن يكونوا على حق ، وإذا كانوا على حق فيجب أن يكون القمر من حيث جرمه وبعده على مقدار ما يقدر كل إنسان . فعلينا أن نعرف كيف تقدر الأميرة حجمه وبعده » .

قال الملك : « لم يخطر لى ذلك قط على بال » .

« سأذهب فأسألها يا مولاى » .

وفرحت الأميرة لينور لرؤية مضحك البلاط ، ولكن وجهها كان شديد الشحوب وكان صوتها بالغ الضعف .

سألته : « أجئتنى بالقمر ؟ »

قال مضحك البلاط : « لم أفعل بعد ، ولكنى سآتيك به الساعة . ما حجم القمر فيما ترين أنت ؟ »

قالت : « هو أصغر من ظفر إبهامى بقليل ، فهو يكاد يستره حين أرفعه فيكون بينى وبينه » .

فسألها مضحك البلاط : « وما بعده هناك فيما تقدرين ؟ »

قالت الأميرة : « إنه ليس أبعد من تلك الشجرة الضخمة التى تجاور نافذتى ، فهو يعلق بأغصانها العليا فى بعض الأحيان » .

قال مضحك البلاط : « سأتسلق الشجرة الليلة عندما يعلق القمر بأغصانها العليا وآتيك به » ثم ذهب فكره إلى شىء آخر فقال : « ومن أى شىء صنع القمر يا مولاتى ؟ »

قالت : « أف لك ، إنه من الذهب أيها الأبله » .

وذهب مضحك البلاط إلى صائغ القصر فأمره أن يصنع قمراً صغيراً من الذهب أصغر من ظفر إبهام الأميرة لينور بقليل ، وأن يعلقه فى سلسلة من الذهب تستطيع الأميرة أن تقلد بها جيدها .

وقال صائغ القصر : « ترى ما هذا الذى صنعته ؟ »

قال مضحك البلاط : « لقد صنعت القمر ، وإنه هو بعينه » .

قال صائغ القصر : « ولكن القمر يبعد ٥٠٠٠٠٠ر٥٠٠ ميل وهو مصنوع من الشبه على هيئة كرة من الزجاج » .

فقال مضحك البلاط : « ذلك ما تتصور » وتركه وانصرف وهو يحمل القمر .

وذهب بالقمر إلى الأميرة فاستخفها الفرح ، وأبلّت فى اليوم التالى ، واستطاعت أن تخرج إلى حدائق القصر لتلعب .

ولكن الملك رأى أن القمر سيعود

الليلة فيتلألأ فى السماء ، ولو رأته الأميرة لأدركت أن القمر المعلق فى قلادة جيدها قمر مزيف . فقال لكبير الأمناء : «يجب أن نحول بين الأميرة وبين رؤية القمر الليلة ، فانظر ماذا ترى ؟ »

ونقر كبير الأمناء على جبينه بأنامله ثم قال : « نصنع لها نظارة زجاجها أسود ؟ »

فتميز الملك غضباً وقال له : « لو لبست الأميرة نظارة سوداء لما أمنت العثار ، ثم تعاودها العلة » . فاستدعى ساحر القصر فركع له وسجد ثم استوى قائماً وقال :

« إنى أعرف ما يجب أن نصنع . لننشر ستاراً من المخمل الأسود على عمد ، تغطى حدائق القصر كلها كأنها خيمة » .

وبلغ الغضب بالملك حتى حرك ذراعيه وقال : « إن الأستار السود تمنع الهواء فتعاودها العلة » ، ونادى حاسب القصر .

وجاء حاسب القصر فجعل يمشى ويدور ثم يمشى مستقيما ثم يعوج ، ثم وقف لا يتحرك وقال : « لقد وجدتها ، فلنطلق الصواريخ فى حديقة القصر كل ليلة ، ولنجعل فيها عدداً من النوافير تمج من أفواهها الفضة ، وأسهما من نار ترمى بالذهب ، فإذا انطلقت كلها ملأت السماء لهبا وجعلت الليل كضوء النهار ، فلا تستطيع الأميرة أن ترى القمر » .

واشتد الحنق بالملك حتى أخذ يقوم ويقعد ثم قال : « إن الصواريخ سترد النوم عن الأميرة فتمرض ثانية » ثم طرد الحاسب .

فلما صعد ببصره فى جو السماء رأى الليل قد أرخى سدوله ، وبدا حاجب القمر يطل من الأفق فوثب من مجلسه مذعوراً ، ونادى مضحك البلاط فقال له « اعزف لى لحناً شجياً مبكياً ، فهذه الأميرة سوف تعود مريضة حين ترى القمر » .

وأخذ مضحك البلاط يعزف على قيثاره ، ثم سأله : « ما الذى قال حكماؤك يامولاى؟»

قال الملك : « لقد أعياهم أن يجدوا حيلة تحجب القمر حتى لا ينتاب الأميرة المرض» .

فعزف مضحك البلاط أغنية أخرى رخيمة ، ثم قال : « مادام حكماؤك يامولاى قد عجزوا عن أن يحجبوا القمر ، فتلك آية على أن القمر لا يمكن أن يحجب . ومع ذلك فمن ذا الذى علمنا كيف نأتى بالقمر ؟ إنها الأميرة لينور ، فالأميرة إذن أعلى رأياً من كل رجالات الحكماء ، وهى تعرف من أمر القمر ما لا يعرفون ، فدعنى أسألها يا مولاى » وقبل أن يحبسه الملك عن الخروج تسلل من مقصورة العرش ، وارتقى السلم الواسع المصنوع من المرمر ، الذى يؤدى إلى مخدع الأميرة لينور .

كانت الأميرة راقدة فى فراشها يقظى ، وهى ترمق القمر المضىء فى السماء ثم ترد

بصرها إلى القمر المضيء في يدها والذي جاء بها به مضحك البلاط ، وكان على وجهه مسحة الحزن والأسى ، وفي عينيه دمع يترقرق .

وقال بصوت حزين : « نبئيني يامولاتي : كيف يكون القمر في السماء يتلألأ وها أنذا أراه يتدلى من قلادة في جيدك ؟ » .

فنظرت إليه الأميرة ضاحكة ثم قالت : « ما أيسر هذا أيها الأبله ! إني إذا ماخلعت سناً نبتت لي مكانها سن جديدة ، أليس كذلك ؟ وإذا قطف البستاني زهراً من البستان ، أليس يحل محله زهر جديد ؟ »

قال مضحك البلاط : « لقد كنت خليقاً أن أدرك هذا ، فهو نفس ما يحدث لضوء النهار » .

قالت الأميرة : « وهو نفس ما يحدث للقمر ، بل إني لأحسبه نفس ما يحدث لكل مخلوق » وأخذ صوتها يخفت حتى خفي ، فعرف مضحك البلاط أنها نامت ، فلفها في غطائها مترفقاً .

ولكنه قبل أن يغادر المخدع يمم شطر النافذة فغمز للقمر بعينه ، إذ خيل لمضحك البلاط أن القمر يغمز له بعين وحاجب !



غازل كلَّ امرأة تلقاها ، فإن لم تصب إلاَّ
في خمس مرَّات من مئة ، فحسبك بما نلت ربحا .
[يوميات أرنولد بنيت]



الجزع قتال

يروى العرب أن « الوباء » لقي قافلة في طريقها إلى بغداد ، فسأله شيخ القافلة : وفيم أنت مسرع إلى بغداد ؟

فقال الوباء : لأحصد ٥٠٠٠ نسمة .

فلما قفل الوباء راجعاً من المدينة ، لقي القافلة مرة ثانية ، فقال الشيخ ساخطا : إنك خدعتني ، فقد حصدت خمسين ألفا بدلا من خمسة آلاف !

فقال : كلا . لم أحصد سوى خمسة آلاف ، أما الجزع فهو الذي قتل البقية .

[موريس دوهامل في كتابه « إننا لا نخاف »]

« لماذا تكون فريسة لاختلاف شعورك؟
إليك طريقة لتحويله إلى خيرك »

علة الابتهاج والاكتئاب

ميرون ستيرنز • مختصرة من مجلة "رد بوك"

يعرف علماء النفس من سنين، كما تعلم أنت، أن الناس تختلف استجابتهم فى الأيام المختلفة للأمر الواحد. ففى يوم يكون الرئيس منشرح الصدر، فلا تثقل عليه الأخطاء الصغيرة التى تقع فيها سكرتيرته، وفى أيام أخرى يجب أن يكون عملها بالغاً غاية الإحكام وإلا صب عليها حام غضبه. وكل أم تعرف أن ابنها يكون فى بعض الأيام عطوفاً مطيعاً، وفى بعض الأيام الأخرى يبدو كأنما ركبه عفريت. ويكون زوجك ذات صباح مرحاً يغنى فى الحمام، وأحياناً يكون متجهماً.

وانتقال الحال بالإنسان من الابتهاج إلى الكآبة أمر مألوف. وأنت تسلم بأنه إذا ساء حظك، ساءت حالتك النفسية، وأن النبأ السار يرفعك إلى الذروة. وأنت على يقين من هذا.

ولكن العلم يجىء الآن فيقول لك إنك مخطىء، فإن الدكتور ريكسفورد ب. هيرسى بجامعة بنسلفانيا، وقد ظل يدرس الارتفاع والهبوط فى المشاعر الإنسانية أكثر من سبعة عشر عاماً، قد وجد أن ارتفاع الحالة النفسية وهبوطها يتواليان بانتظام يكاد يكون كانتظام المد والجزر. وأن الظروف الخارجية إنما تقدم أو تؤخر قليلا هذه الفترات المنتظمة للابتهاج أو الكآبة. فالخبر الطيب لا يرفعك من وهدة الكآبة، وإنما يتيح لك نشوة وجيزة. وعلى العكس من ذلك يكون النبأ السيىء أقل ابتعاثاً لك على الكآبة، إذا كانت حالتك الشعورية « عالية ». وبعد نحو ٣٣ يوماً من ارتفاع حالتك النفسية الخاصة أو هبوطها، تلفى نفسك على الأرجح فى مثل هذه الحالة، لأن هذا هو الطول الطبيعى « للدورة الشعورية » الإنسانية.

وقد أدى بحث الدكتور هيرسى فى خير أحوال العمل فى مصانع الإصلاح للسكك الحديدية، إلى الاهتداء إلى الدورات الشعورية فى سنة ١٩٢٧، فقد جعل يختبر أحوال ٢٥ من العمال فى هذه المصانع أربع

مرات فى اليوم ، وظل على هذا أكثر من عام ، ووضع رسوماً بيانية اعتمد فيها على ما يقولون وكيف يعملون ، وأحوالهم الصحية ، والنفسية .

وسرعان ما أدهشه أن يجد أن الرسوم صارت متشابهة . ففى أسبوع من كل فترة ، يكون كل عامل أسوأ من حيث الحالة النفسية منه فى بقيتها . ووجد أن الفترات مطردة على نحو عجيب . وبين نقط الهبوط يوجد ارتفاع إلى حالة نفسية عالية نسبياً .

وقد فقد رجل ذراعه فى حادثة سيارة ، ووافق ذلك فترة الابتهاج عنده ، فكان فى الأسابيع الأولى فى المستشفى مرحاً . وكان يقول : « ليس فى الوسع أن تبقى رجلا كفؤاً فى الحضيض ، وربما استطعتُ الحصول على عمل يكون خيراً مما كنت فيه » .

وقد جرى الأمر على هذا النحو تماماً ، فلما عاد إلى العمل أسندت إليه وظيفة مشرف وزادت سلطته وأجره عما كان له من قبل ، ولكن نفسه كانت قد تحولت إلى الهبوط ، فبدلاً من أن يسره ما فاز به ، بلغ من انكسار نفسه أن فارق خطيبته ، وهى فتاة جذابة كانت تحبه حباً صادقاً وقال : « إنها ستندم ، فما زادت على أن كانت تعطف على » .

وقد زعم عامل ميكانيكى كهل أنه ليس عرضة لتغير الحالة النفسية ، وكان يقول : « إنى مرح دائماً » ، ولكن رسم الدكتور هيرسى دل على أنه فى كل أسبوع خامس تقريباً يكون أكثر نقداً لرؤسائه ، ويأبى أن يمازح رفقاءه ، وينفر من الكلام مع أى إنسان .

وكان العمال ، بلا استثناء تقريباً ، لا يفطنون إلى أى تغيير خاص فى أنفسهم ، وكانوا يظنون أن الأحوال الخارجية هى التى يرجع إليها ما يعروهم . وكان السبب فيما يحسون من سوء حالتهم النفسية يبدو لهم دائماً قريباً ومعقولا ، فهو مثلا كان سيء النوم فى ليلة ، أو حدث بينه وبين زوجته خلاف ، أو كان الجو رديئاً .

وأراد هيرسى أن يتوسع فى فهم الأسباب التى تدعو إلى تغيير حالتنا النفسية ، وكيف نحسن استخدام هذا المد والجزر الدائمين ، فأقبل على نفسه يدرس فترات ابتهاجه وانكسارها بتفصيل واف .

فما لبث أن وجد أنه فى فترات الانكسار يكون أكثر تدقيقاً وأسرع انفعالا ، وأشد زهداً فى الكلام مع الناس . وقد رتب أمره بحيث ينصرف فى فترات الاكتئاب إلى البحث ، ويجتنب كل ما يحتاج إلى الثقة بالنفس . أما فترات الابتهاج فجعلها للاستشارات والمحاضرات .

ثم أجرى فحصاً طويلا عن حالته الجسمية ،

ليقف على القواعد الطبيعية لما يعتريه من التغير الشعورى . واستعان بالدكتور ميشيل . ج . بنيت ، الإخصائى فى الغدد الصم بمستشفاه فى فيلادلفيا ، فجعله يفحص عنه فحصاً دقيقاً كل أسبوع مدة عام .

فوجد أن العمل والإفراز فى غدته الدرقية وغدته النخامية وكبده وغيرها يختلفان اختلافاً بيناً بين أسبوع وأسبوع ، وأن عدد كريات دمه الحمر ومادة الكولسترول فى الدم ، لها دورات نشاط خاصة بها ، وأن إفراز الغدة الدرقية ، وهى التى يرجع إليها أكثر مما يرجع إلى سواها نظام « الدورة الشعورية » ، يتحول من الانخفاض إلى الارتفاع ، ثم يكر راجعاً فى مدة تتراوح بين أربعة أسابيع وخمسة أسابيع . وقد استقر رأى هيرسى وبنيت على أن كل العوامل المختلفة توجد دورة « طبيعية » يختلف طولها من ٣٣ إلى ٣٦ يوماً .

وهذه الدورة الشعورية فى أساسها ، عبارة عن إنتاج عام للنشاط واستخدامه ، ولكن إنتاج النشاط واستخدامه لا يسيران متحاذيين تماماً . فنحن أولا ننتج تدريجاً من النشاط أكثر مما نستنفد ، فنزداد ابتهاجاً ونصبح أكثر نشاطاً وأقوى روحاً . ومن هنا نروح نستهلك من النشاط أكثر مما ينتج كياننا ، ويظل الحال كذلك إلى أن يحدث استنفاد النشاط الزائد عن الحاجة ، رد فعل فنهبط هبوطاً حاداً فى الأغلب ، ونشعر بالتعب والاكتئاب وضعف الأمل .

ونحن نشعر مدة ما بأننا على خير حال . وفى الذروة ، بعد أن تأخذ فى النقصان ذخيرتنا من النشاط الذى أنتج لخير الأحوال . وعلى العكس نشعر بالانكسار مدة ما ، بعد أن تكون عملية الإنتاج قد استؤنفت . فحين يكون كل شىء داعياً إلى اليأس ، نكون فى الواقع قد درنا وأخذنا بأسباب النشاط .

وتوسع الدكتوران هيرسى وبنيت فى درس الناس وملاحظتهم ، فانتهيا إلى أن الاختلافات التى تطرأ على دورة الثلاثة والثلاثين يوماً راجعة على الأكثر إلى نشاط غير مألوف فى الغدة الدرقية . فإذا كانت غدتك الدرقية بالغة النشاط ، فإن دورتك قد تقصر إلى ثلاثة أسابيع ، وإذا كانت غدتك الدرقية قليلة الإفراز ، فإن دورتك قد تكون أطول من المتوسط بعدة أسابيع . وقد لاحظ هيرسى أن دوراته الشعورية تميل إلى الطول مع ارتفاع سنه . وهو يقول إنها الآن أطول بثلاثة أيام مما كانت قبل عشرة أعوام .

ولا يبدو أن هناك فرقاً فى طول الدورة

بين الرجال والنساء ، ولكن النتائج فيما يتعلق بالمرأة تضطرب من جراء دورة الحيض التي تحدث هي أيضاً تغيراً في الحالة النفسية. فإذا اتفق وقت الهبوط الناتج عن دورة الحيض ووقت الهبوط الناتج عن الدورة الشعورية الأساسية، فقد تنشأ حالة سيئة من الاضطراب العصبي أو القلق. ويعتقد هيرسي وبنيت أن كثيراً من حوادث الطلاق التي لم تكن تدعو إليها ضرورة ، وقعت في مثل هذا الوقت .

وفي وسعك أن تدرك مبلغ خطر هذه الحقائق فيما يتعلق بك شخصياً ، فأنت تستطيع أولا أن تلطف من سوء الوقع الذي تحسه لأية صدمة وقتية ، أو أي قلق تحسه من ناحية المستقبل، حين تكون مكتئباً أو منكسراً، وذلك بأن تدرك أن اكتئابك قد يكون طوراً طبيعياً جداً لا يلبث أن تتلوه أيام أو أسابيع أكثر طولا من الاستبشار والثقة . فإنه مهما يبلغ من سوء الحالة في نظرك ،فإنه لا مفر لك من أن تحس أنك أصبحت أحسن حالا وأطيب نفساً .

ثم أنك تستطيع أن تجعل بالك إلى دوراتك الشعورية، لتعرف متى تكون فترات الابتهاج والانكسار ، وما عليك إلا أن تضع على التقويم علامة على الأيام التي تشعر فيها بالابتهاج أو الاكتئاب غير العادي . وأيام الاكتئاب أدق دلالة من فترات الابتهاج، لأن فترات « السعادة » أطول في العادة ، أما فترات الانكسار فيندر أن تزيد على بضعة أيام أو أسبوع ، وهي في العادة تجيء بانتظام .

وبعد أن تعرف متى تنتظر أن تعروك فترات المد والجزر في شعورك ، يسعك أن تنتفع بذلك فترتب عمالك بعقل وحكمة . ففي فترات الابتهاج يرجح أن تنشطك الأعمال الصعبة ، أما في فترات الانكسار فيرجح أن تنهزم أمامها وتتضعضع، وقد تجد نفسك قادراً ، بعد شيء من التجريب ، على إفراد فترات النشاط للأعمال العسيرة الإنشائية ، أما عند هبوط الدورة ، فإن قدرتك على الملاحظة والتنسيق والتذكر تكون أقل ، وتكون أنت أكثر تعرضاً للخطأ أو الحوادث . وهذا هو الوقت الذي تحتفظ به للعمل السهل الممل .

وثم خطر عظيم هو أنه في فترة الهبوط تبدو الأزمات الصغيرة ذات شأن ليس لها ، وفي هذا يقول الدكتور هيرسي: « احرص على أن لا تدع الهموم الهينة تتجسم، لا لسبب سوى أنك تشعر بانكسار » .



« ظل النفوذ الروسى يمتد غرباً ، ويمثله هذا الداهية المتوقد الذى يحكم اليوم يوغوسلافيا »

تيتو :
صورة من صميم الحياة

تمبل فيلدنج

مختصرة من مجلة "هاربرز"



كتب عن تيتو لغوٌ كثير وهراء ، وأغلبه من تلفيق صحافة أحزاب اليسار التى تريد بدهاءٍ أن تستغل هوى النفوس إلى قصص الفروسية الرائعة، فتروى لقرائها أساطير عن ثوّار شجعان ، يتدفقون من قمم الجبال ، ثيابهم رثة ، تبرق من بين أسنانهم الخناجر ، يجاهدون فى سبيل تحرير وطنهم العزيز يوغسلافيا . وأكثر هذا باطل وتدليس .

ولدينا ثلاث حقائق واضحة كل الوضوح هى : الرجل ، وماضيه ، وبرنامجه .

أما الرجل فهو جوزيب بروز تيتو مارشال يوغسلافيا ، والقائد الأعلى لجيش تحرير الوطن ، والسكرتير العام للحزب الشيوعى ، وهو يتلهب همة ونوقداً ، ولا يضاهيه فى نشاطه سياسى آخر فى البلقان ، وله شخصية ساحرة جذابة ، فهو يبتسم ، ويروى لك نادرة مضحكة ثم يصافحك ، ثم يسحرك حديثه فإذا بك ترى الأحمر قد انقلب أمام عينيك بياضاً . ولقد قضيت فى مقرّ قيادته بضعة أسابيع ، وراقبته وهو يتحدث إلى كبار زوّاره من الإنجليز والروس والأمريكيين ، فلم أر سحره يخيب مرة واحدة .

ولما ذهبت إلى الجبال توقعت أن أقابل جلفاً جافياً من قطاع الطريق أو من عصابات الثوار ، فإذا بى أرى رجلا نبيلا من هيئة أساتذة الجامعات لاتنقصه نظاراتهم الكبيرة . وهو فى الثالثة والخمسين من عمره ، رَبْعة مفتول العضل ، رخيم الصوت أنيق الحركة ، مهذب الإشارة — يتضرم فى عينيه الزرقاوين حب الاستطلاع ، وتتهافت حلقات من شعره الأشهب على أذنيه ، يعده أمثالنا فى حاجة دائمة إلى الحلاق .

وأغلب صوره التى نشرت دعاية له ،

فتى الصائغ تمبل هـ . فيلدنج ، أشهراً كثيرة فى يوغسلافيا عضواً فى البعثة الأمريكية الحربية المستقلة ، فعرف تيتو وشعبه معرفة وثيقة .

تظهره فى سحنة الرجل الفعّال فى جدّه وتجهمه وقسوته ، والواقع أن ابتسامه أكثر من عبوسه ، وله سحر يسرى ويسبى القلوب ، وهو يحب أن يمزح ولكنه خشن الدعابة . ودعيت مرة إلى مأدبة رسمية ، فلما ذهبت أجلس خرّ الكرسى من تحتى ، وإذا بى أهوى وأنحط على الأرض . فأخذ تيتو يقهقه بملء فيه ، كأنه يشهد أحد أفلام ميكى ماوس .

وهو أبعد ما يكون عن التقشف والزهد ، فهو يحب الطعام حب النهم ، ويغرم بالخمر غرام المدمن ، فتراه فى الظهر كما فى نصف الليل يعب عباً فى نبيذ قوى شائع فى يوغسلافيا ولا يؤثر فيه ، وهو إذا شرب تحية جليسه رفع كأسه وقال : «على جرعتين» فلا يكون لصحبه مفرّ من أن يجاروه . وهو يسرف فى مآدبه ، ويحسن اختيار ألوان الطعام ، وترى مائدته وهو فى أغوار الجبال تضارع مآدب كبار أغنياء المدن ، فصحونها الصينية الفاخرة قد نقش عليها اسمه ، وهو لم يشترها بلا ريب ، بل صادرها .

أما ملابسه الرسمية فأنيقة ولكنها بغير أبهة ، وعلى جانب صدره الأيسر وسام يلمع أنعم به تيتو على تيتو وعلى الجانب الأيمن النجمة الفضية لوسام سوفوروف السوفيتى . ويمشى فى ركابه دائما ضباط حرسه الخاص ، وأولجا . أما هؤلاء الضباط ففتيان من الثوار شفاههم رقيقة ، يذكرونك بالأشرار فى الأفلام البوليسية . أما (أولجا نينشتش هومو) فهى مترجمته الخاصة ، وكيفى . وهى امرأة وهنانة غيداء شامخة الأنف ، لا تخفى ازدراءها للإنجليز والأمريكيين ، فهى لا تترجم إلا ما تراه هى جديراً بأن يسمعه تيتو . أما زوجة تيتو الثانية واسمها هيرتا فهى قروية من سلوفينيا ، ولا تعيش معه فى مقر قيادته .

ويحاول لتيتو أن يتصنع الجهل باللغة الإنجليزية ، وهو طلق اللسان إذا تحدث بأى لغة من اللغات الأربع أو الخمس الأخرى التى يحسنها أكثر من الإنجليزية ، ولكن يفهم من الإنجليزية أكثر مما يقرّ به . وحدث ذات مرة ، بعد أن أفرغنا فى أجوافنا ثلاث كؤوس من ذاك النبيذ ، أن همس ضابط أمريكى باللهجة الدارجة فى بلاده ، يتندر بهذا الشراب القوى ، فما كان من تيتو الذى لم نكن نظن أنه يعرف تلك اللهجة الدارجة ، إلا أن اندفع يضحك مقهقها .

فإذا سمعته يخطب أنكرت خطابته ، فصوته رفيع أغن ، ولكن حماسته الفياضة تتغلب على هذه العيوب ، فهو إذا خطب فتن الجماهير حتى يجن جنونها .

وتيتو يحيط نفسه وحياته الأولى بالكتمان ،

وهـذه نبذ تصور لك صورة عامة لحقيقة أمره :

ولد جوزيب بروز في مقاطعة كرواتيا التابعة اليوم ليوغسلافيا ، وأبوه حـداد ، وأمه قروية ، وكلاهما أميان . وفي سنة ١٩١٤ جنـد في جيش النمسا والمجر ، ولكنه ما لبث أن فر إلى الروس ، فلما أبي أن يحارب في سبيل قيصر روسـيا أرسل إلى معتقل في سيبريا ، ثم أطلق البلاشفة سراحه في سنة ١٩١٧ ، فانضم إليهم ، ومكث ثلاث سنوات يتدرب على حرفة خطيرة — هي حرفة الثورة .

وبرهن تيتو على حسن استعداده لهذه الحرفة ، وفطن الروس من فورهم إلى مقدرته ، فأرسلوه فيما بين سـنة ١٩٢٠ و ١٩٢٣ إلى المدرسة السرية في موسكو حيث يتلقى الطالب الأجنبي (وقوميسار المستقبل) أصول التخريب والثورة على الحكومات الرأسمالية . ولما بلغ الثانيـة والعشرين كان قد وعى دروسه واشتدت قناته ، فعاد إلى كرواتيا وصار زعيم اتحاد عمال المعادن ، وأثار الهيـاج بين رجال السكك الحديدية ، فأدخـلوه السجن في بلغراد . ثم أطلق سراحه بعد خمس سنوات وهو أصلب عوداً وأشـد حقداً ، وأرسخ إيماناً بأن أعداء الشيوعية يجب أن يهلكوا .

وأخذ يبث الدعاية سراً للشيوعية ، وأصبح معروفا باسم تيتو ، وهو الاسم المقابل في اللغة الصربية الكرواتية لاسم الإمبراطور الروماني تيتوس .

ثم تمضي بعد ذلك ١٣ سنة لا نعلم عنه فيها شيئا . وتقول بعض الروايات إنه كان عضواً بارزاً في الكومنترن ، وأكبر رسول لستالين في البلقان . وهم يكذبون الآن هذه الرواية ، وهذا التكذيب له دلالته عند من يتدبرون الحقائق ، فإن الجواسيس التابعين للجيش الروسي تشرف عليهم هيئة سرية بلغ من تكتمها أن الكومنترن ذاته لا يعلم عن أمورها شيئا . ومن الثابت أن «بروز» كان من كبار دعاة الشيوعية ، ومن الثابت أيضا انه لم يكن معروفا في الأوساط الشيوعية المعروفة . ومعنى هذا أنه كان جاسوساً لروسيا السوفيتية . ويعترف تيتو بأنه سافر إلى روسيا السوفيتية سراً مراراً كثيرة فيما بين سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٩ .

وهاجم هتـلر يوغسلافيا في ٦ إبريل سـنة ١٩٤١ ، فهبت إلى السلاح مئات الألوف من أنصار حركة المقاومة لصد الغزاة ، أما تيتو وأنصاره من الشيوعيين فلم يحركوا ساكنا ، ولكن هؤلاء الأنصار هبوا إلى القتال بعد ذلك بشهرين يوم هجمت ألمانيا على روسيا . ويفسر تيتو هـذا التوافق

العجيب بأنه من قبيل المصادفات البحتة، ويعلل التأخير بأنه من الضرورات الحربية، لأنه فيما يزعم لم يكن حتى يومئذ قد استكمل عدته.

وتمزقت يوغسلافيا شيعاً وأحزابا، فهناك أشياع الجنرال ميخائيلوفتش، وحكومة خائنة موالية للألمان يرأسها الجنرال نيدتش، فجمع الأنصار كل قوتهم وسعوا إلى التغلب على بقية الشيع والأحزاب.

وجاس دعاتهم خلال الديار فى أنحاء المملكة كلها وهم يتخفون فى زى الوكلاء التجاريين، والقساوسة وأبناء القرى وربات الدور، واستعانوا بالنداءات والمنشورات والإعلانات، وبمختلف طرق الدعاية التى ثبت نجاحها بالتجربة، فكانوا يقولون: «لسنا من الشيوعيين بل من الوطنيين المحاربين» فانضم إليهم آلاف من أصحاب المتاجر وصغار المستخدمين والمزارعين، بدافع من وطنيتهم، واستجابة لأمثال هذا الشعار: «الحرية للشعب!»، وفى أكتوبر سنة ١٩٤١ حاول زعماء الحركة أن يجربوا تجربة جديدة، فأقاموا ثلاث حكومات جمهورية سوفيتية فى الصرب والبوسنة والجبل الأسود، ولكن الغرس لم يكن قد أثمر بعد، فإن جموع الأتباع رفضوا مبدأ تحويل المزارع إلى ملكيات مشتركة، وأبى الفلاحون أن تنتزع الأرض من أيديهم.

وسرعان ما نشب القتال بين تيتو وميخائيلوفتش، واتهم تيتو ميخائيلوفتش بأنه يعاون الألمان. وهذه تهمة لم أر عليها دليلا واحداً.

وأخذت روسيا تظاهر تيتو وتؤازره، فاشتد ساعده وأصبح أنصاره يشبهون فى مظهرهم جنود الروس، فتحيتهم هى رفع جُمْع اليد (ولكنها ألغيت فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ أى بعد وصول البعثة البريطانية) وبعث الجيش بقوميساريين إلى كافة النواحى «لتهذيب الشعب سياسيا». والعلم الذى ارتضاه تيتو هو علم عليه رسم النجمة الحمراء، وأصبحت كلمة «الرفيق» هى اللقب الوحيد، وعلقت صورة تيتو وستالين جنباً إلى جنب. وما لبث تيتو أن أنشأ هيئة بوليس سرى (أوزنا) على غرار هيئة البوليس الروسى الخفية (أوجيبو).

ورأى البريطانيون النذر سافرة واضحة، وكانوا يدركون أنه لا مناص من تجنب مجافاة روسيا حليفتهم، فتخلوا فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ عن ميخائيلوفتش، ووجهوا معونتهم إلى تيتو. وبعد ذلك بتسعة أشهر حذت الولايات المتحدة حذو بريطانيا. وسرعان ما نضا الأنصار عنهم ثيابهم الرثة، وارتدوا بدلها ثياباً أنيقة من صنع الولايات المتحدة، وأكلوا بدل لحم الخيول مختلف

الأطعمة المحفوظـة ، وجاءهم مدد من المدافع الأمريكية والبريطانيـة ، وأجهزة رادار ، ومن الدبابات والقنابل ، وأرسل ذلك كله إلى جبهة القتال . لقد وقع الأنصار المدقعون فجأة على كنز ثمين ...

أما الشيوخ أهل الفكر من اليوغسلافيين فقد راقبوا تيتو مرتابين ، ولكن الشباب خف إليه فتيات وفتيانا ، حتى صار ربع جند تيتو من النساء ، فتجد فتيات فارعات من القرويات يقاتلن ويأكلن وينمن مع الرجال جنباً إلى جنب . والغريب أن السفاح نادر بين الفريقين ، فقد عمل تيتو على أن يرسخ فى الأذهان أن الفتاة إذا ضبطت وهى متلبسة بالزنا كان نصيبها الضرب بالرصاص .

وربما كانت سن ثلاثة أرباع جنوده لا تزيد عن الخامسة والعشرين ، فقد قابلت ضابط كتيبة فى التاسعة عشرة . وأغلب كبار القواد فى الحلقة الثالثـة من العمر . وقد أنشـأ تيتو للفتيان الصغار هيئة على غرار جمعيات الفتيان فى روسيا ، وجمعيات فتيان هتلر فى ألمـانيا ، فإذا جاوز الفتى منتصف الحلقة الثانية من عمره التحق بالجيش العامل . ولعل اندفاع الشباب هو مرجع ما يتصف به أنصار تيتو من تأجج الحماسة إلى حد الهوس . ولا غذاء لعقولهم يوما بعـد يوم إلا كلمات نابضة بالحماسة من قبيل (الحرية) و (الخلاص من نير الفاشية) . وإذا أرادوا الهتـاف تعالت أصواتهم بكلمة واحـدة يكررونها هى (تيتو . تيتو . تيتو). وهم قلما يفكرون لأنفسهم ، فهم يؤمنون بأنهم يحاربون لنصرة الديمقراطية ، لأن المارشال قد قال لهم ذلك .

وقد وعد حزب تيتو (المسمى جبهة التحرير الوطنى) بتنفيذ برنامج قوامه هذه النقط الأربع . فلنفحصها واحدة واحدة :

١ — تقوم فى يوغسلافيا حكومة تضم ولايات متحدة على قدم المساواة ، بحيث تتمتع كل ولاية بحقوقها الوطنية .

ولكن وزارة يوغسلافيا مؤلفـة على النحو الآتى : تيتو للرياسة والدفاع والقائد الأعلى لجيش تحرير الوطن ، و ٢١ وزيراً من أتباع تيتو و ٤ وزراء من المعارضين المعتدلين . وقد قسمت يوغسلافيا إلى ست ولايات تتمتع كل منها باستقلال داخلى ، وحكوماتها مسئولة أمام وزارة تيتو . وفى خمس من هـذه الولايات تجد أهم مناصب الحكم فى يد فتيان من الشيوعيين ، أما الولاية السادسة — وهى الصرب — فإن تيتو يلاقى فيها أشد ما عهد من معارضة . وأهل الصرب — وهم يمثلون ٥١ ٪ من سكان يوغسلافيا — يأخذون على تيتو أنه

لم يدخل فى جبهة التحرير الوطنى أحداً من زعمائهم فيما قبل الحرب ، وهم يتهمونه بأنه يقتل آلافا من الناس ويسجن مئات الألوف ، وفى يدهم أدلة تدل على صدق قولهم ويأخذون عليه أيضاً أنه أهدر حقوقهم الأساسية . والصرب هى أشد المشاكل التى يعانيها تيتو تعقداً .

أما الذين يظاهرون تيتو فلا يزيدون عن ثلث سكان يوغسلافيا ، وهذا دليل يثبت حقيقة أصبحت مضرب المثل ، وهى أن القلة العاملة المسلحة تستطيع أن تضع يدها على زمام الحكم زمناً طويلا .

٢ — اتباع المبادئ الديمقراطية الحقة فى الحريات والحقوق .

ولكن ما من جهة فى يوغسلافيا تخلو من قوميسار أو بوليس سرى ، ويلقى القبض على كل شخص يرى فى صحبة من لا تنظر إليه الحكومة بعين الرضى ، والإعدام هو عقوبة كل من ينتقد تيتو أو روسيا السوفيتية . وقد أعيد تشكيل المحاكم على غرار مثيلاتها فى روسيا . وقد بلغ عدد من سيق إلى هذه المحاكم فى بلغراد وحدها ٥٠٠٠ نفس .

ولا تأذن يوغسلافيا لرجال الجيش الأمريكى أن يدخلوها ، إلا من تعلم أنه يؤيد سياستها ، وقد يستغرق الظفر بالإذن شهراً كاملا . فإذا دخل الأمريكى يوغسلافيا حرم عليه أن يتصل بالمدنيين فيها وإلا طرد منها فوراً ، وحرم عليه أيضاً أن يبتعد عن مقره أكثر من ٣ أميال إلا بإذن خاص ، ويصحبه دليل من الأنصار ، ليتولى فيما يقولون حمايتـه ، إذ يجب أن لا يطيل الأمريكيون النظر إلى «الديمقراطية» كيف تنفذ فى يوغسلافيا على يد الأنصار .

٣ — حرمة الملكية الفردية .

ويفخر رجال تيتو بأنهم لا ينتزعون شيئاً من أرض الفلاحين ، ويؤكدون أن كل ما يصل إليهم من إمدادات تأتيهم على سبيل التبرع . وهذا حق فيما يتعلق بأتباع الأنصـار ، ولكنه باطل فيما يتعلق ببقية اليوغسلافيين ، وهم ثلثا السكان . وقد رأيت الأنصار يستولون غصباً على ما يريدون من الدور والمصانع والمخازن ، وما عند الناس من متاع وثياب ، فإذا كان المرء غير موالٍ لجبهة التحرير ، جردوه من كافة ما يملكه ولم يتركوا له شيئا .

وهذا المبدأ نفسه متبع فى توزيع الطعام ، فإذا كنت من الأنصار أكلت وإلا هلكت جوعا . وقد رأيت أثناء مقامى فى يوغسلافيا كثيراً من الناس يسقطون على الأرض من نهش الجوع . وقد رفض تيتو أن يأذن

بقدوم بواخر الإسعاف الراسية فى موانىء إيطاليا، وشحنتها على وشك أن تفسد . وقد أصر على أن تطلق يده فى توزيع الإمدادات، فرفضت أمريكا هذا الطلب.

٤ — لا ثورة ولا تغيير فى سياستها الاقتصادية أو الاجتماعية .

فى نوفمبر سنة ١٩٤٤ رأيت فى مدينـــة دوبرفنيك أول انتخاب «حر» يجرى فى يوغسلافيا، وامتلأ أحد المسارح بالناخبين، ولم يكن به ما يعيبه سوى أمرين : (١) كان جميع الحاضرين مفروزين فرزاً ، فقد وقف الحراس على الأبواب يصدون غير المرغوب فيهم (٢) جرى الانتخاب برفع الأيدى ، ووقف البوليس السرى يراقب الناخبين بعيون فاحصة خبيرة بمهمتها ، فتم انتخاب مرشحى تيتو بالإجماع . فهـــذا مصداق ما يفتخرون به من قولهم « لا ثورة ولا تغيير ».

وتجرى إعادة تنظيم كيان يوغســلافيا الاقتصادى والاجتماعى طبقا للتعاليم الروسية، فبناءً على أوامر صادرة رأساً من تيتو ، يصب فى عقول الناس صباحا وظهراً ومساء سيل من مناقب روسيا السوفيتية . وقد سمعت بعض الأنصار يتدحون سيارة جيب الأمريكية على ظنهم أنها من صنع روسيا . كما رأيت قوميسارا فى إحدى البواخر على شط الدانوب يجمع فوجا من المهاجرين ويشير إلى الطائرات الأمريكيـــة المحلقة فى السماء فوق رؤوسهم ويقول لهم مختالا فخوراً: « إنها طائرات روسية » .

ربما كانت يوغسلافيا مثار الحرب أو مهد السلم فى المستقبل ، فعلى حـــدودها الغربية ساحل طويل عليـــه موانىء تتسع لإيواء كافة أساطيل العالم ، وتتاخمها شرقاً روســـيا السوفيتية وهى حبيسة فى أرضها ولا منفذ لهـــا إلى البحار ، وبين الاثنين يربض تيتو — ذلك الرجل الهمام الفعال الفاتن الخلاب ، الذى كان من شيعة النظام السوفيتى وأعوانه العاملين .



أدنى الأشياء فى الدنيا إلى الخلود ،
ديوان من دواوين الحكومة .

[الجنرال هيو جنسن]

« إن صروف الحياة أغرب غرابة لاحد لها من كل شيء في وسع العقل أن يلفقه » [شرلوك هولمز]

نهايات غريبة من صميم الحياة



أنتوني أبوت

مختصرة من مجلة "ترو"

في ربيع مضى كنت أتناول طعام الغداء في دار أحد مديري السجون ، فتناول حديثنا وباء تزييف أوراق النقد الذي انتشر فجأة . وكان هذا التزييف فناً متقناً من فنون الإجرام ، وكان المصدر الذي يخرج من هذه الأوراق المزيفة لغزاً يحير العقول .

وظل الأمر كذلك سنتين ، إلى أن تبين أن تزييف هذه الأوراق كان يجرى في السجن تحت سمع مضيفي المشدوه وبصره ، وهو لا يدرى ولا يشعر .

وهذا هو حال الجريمة ، فكأن ميدان الشر والإثم مستشفى للمجاذيب يحدث فيه ما لا يقبله العقل أو يأبى أن يصدقه ، ومن أجل ذلك يختلق كتاب القصص البوليسية وقائع قصصهم ، فلو نقلوها عن الحياة كما هي لما صدقهم أحد .

أنْ تعرف يوماً ما حقيقة القصة التالية معرفة تامة ، أمر مشكوك فيه . ففي سنة ١٩٢٠ كان في شيكاغو رجل معروف باسم « إل ديافلو » على رأس عصابة من اللصوص الشبان ، يرسم لهم الخطط للسطو على الناس في الطرق . وكان يوزع الأسلاب بينهم بالعدل ، ثم يلاعب هؤلاء الأغرار القمار فيسلبهم معظم تلك النقود ، غير أنهم ظلوا يعملون تحت إمرته ، لأنهم كان يخشون بأسه ، حتى إنهم ليقتلون مرضاة له ، وذلك هو سر كربهم لما تورطوا فيه .

وقد فضح أمرهم شاب منهم يدعى فيانا ، قبيل أن يذهب ليلقى حتفه على المشنقة ، فأفضى ذلك إلى القبض على إل ديافلو نفسه وحكم عليه بالشنق . فلما حل إل ديافلو (واسمه الحقيقي كاردينالا) في السجن ، أضرب عن الطعام حتى نقص وزنه ٥٠ رطلا ، ولم يخطر على بال أحد أن إضرابه كان حيلة من حيله ، إلى أن حانت ليلة شنقه فتحدث رجل مجهول بالتلفون إلى مركز البوليس وقال بصوت أجش :

« إن أعوان إل ديافلو سيخطفون جثته بعد شنقه مباشرة ، ثم يستحيونه من جديد ، وهم يعلمون أن في وسعهم أن

يفعلوا ذلك ، لأنهم أحيوا فيانا من قبل »

فانتشر الحراس فوراً ، وبخاصة فى الزقاق المظلم الواقع خلف بيت الشنق . وقبل منتصف الليل بثلاث دقائق ، وهو الموعد المحدد لشنق إل ديافلو ، دخلت الزقاق سيارة الموتى لنقل الجثة ، فقبض الحراس على السائق ، وفتحوا السيارة ، فوجدوا فى جوفها رجلا يرتدى معطف طبيب وامرأة فى زى ممرضة ، وسريراً عليه حشية من المطاط مملوءة ماءساخنا يغلى،ووسائد ساخنة متصلة ببطارية كهربائية ، ووعاء فيه أوكسجين ، ورفاً عليه مجموعة من الحقن ، وسلة كبيرة مملوءة بزجاجات فيها ماء ساخن .

إذن فالخبر صحيح ، وكان صيام إل ديافلو حيلة حتى لا يكون وزنه ثقيلا عند شنقه ، فيخفف ذلك من خطر كسر عنقه . ولا يزال مجرمو شيكاغو يصرحون حتى اليوم أن فيانا قد ردّت إليه الحياة حقاً،ليبرهنوا على أن الحيلة قد تنجح ، ولكنه لما كان قد غدر بزملائه وخانهم ، فإنهم قتلوه رمياً بالرصاص ثم ألقوه فى البحيرة .

نعم لا ريب فى أن كتاب القصص لا يأتوننا بمثل هذه القصص ، ولو فعلوا فمن ذا الذى يصدقهم ؟

وقد نشر المختار منذ زمن ليس ببعيد(*) قصة رجل شنق ، ولكنه لم يمت . وقد وقع فى إنجلترا مثل هذا الحادث الذى لا يصدقه العقل،حيث بطل تنفيذ حكم مماثل.

اتهم جون لى بقتل مسز كيز ، إذ وجدت مقطعة إرْباً إرْباً فى فراشها ، وكانت الأدلة تثبت إدانة جون لى ، غير أنه كان لا يفتأ يقول لحراسه: « أنا لم أقتلها ، ولن يستطيع أحد أن يشنقنى بها قصاصاً » .

فلما صدر عليه الحكم بالشنق ، قال جون لى : « الله يعلم أنى برىء ولن يرضى أن أشنق ، وقد رمى فى قلبى أن لا أهاب شيئاً » .

وفى يوم شنقه ، ازدحمت الجماهير حول السور الذى يكتنف المشنقة ، ثم علقت فى الحبل دمية لاختباره . وقد روى القاضى الأمريكى ماركوس كافانا ، الذى نشر بحثه عن هذه القضية ، أن الشهود أكدوا له أن المشنقة كانت تؤدى عملها على أتم وجه حين علقت الدمية فيها ، ولكن الباب استعصى فلم ينفتح حين وضع الحراس القناع على وجه جون لى وشدوا ذراع المشنقة . فلما وقف أحد الحراس فى مكان المحكوم

(*) المختار : « معجزة على المشنقة » مارس ١٩٤٥ ص ٧٦

عليه ، لم يلبث أن هوى الحارس وكسرت ساقه حين شد ذراع المشنقة .

فأعيد جون لى إلى سجنه ، وعلقوا الدمية مرة أخرى ، فهوت من الباب بلا عناء ، ثم أعيـد جون لى مرة ثانية كى يعاد شنقه فلم ينفتح الباب أيضاً .

فأرسل العمدة المرتاع برقية إلى وزارة الداخلية يسألها ماذا يفعل ، فوصله الرد قائلا : « لا تتوان فى تنفيذ الحـكم » .

وقفت الجماهير هذه المرة خارج السجن حانقة صاخبة ،فقد كانوا يعتقدون ان القضية ينبغى أن تلغى جملة ، ولـكن أوامر الوزارة يجب أن تطاع . فأجريت أربع تجارب على الدمية فنجحت ، ووضع جون لى بعد ذلك على الباب مرة أخرى ، وأدار العمدة ذراع المشنقة بنفسه مرة وثانية وثالثة — فأغمى على جون وحمل إلى سجنه — ولـكنه لم يشنق .

فى اليوم التالى وصلت برقية من الوزارة هذا نصها : « إن الحكم على جون لى بالشنق قد عدل » .

وقدعدل هذا الحـكم على جون لى بالسجن مدى الحياة ، ثم أطلق سراحه وتزوج ، وصار واعظاً يدعو الناس إلى آخر حياته أن يعتصموا بحبل الله مؤمنين به .

فيجب علينا نحن الذين نكتب القصص البوليسية أن نجعل قصصنا التى نلفقها أقرب إلى العقل ، وعسى أن يكون أدب القصة نقداً لتصاريف الحياة الغريبة الشاذة ، وكأنه هو الذى يعلم المقادير كيف ينبغى أن تكون سيرتها فى الحياة .

المسألة « نسبية »

منذ سنين كان « إرنى پايل » الصحفى الأمريكى المشهور الذى قتل فى هذه الحرب ، مصحح تجارب فى صحيفة « النيوز » بمدينة وشنطن ، وكان أجره ٣٠ ريالا فى الأسبوع ، فوضع لإحدى المقالات العنوان التالى : « رجل يرث ثروة عظيمة — ١٥ ألف ريال » .

فاستدعاه مدير التحرير وقال ساخطاً : من قال لك أن ١٥ ألف ريال ، ثروة عظيمة ؟

فقال إرنى : لو كان مرتبك كمثل مرتبى لـكان رأيك كمثل رأيى .

نفق يؤدى إلى الحرية

كما رواها ضابط الطيران الأسترالى ، پول بركهل للكاتب :
الن ميكى

في ربيع سنة ١٩٤٣ احتشد فى معسكر اعتقال ، فى مدينة ساجان بألمانيا ، ١٠ آلاف من الطيارين الأسرى ، وأغلبهم من البريطانيين ، وإن كان قد بدأ يفد عليه أيضاً أفواج من الطيارين الأمريكيين .

وفى شهر إبريل ضاق المعسكر ، فأقيم فى شماله ملحق جديد ، نقل إليه ٧٠٠ فرد منا ، ولما تم كان الأسرى الذين ساعدوا فى بنائه قد درسوا أطرافه وقاسوا بالخطوات أبعاده — وفكرة شق الأنفاق تجول فى أذهانهم ، إذ كان الفرار هو أملنا الوحيد الذى شد من أزرنا ونحن فى قيد الأسر طوال شهور الشتاء المضنية .

وكان بعض الضباط منا قد حاولوا من قبل شق الأنفاق فى معسكرات أخرى ، فجعلناهم « هيئة تنظيم الفرار » واتخذنا لها رمزاً هو (س) ، وتولى رياستها قائد السرب روجر بوشل ، وهو رجل مديد القامة من أبناء جنوب إفريقية ، وكان محامياً فى لندن ثم التحق بالسلاح الجوى البريطانى ، وظل يقاتل إلى أن أسقط الألمان طائرته فى دنكرك وقد فر



كنا نحفر الأنفاق بجارف الفحم أو بجارف نصنعها من حديد مواقد الطبخ . .

من قبل مرتين بحيلة بارعة ، بلغ فى إحداها حدود سويسرا حين قبض عليه .

أقيم الملحق على مربع مساحته ألف قدم ، يطوقه سور مرتفع من الأسلاك الشائكة ، ومن ورائه على بعد خمس أقدام ، سور آخر كالأول ومحاذ له ، وملىء ما بين السورين بلفائف من الأسلاك الشائكة . وفى داخل المعسكر وعلى مسافة ١٠ ياردات من هذا السور ، مد الألمان سلك الإنذار ، لو لمسه إنسان بقدمه لانهال عليه رصاص الحراس . وتناثرت فى المعسكر « قلاع الرقابة » ويبلغ ارتفاعها ١٥ قدما ، وهى

مزودة بالمصابيح الكشافة والمدافع الرشاشة، ويتناوب غلبها الحرّاس ليلا ونهاراً وتكتنف المعسكر من جميع نواحيه على مسافة ٢٥ ياردة ، غابة كثيفة من أشجار الصنوبر ، وهى وإن حجبت عنه العالم، إلا أنها خير ستر لمن يلوذ بالفرار .

ولم نكد نستقر فى الملحق حتى عُلّق إعلان يدعو الراغبين فى لعب الكرة إلى الاجتماع معاً . وكان عليه توقيع (س)، فأدرك الجميع مغزاه ، وتطوّع ٥٠٠ منا للعمل فى شق الأنفاق . واستقر الرأى على أن نشق ثلاثة أنفاق طويلة ، واصطلحنا على أن نسمى الأول (توم) والثانى (ديك) والثالث (هارى) ، رجاء أن ينجو أحدها من افتضاح أمره . ولم تجر على لسان أحدنا قط كلمة « نفق » ، فإن كثيراً من الحرّاس الذين يسترقون السمع يفهمون الإنجليزية .

واتفقنا على أن نشق (توم) من المسكن رقم ١٢٣ إلى الأسلاك ، على بعد ١٥٠ قدما ، ثم يمتد منها إلى الغابة ، وأن نشق (ديك) من المسكن رقم ١٢٢ متجهاً إلى نفق توم ، فإما يلاقيه ، وإما أن نفضى به إلى الغابة . أما (هارى) فيبدأ من المسكن رقم ١٠٤ مفضياً إلى الغابة فى شمال المعسكر .

وكان لا مفرّ من أن نبدأ الأنفاق من داخل مساكننا ، ويبلغ طول كل مسكن ١٠٠ قدم ، وأفرد فيه جانب لنومنا ، وجانب لمغسل ومطبخ صغير ، وقد بنيت كلها على قوائم ترفعها عن الأرض مقدار قدم واحدة ، ليتسنى للحرّاس إذا ما مدوا أبصارهم تحتها ، أن يطمئنوا على أننا لا نلتمس خديعتهم وغفلتهم . وظلت جماعاتهم ، وقد سميناهم « الجرذان » تجوس خلال المساكن فتفضحهم معاطفهم الزرق ، وفى أيديهم المصابيح ، ويتحسسون بمسابر من الحديد طويلة ما عساه يكون من أبواب مستترة ، أو رمال تنبئ بشق نفق .

وانقسمنا ثلاث جماعات لكل منها رئيس خبير بشق الأنفاق . أما مستشارنا الأول فهو والى فلودى ، وهو مهندس مناجم كندىّ . وتولى رئيس شعبة (س) فى كل مسكن فحص متطوّعيه ، واختار منهم المهندسين وعمال المناجم والنجارين للعمل فى شقّ الأنفاق . أما الخياطون فقد عهدنا إليهم بإعداد ملابس نتخفى بها عند فرارنا . وأعدّ المصورون عدتهم لتزوير وثائق إثبات الشخصية ، وكلف كل من يتكلم الألمانية منا بطلاقة ، أن يصادق جرذاً من الجرذان ، وأن يلازمه ملازمة الظل ، ويليّن لنا جانبه ولو بالرشوة ، ليمدنا بما نحتاج إليه من مختلف الأشياء والأدوات .

وذات يوم جاءنا جرذ جديد كان نشيطاً فى أداء واجبه ، فلقبناه (المتحمس) . ولكن فى غضون شهر واحد ، نجح زميلنا المكلف به فى استمالته حتى فترت حماسته فى مراقبة منافذ الفرار ، وكان يدخل مسكننا ، ويقصد من فوره حجرة صديقه ويقول : « جاءك صاحبك المتحمس فهل تأذن بالدخول ؟ » ثم يجلس ضاحكا ويستمتع بشرب الشاى والبسكويت .

أما الأسرى الذين لا يجيدون شيئاً يلزمنا فقد سميناهم البطاريق ، وعهدنا إليهم ان يخلصونا من الرمال المتخلفة عن شق الأنفاق ، أو كانوا مثل العيون فى مراقبة الجرذان . وقد بلغ عددهم فى السنة التالية ٣٠٠ عين يتناوبون كل يوم ، ويرفعون تقريرهم إلى (ص) وهو ضابط أمريكى أقمناه مشرفاً على أمننا وسلامتنا .

ولما اطمأنت قلوبنا بدأنا نشق الأنفاق ، وكان الألمان قد غفلوا عن أمر واحد ، إذ أنهم جعلوا أرض المغسل والمطبخ والمدفأة فى كل مسكن من الأبرق ، وقاعدتها جميعاً مبنية بالآجر والأبرق أيضاً ، وليس فيها منفذ لنظرات الحراس المتجسسين ، فوقع اختيارنا على هذه المواضع لنبدأ العمل منها .

ومهمتنا الأولى هى فتح أبواب خفية ، وكان الألمان يدخلون علينا فجأة ليلا أو نهاراً وهم يصيحون : «تفتيش، تفتيش» ثم يقلبون الفراش ، وينقبون فى خزائن المطبخ ، ويخلعون عن الأرض والجدران ألواح الخشب ، باحثين عن الأدوات ، والملابس المدنية ، والأزرار والمسامير ، وبالجملة كل ما قد يستعين به من يحاول الفرار ، ومع ذلك أمكننا أن نحتال عليهم ونفتح أبواباً خفية لم يروها ، وذلك بفضل دهاء مكين تظاهره خبرة ثلاث سنين احتملناها على مضض .

وأسعفنا حسن الحظ فظفرنا بمقدار من الأبرق تخلف من بناء المعسكر ، فصبه زملاء لنا من البولونيين كتلة تصلح لسد ثقب اتساعه قدمان مربعتان أحدثناه فى أرض المسكن ١٢٣ ، ولما وضعنا الكتلة مكان الثقب ودعكنا أطرافها بالرمل والتراب ، أضحت خفية لا تتبينها العيون أبداً ، وكان هذا الثقب هو مدخل نفق « توم » .

وتمثلت الحيلة على أتمها فى فتح الباب الخفى لنفق ديك فى المسكن **١٢٢** ، حيث كانت أرض المغسل على هيئة شبكة من الحديد لتذهب منها مياهه إلى بئر بنيت من الأبرق ، عمقها ثلاث أقدام ، وقد ركبت الأنبوبة التى تنساب منها المياه بحيث يتخلف فى البئر قدر قليل من الماء دائما . وبينما وقف العيون خارج المسكن يحرسونه ، عمد البولونيون إلى الشبكة فنزعوها ونزحوا

البئر ، واستعانوا بإزميل من الحديد نالوه برشوة أحد الحراس ، وخلعوا لوح الإسمنت الذى هو أحد جوانب البئر ، بحيث يتسنى لهم أن يعيدوه إلى مكانه متى أرادوه ، فإذا أعيد ثانية وسويت شقوق حافاته بالصابون لم يلبث المـاء أن يتجمع كما كان ، فلا تقع العين منه على ما يريب .

وكذلك ظهرت براعة الحيـلة فى فتح باب نفق هارى فالمدفأة الكبيرة بالحجرة ٢٣ فى المسكن ١٠٤ تقوم على قطع من الآجر مثبتة فى قاعدة من الأبرق مساحتها أربع أقدام مربعة . فزحزحنا المدفأة إلى الوراء وخلعنا الآجر وأعدنا رصفها على باب خفى مصنوع من الأبرق لا يختلف قطع عن القاعدة القديمة . وقد تفتتت أثناء العمل خمس قطع من الآجر ، فاستبدلنا بها قطعا أخرى سرقت من مطبخ المسكن الشرقى وهُرِّبت إلينا .

وكان عملنا هذا عملا تحفه المخاطر ، فقد ظل مدخل نفق هارى مفتوحا عشرة أيام لا يستره عن أعين الجرذان إلا حشيَّة تحسبها ألقيت حيث هى تهاوناً وإهمالا ، ولكننا ثابرنا وأنجزنا العمل .

ثم جاءت أشد الساعات خطراً فى عملنا ، ألا وهى شق الأنفاق . وقد رسمنا على قدر الطاقة طريق الانفاق الثلاثة ، بأبعادها واتجاهاتها وزواياها ، وكنا نعلم أن ما عند الألمان من أجهزة الاستماع يعجز عن التقاط الأصوات المنبعثة من باطن الأرض إذا كانت على عمق يزيد على ٢٥ قدما . فصح عزمنا على أن نحفر حفراً عمقها ٣٠ قدما ، قبل أن نبدأ فى شق الأنفاق إلى الغابة .

ولم نجد مشقة فى حفر الأرض إذ كانت من الرمل اللين ، ولكننا وجدنا جوانب النفق فى حاجة إلى أن تسندها دعامات صلبة ، فعهدنا فى أول الأمر إلى كل رجل منا أن يمدنا بلوح من ألواح فراشه . ثم لم نجد ضيراً بعد ذلك فى نزع لوح ثان وثالث ، ولكننا أصبحنا بعد الخامس والسادس نرقد على فراش ليس بالوثير ، وشق علينا النوم .

وفرغنـا فى أوائل مايو من حفر أولى طبقات الرمل ، وكنا نعمل جماعات ، ونبدأ بعد عرضنا صباحاً حتى يجىء وقت عرضنا ليلا ، لا نتريث إلا للغداء .

وعهد إلى البطارقة بمهمة شاقة ألا وهى التخلص مما يتجمع من الرمال الصفر البراقة ، والتى لو ألقى بها على سطح الأرض الغبراء لتوهج لونها وانكشف أمرها ، وبعض هذه الرمال يمكن نثرها وخلطها فى ثرى حديقتنا الصغيرة ، ولكن هذا وحـده لا يكفى لحل المشكلة . ولذلك جئنا بمناشف الوجه ، وخطنـا بعضها إلى بعض على هيئة

جراب دقيق طويل ، يملأه بالرمل ويعلقه البطريق داخل سراويله ، ثم يخرج يجول متسكعاً فى ملعب المعسكر ، هذا والعيون يتلاكمون أو يلعبون أو يتصنعون أن بعضهم يشاجر بعضاً ، فإذا انضم البطريق إليهم عمد ، ويداه فى جيبه إلى خيط داخل سراويله وشدّه وفكّ ما يمسك أسفل الجراب ، فيتساقط الرمل قليلا قليلا ، ولا تلبث أقدام المتشاجرين أن تدوسه وتسوّيه بالأرض . وكنا إذا سارت الأمور سيراً حسناً ، نستخدم ١٥٠ بطريقاً يعملون فى تصريف الرمال ، فكنا نتخلص منها تحت سمع الجرذان وبصرهم .

وكنا نحفر بمجارف الفحم أو بمجارف نصنعها من حديد مواقد الطبخ ، وجعلنا مساحة فتحة النفق قدمين مربعتين نسندها بدعامة مربعة كالصندوق ، تتخذها من ألواح فراشنا ، وتطابق الفتحة فى سعتها ، وذلك لأننا أردنا أن ندخر ما لدينا من مسامير قليلة لنصنع سلماً لمساقط الانفاق .

وقد حفرنا فى قاعدة كل مسقط حجرة متسعة ليأوى إليها النجارون المكلفون بتركيب الدعائم ، ولنضع فيها أيضاً أجهزة التهوية . وحدث ذات يوم ، إذ كان ثلاثة من الحفارين يوسعون قاعدة مسقط هارى ، أن بدأ الرمل يتسرب من إحدى الدعامات المربعة ، ولم تمض لحظات حتى انهال الرمل كالسيل المتدفق ، ولكن السلم بقى مكانه وتمكن رجلان منهم من تسلقه ونجوا ، أما الثالث ، وهو والى فلودى ، فكاد يختنق تحت الرمال ، فمدّ إليه زميلاه أيديهما وخلصاه . وكذلك انهار الرمل فى مسقط ديك حتى ملأه إلى فوهته ، فكانت نكسة مؤلمة ، ولكننا أعدنا حفره من جديد .

وسرعان ما تبين الحفارون أنهم لا يستطيعون المضىّ فى شق النفق طويلا إذا أعوزهم الهواء النقى ، وأنه لا يكفى إحداث ثقوب فى سقف النفق تبلغ سطح الأرض ولحسن الحظ وصلت إلى المعسكر مجلة هندسية فيها مقال يصف كيف تصنع مضخة هوائية ، فعمد السباكون إلى علب اللبن ، وخلعوا غطاءها وقاعدتها وضموا بعضها إلى بعض ، فظفروا بالأنبوبة التى يريدونها ، ولفوا مواضع اتصالها بقصاصات من صحف الدعاية الألمانية ، ومدوها فى حفرة على طول أرض النفق مغطاة بالرمال ، وفى نهايتها من بعيد فتحة يدخل منها الهواء ، فيُدفع فى الأنبوبة بمنفاخ اتخذناه من قماش غليظ ، يقوم على إدارته رجلان بالتناوب . ولما صح نجاح هذا الجهاز الأول ، أسرعنا فى صنع اثنين غيره ، وأصبحنا نستطيع إغلاق باب النفق ، فنعمل ونحن لا نخاف مفاجأة الجرذان .

أما الكهربائيون فقد جمعوا أشتاتاً من بقايا الأسلاك التي تخلفت من بناء المعسكر، ثم عمدوا إلى أسلاكه المثبتة وفكوها وأعادوا تركيبها خلسة فاستخلصوا منها ما طوله عدة أقدام، ووضعوها في الأنفاق وأوصلوها خفية بأسلاك المعسكر. ثم سرقنا المصابيح من الردهات وبذلك توفر النور للحفارين. وكنا إذا أهمل الألمان إنارة المعسكر نهاراً نستعين بمسارج صنعناها بأيدينا، وعاؤها من العلب وفتيلتها من خيط مجدول، ووقودها من الزبدة الصناعية، وكانت كريهة الرائحة.

والتزم الحفارون في عملهم نظاماً دقيقاً، فكان من يجيء في المقدمة يرقد بطوله على جنبه متكئاً على أحد مرفقيه، ويأخذ في نبش الأرض، ويجرف الرمل ويلقيه عند قدميه. والحافر الثاني يرقد بحيث تلمس قدماه قدمي زميله، ويجمع الرمل في صناديق أعدت لذلك خاصة، توضع على عربات صغيرة تسير على قضبان، ثم ترفع الصناديق إلى فتحة المسقط بحبال صنعناها بأيدينا.

وقد تمثل فننا كله في صنع هذه العربات التي كانت تقوى على حمل رجل أو صندوقين من الرمال، إذ جعلنا لها عجلات من الخشب حافتها مفرغة وبطناها بإطارات من صفيح العلب، وجعلناها تدور على كرات مغدنيـة ظفرنا بها برشوة أحد أصدقائنا الجرذان. أما القضبان فقد سرقناها من أسوار المعسكر. ولما طالت الأنفاق أخذ العمال يرقدون على هذه العربات ويحركونها فتبلغ بهم الوضع الذي يبدأون الحفر منه.

وكان الحر يشتد أحياناً في باطن النفق فتضيق الأنفاس، فاضطر رجالنا أن يعملوا عراة، أو وهم لا يرتدون إلا هذه السراويل الطويلة البغيضة التي يعطيها الألمان للأسرى؛ لأنهم لو احتفظوا بملابسهم لتلوثت ووشت بهم. وكنا قد علقنا في المساكن أواني يتصبب منها الماء ليبادر إليها العمال فيغتسلوا ويزيلوا ما علق بأجسادهم من الرمال، قبل أن يعرضنا الألمان صباحاً أو مساء.

ولقد مرن الحفارون على مقاومة انهيار الرمال عليهم. والإنذار الوحيد الذي ينبههم إلى اقترابه هو سماعهم خشخشة ضئيلة، ثم إذا بالحفار الذي في المقدمة قد دفن في رمال تكتم أنفاسه، وتطفىء المسرجة، وتسد أنبوبة الهواء. فإذا حدث ذلك كان على الثاني أن يسرع إلى نجدة زميله.

وفي نهاية مايو، أي بعد ٣٠ يوما منذ بدأ الحفر، بلغ طول كل نفق ٧٠ قدما، وقد أقبل الصيف وهو أحسن الأوقات للفرار، إذ نستطيع أن ننام ونعيش في العراء.

فقرر الرؤساء أن نحصر جهدنا في شق توم لأنه أقصر الأنفاق، وبعد أسبوع أنشأنا

أول حجرة صغيرة للاستراحة فى منتصف الطريق ، حيث بلغ طول النفق ١٠٠ قدم ، فتيسر للعمال أن ينالوا الراحة بالتناوب وهم فى النفق ، ودون أن يضطر العامل إلى انتظار زميله المنصرف عند مسقط النفق . ودل حسابنا على أن هذه الحجرة تقع تحت « سلك الإنذار » فكان لا يزال أمامنا ١٠٠ قدم أخرى حتى نبلغ حافة الغابة .

وعهدت هيئة (س) إلى جماعات أخرى أن تعدّ كل ما ينبغى لفرارنا . فعكفت « إدارة التزوير » ، على تجهيزنا ببطاقات شخصية وجوازات سفر مزورة .

وكنا نستميل قلوب الحراس بالقهوة والحلوى ، فإذا اهرّبوا لنا شيئاً لم يسعهم بعد ذلك أن يرفضوا لنا طلباً خشية أن نشى بهم عند قائد المعسكر . فكذلك أمكننا أن نظفر بالحبر الملون والاقلام والفرش والورق ، وبمغناطيس لصنع البوصلة ، وبأجزاء من جهاز الراديو لصنع جهاز نستمع به سراً إلى الأخبار ، وقد هربوا إلينا آلة تصوير ومعداتها لاستخراج صور لجوازاتنا المزورة . وكذلك أمدونا بمطارق ومناشير وكماشات ومسامير وخرائط ، بل نجح رجالنا ممن يحسنون الألمانية فى استمالة بعض الحراس ، وظفروا بمستنداتهم الرسمية الدالة على شخصيتهم ، والمبينة لمرتباتهم وأوقات دفعها ، وعكفت إدارة التزوير على تقليد صور منها .

والتزوير عمل شاق يحتاج إلى براعة خارقة ، فهذه صفحات بأكملها كتبت بالآلة الكاتبة ، تستنسخ منها صور بخط اليد تضاهى الأصل بحروفه الناقصة وحروفه المتآكلة ، وما بين الجمل من مسافات غير متساوية ، وهناك مستندات أخرى يقتضى تزويرها كتابة سطور كثيرة بخط دقيق ، أو رسم ما حول الصحيفة من إطارات مزخرفة . وعمد المزورون إلى ما فى يدنا من نسخ الكتاب المقدس فنزعوا صفحاتها البيض ، وهى من الورق الرفيع ، ونزعوا من الكتب غلافها المبطن بالقماش ليتخذوا منه غلاف جوازاتنا المزورة ، وكان لابد لإعداد جواز فرد مزور يخول لنا اجتياز الحدود ، أنّ يعكف عليه العامل الماهر خمس ساعات كل يوم ، ثم لا يتمه إلا بعد شهر كامل . واستعان العمال بمقابض فرش الأسنان فحفروا عليها الكلمات الأولى التى يفتتح بها كل جواز . أما العقاب الألمانية وعلامة الصليب المعقوف ، فقد حفرت على قطع من المطاط نزعناها من كعوب الأحذية . وهكذا ظفرنا بأكثر من ٤٠٠ جواز مزوّر .

وصنع لنا طيار أسترالى ما نحتاج إليه من البوصلات . أما وعاؤها فقد اتخذه من عجينة أسطوانات الحاكى بعد إذابتها وصبها ،

وأما غطاؤها فمن زجاج النوافذ ، والإبرة إبرة خياطة حكت على حجر المغناطيس .

وأنشأنا أيضاً إدارة الخياطين حيث يعمل ٦٠ رجلا فى قلب زى سلاح الطيران البريطانى إلى ملابس مدنية، وكذلك صنعوا لنا ملابس تطابق زى سلاح الطيران الألمانى. ولقد جرى العرف المتبع على إعدام الأسرى الهاربين إذا قبض عليهم وهم يتخفون فى ملابس أعدائهم ، ولكن ميثاق جنيف لا يحرم عليهم أن يقلدوا زى الأعداء . وعكف نفر آخر من العمال على رسم الخرائط واستخراج الصور منها، أما المادة الهلامية التى طبعت عليها فقد اتخذوها من هلام الفواكه، كما حصلوا على الحبر بدق أقلام السكوبيا .

وبلغنا أن زملاءنا الأمريكيين سينقلون بعد ستة أسابيع إلى مسكن بعيد ، وكانوا يعملون معنا بهمة ، فقررنا أن نوالى العمل طول الليل حتى ننجز الحفر سريعاً. وزادت مخاطراتنا فى تصريف الرمال ، فكنا نخلط بعضها بثرى الحديقة، وننثر بعضها على أكوام من التراب متخلفة من بناء مسرح جديد للمعسكر .

وذات يوم عثر أحد الجرذان على بعض الرمال الصفر، فهب الألمان يفتشون ولكن بغير جدوى . وحفروا أخدوداً بين المسكن ١٢٣ وبين أسوار المعسكر، ولكن الأخدود كان غير عميق فلم يكشف عن نفق توم .

وفى أواخر يونيو دل حسابنا على أن توم قد بلغ طرف الغابة ، وهممنا أن نحفر مصعداً فى نهايته ينتهى بنا إلى سطح الأرض. فرأينا فجأة جماعات من الألمان تقبل وتأخذ فى قطع الأشجار ، ولم يكن ما حدث سوى مصادفة، فقد قرروا أن يبنوا ملحقاً جديداً للمعسكر فى ذلك الموضع، فأزالوا من الأشجار ما يبلغ امتداده ٥٠ ياردة . وكان نقل الأمريكيين قد أزف ، فقررنا أن نشق مصعد توم مهما كانت الأحوال . وعلى الفارين أن يزحفوا منه حتى يبلغوا الغابة .

وتكاثرت الرمال حتى أدركنا اليأس ، وحرنا كيف نصرفها . فاقترح أحدنا أن نخزنها مؤقتاً فى ديك ، وأخذ البطارقة يحملونها فى صناديق من الورق المقوى عليها علامة الصليب الأحمر، ويسيرون بها فى صف متصل ، ثم يفرغونها فى مسقط ديك ، ولم يكن هذا كافياً . وحينئذ قرر الرؤساء أن يجازفوا بخزنها فى صناديق الصليب الأحمر تحت فرشنا ، وهم يرجون أن يغفل الألمان عنها إلى أن يتسنى لنا تصريفها .

وكان طول توم قد بلغ ٣٠٠ قدم ، ولم يبق على إتمامه إلا بضع أقدام ، فقرر بوشل أن نكف ونهدأ بضعة أيام ذراً للرماد فى العيون.

ولكن الألمان عثروا على الصناديق تحت فرشنا . فما أسرع ما جاءوا بسيارات ثقيلة وأخذوا يديرونها فى المعسكر ، رجاء أن يتهدم على ثقل وطأتها ما عسى أن نكون قد حفرناه من الأنفاق ، فكان الشيء الوحيد الذى دمروه هو حدائقنا .

وحدث بعد ذلك بيوم أو نحوه أن جاء الجرذان لينقبوا فى المسكن ١٢٣ ، والريبة فينا ما تزال تخامرهم ، فمدّ أحدهم مسباره فى طرف الباب الخفى الذى جعلناه لتوم ، فكانت هذه نهاية توم . ولم يفلح الجرذان فى فتح الباب فكسروه ، وهدموا النفق بالديناميت، فطارت أجزاء من سقف المسكن ١٢٣ . ولما اهتدى الألمان إلى توم بلغ من سرورهم أنهم لم يفكروا فى توقيع عقاب علينا أو فى زيادة أسباب حيطتهم .

وعقدنا اجتماعاً فقررنا أن نوالى العمل فى ديك و هارى ، وإن كنا رأينا أن من الحكمة أن لا نبدأ حتى يأتى الشتاء ، مقدّرين أن الرقابة سوف تخف يومئذ قليلا ، لأن الفرار لا يتسنى فى مثل هذا الفصل .

وفى آخر أغسطس ١٩٤٣ نقل الأمريكيون إلى مأواهم الجديد ، فأقمنا لهم حفلة تكريم .

ورأينا ، ونحن ننتظر مقدم الشتاء ، أن يحاول بعضنا الفرار ، لا من باطن الأرض ، بل من فوقها . وقد صنع النجارون لأحد هؤلاء المتأهبين للفرار بندقية من الخشب تشبه بنادق الألمان ، وقد عرفوا قياسها وأبعادها بالكمون خفية وراء ظهور الحراس يقيسون أبعاد البندقية ، ثم لونوا طرفاً منها بأقلام الرصاص حتى أصبح يضاهى الجزء المصنوع من المعدن ، ثم صقلوها فلمعت حتى صارت العين لا تفرق بين الأصل والتقليد . وكان من عادة الألمان أن يسوقوا جماعات منا إلى باب المعسكر لنفلى عنده ما علق بثيابنا من القمل ، فقررأينا على أن نسوق نحن بأنفسنا جماعة منا إلى باب المعسكر لهذا الغرض ، فارتدى ثلاثة ثياب سلاح الطيران الألمانى واقتادوا ٢٤ أسيراً من زملائهم ومرّوا بهم أمام حراس الباب ، ثم تسلل الثلاثة واختفوا فى الغابة ، وبعد دقائق تبعهم ستة من ضباطنا ، ولكن الحراس تنبهوا لهؤلاء وانكشف أمرهم .

عندئذ أمرنا الألمان أن نقف صفاً واحداً ، ولبثنا سبع ساعات إلى أن عرفوا أسماء الثلاثة الفارين ، وقد قبض عليهم جميعا فيما بعد . وقد وصل أحدهم ، وهو يجيد الألمانية إلى تشيكوسلوفاكيا ، ثم ركب منها القطار حتى بلغ حدود سويسرا ، فنزل منه وسار قليلا فإذا به وهو لا يدرى يدخل رقعة من الأرض السويسرية ثم كرّ على عقبيه فقبض عليه جندى ألمانى من حرس الحدود . وبلغ

الآخران مطاراً ألمانيا وأدارا محرك طائرة يريدان الفرار بها فإذا بطيار ألمانى يقبل مصادفة ليستقل تلك الطائرة نفسها فيقبض عليهما .

وفى مستهل ١٩٤٤ كنا قد أعددنا عدتنا لشق الأنفاق من جديد ، وكان ديك مملوءاً برمال توم ، وزاد الطين بلة أن الألمان بدأوا ينشئون ملحقاً للمعسكر حيث قدر لنفق ديك أن ينتهى . فلم يبق أمامنا إلا هارى . وأخذت الثلوج تغطى الأرض ، وشق علينا تصريف الرمال ، واقترح أحدنا أن نكومها تحت المسرح ، إذ لاحظ أن الألمان لا ينقبون هناك .

وكنا نحن أنفسنا قد تولينا بناء المسرح ، وحرصنا على أن لا نترك فى قاعدته فتحات يمد منها الجرذان أبصارهم ، وبقيت تحته حفر تسع أطنانا من الرمال ، واحتال مهندس منا فصنع أحد مقاعده بحيث يتحرك على مفصلة وفتح تحته بابا خفيا . وأخذ البطارقة كل ليلة يصبون فيه الرمال من أكياسهم المخبأة فى سراويلهم .

وعمل فى شق هارى ثلاث جماعات ، فى كلٍّ عشرة عمال مدربين ، وأخذوا يمدون النفق ١٢ قدما كل يوم ، فلم يكد يشرف يناير على نهايته حتى كنا قد أنشأنا فيه حجرة الاستراحة فى منتصف الطريق على بعد ١٠٠ قدم . ودل حسابنا على أن النفق لو امتد ٣٠٠ قدم لبلغ بنا مأمن الغابة .

وهذا طريق طويل ، والأحوال تسوء يوما بعد يوم ، فالأرض باردة ندية ، ولم يبق عامل إلا واشتكى البرد أثناء الليل وأطراف النهار ، واذا بصق رأيت بصقته سوداء من استنشاق دخان المسارج ، اذ لم يكن قد بقى عندنا شىء من الأسلاك الكهربائية وعلاوة على ذلك أخذت حوادث انهيار الرمال تلاحقنا كل يوم . ولكننا لم يكد فبراير ينتصف حتى كنا قد حفرنا ١٠٠ قدم أخرى ، وأنشأنا حجرة استراحة ثانية . ودل حسابنا على أن هذه الحجرة واقعة تحت سور المعسكر ولم يبق إلا حفر ١٠٠ قدم أخرى .

ثم أتيحت لنا فرصة لا بأس بها ، وذلك أن عمالا من الألمان جاءوا وشرعوا ينصبون مكبرات للصوت ، وأتوا بلفتين من الأسلاك وتركوها ، قاصدين أن يعودوا بعد قليل لمد أسلاكهما . فسارع أحدنا إلى إحداها وحملها بهدوء وجاءنا بها . ثم تصنعنا على بغتة قيام عراك بيننا ، وفى ستار الزحام والضجيج اختفت اللفة الثانية . وقد خشى العمال الألمان أن يبلغوا رؤساءهم ضياع اللفتين ، ولكن ثلاثة منهم طاحت رؤوسهم بعد ذلك ، حينما عثر الألمان على الأسلاك فى جوف هارى . وأمدتنا غنيمتنا بستمئة قدم من الأسلاك استعنا بها فى إنارة النفق إلى نهايته .

ولكن رئيس الجرذان استيقظت ريبته وإذا بالأمر يصدر فجأة بنقل والى فلودى ورئيس البطارقة ورئيس إدارة الأمن وعدد من العمال ذوى الخبرة فى الحفر، إلى مسكن بعيد، فكانت ضربة قاصمة. وليس البلاء أن نفقد زملاءنا الخبراء، بل البلاء أيضا أن الألمان أدركوا أننا نعتزم أمراً.

ولم يحل ٨ مارس ١٩٤٤ حتى أتممنا حفر المئة قدم الباقية، وأنشأنا حجرة فى نهايتها، وعكف أربعة من رجالنا المقتدرين أربعة أيام يشقون مصعداً للنفق، وهم يثبتون على جوانب المصعد سلما يمدونه كلما علوا فى الحفر، حتى بلغوا جذور أشجار الصنوبر. وكانوا يقدرون أنهم على عمق مترين من سطح الأرض فى قلب الغابة، فأسندوا بالدعائم سقف المصعد، وتركوا ما بقى منه ليحفر ليلة الفرار. وفى ١٤ مارس تم النفق، وسددنا بابه الخفى، وقوّينا جوانبه، ولبثنا ننتظر اعتدال الجو، وليلة داجية تصلح لستر فرارنا.

وأصبحنا فإذا برئيس الجرذان يرسل رجاله ليفتش المسكن ١٠٤، ومد أحدهم مسباره يتحسس جوانب الباب الخفى، ولكن الباب لم يتزحزح عن مكانه.

وبلغ عدد الذين حفروا النفق ٥٠٠ نفس، ولكننا قدرنا أن عدد من يستطيع الفرار فى بهمة الليل لا يزيد على مئتين، فعهد إلى بوشل أن يصطفى ٦٠ منهم، وانتخب ٢٠ آخرون بالاقتراع السرى، وكتبت أسماء الباقين فى وريقات، وأخرجنا منها بالقرعة ١٤٠ اسما.

وبدأ السعداء المجدودون يستعدون للفرار، وكان ما عندنا من النقود يكفى لشراء تذاكر السفر لأربعين نفراً فحسب، فلم يبق للباقين إلا أن يسيروا على أقدامهم. وشرع بوشل وغيره ممن فروا من قبل وعرفوا ألمانيا، يلقون محاضرات يسدون فيها النصح والإرشاد للفارين.

وبعد أن عرضنا الألمان صباح الجمعة ٢٤ مارس أعلن بوشل أن الفرار سيكون فى الليلة القادمة. وكان على الأرض طبقة من الثلج سمكها ٦ بوصات، وهو أمر يفضح الفارين، ولكن الليلة كانت داجية لا قمر فيها، وقد نبأنا الخبراء بالأحوال الجوية من رجالنا أن ريحاً شديدة تنذر بالهبوب، وأنها كفيلة بستر الأصوات المريبة.

وأعدت الوثائق والجوازات وعليها الأسماء والتاريخ، ورأينا أن يدّعى بعض الفارين أنهم من العمال الأجانب، والبعض الآخر أنهم من رعايا الدول المحايدة، أو أن يتخذ نفر آخر زى الألمان، من المحاربين أو المدنيين، وأعطى كل فرد وثيقة توافق دعواه.

وسار أحد العمال إلى نهاية النفق ليتبين

ما بقى حتى ينفذوا إلى أرض الغابة . ولشد ما دهش حين دفع بعصاه فى سقف مصعد النفق فنفذ إليــه ضوء الشمس .

وفرشت أرض النفق بالأغطية لـكتم وقع أقدامنا ، وثبتنـا فى العربات ألواحا من الخشب ليرقد عليها الفارون ثم تجر . ولما جن الليل ارتدى كل فارّ زيه ، ووزعت علينا مؤونة حدد مقدارها بتقتير شديد ، وهى طعام صنعناه خاصة لفرارنا ، يغـذى الأجساد وإن مجّت طعمه النفوس .

وانتصفت الساعة التاسعة فإذا كل شىء قد أعـد ، ولم تمض عشر دقائق حتى نزل أول فار فى ثياب مدنية وتحت إبطه محفظة ، وتبعه ثان فى ثياب العمال ، ونزل بين الخمسة الأول بوشل يحمل حقيبة صغيرة كرجل الأعمـال الأنيق ، ببذلته الرمادية ومعطفه الأسود وقبعته الغبراء .

وتململ الرجال ونفد صبرهم حين لم يفلح أولهم فى نزع دعامات مخرج النفق ، ومضت ساعة احتملها الرجال على مضض وهم رقود فى جوف النفق ، ثم نُزعت فأبصروا فوقهم نجوماً تتلألأ فى السماء ، وأنعشتهم نفحة من نسيم عليل — نسيم الحرية والخلاص .

وكاد أول الرجال يصعق حين أطل من الفتحة على حذر ، وإذا النفق لا يفضى إلى قلب الغابة ، بل بينه وبينهـا ١٠ أقدام ، وإذا فتحتـه الفاغرة لا تبعد إلا ١٥ قدما عن إحـدى قلاع الحراسة . فلما أنبأ بهذا النبأ أسقط فى يدنا . أيكون الإخفاق غاية مجهود سنة كاملة بذله ٥٠٠ رجل ؟ ولـكن هيهات أن يطيع رجالنا من يحاول صدّهم عن الفرار ، فالخروج أصبح محفوفا بالمخاطر ، ولـكن من المخاطرة أيضاً أن ننتظر شهراً آخر حتى يعود القمر إلى المحاق ، وأن نعكف على مد النفق ٣٠ قدما أخرى ، هذا والمستندات المزوّرة قد أرّخت ، فإذا ما أجل الفرار كان لا بد من تعديلهـا ، وكذلك صـار الفرار حتما مقضياً .

وزحف أول الفـارين حتى بلغ طرف الغابة وفى يده حبل ممدود بينه وبين زملائه ليشير به إلى من سيتبعه أن الطريق آمن ، وكان الحارس فى قلعته لا يلقى بالا إلى الغابة ، يصرف أنواره الـكشافة إلى الأسلاك الشائكة ومبانى المعسكر . وثمة جنديان يدوران مع الأسلاك ذهاباً وجيئة ، فلما غابا عن الأنظار شـدّ الحبل وتسلل الثانى إلى جوف الغابة .

واستغرق فرار أول عشرين رجلا ساعة كاملة ، وكانوا قد عزموا أن يسافروا ، فيمموا شطر محطة ساجان وهى على بعد ربع ميل ، وكنا نعلم موعد القطار من دليل هربه إلينـا أحد الحراس .

أما الفارون الذين بقوا فى المسكن ١٠٤ فقد ضاقوا ذرعاً بإبطاء أول الفارّين فى الخروج ، وقد شعروا بأن هناك عائقاً يعوقه، ولكن ما هو ؟ لقد كانوا يخشون أن يفاجأهم أحد من الجرذان، وما كادت الساعة العاشرة تنتصف حتى شعر القائمون عند مسقط النفق بنفحة من الهواء البارد ، وهى تعنى ولا شك أن الفرار قد بدأ فتجاوبت فى أنحاء المسكن صيحة تهليل مكتومة .

وصادفتنا عوائق أخرى ، فقد انهار الرمل فى جوف النفق فى موضعين، فأخرنا ساعة ونصف ساعة، وخرجت بعض العربات عن قضبانها فأخرتنا هى أيضاً . أما الرجال الذين حملوا معهم حقائبهم أو تدثروا بأغطيتهم ، فقد وجدوا النفق فى بعض المواضع لا يتسع لمرورهم وأبوا أن يمروا عَنْوَةً خشية أن ينهار الرمل ، ولذلك اختل تدبيرنا عن مواعيده المضروبة .

وعند منتصف الليل دوت صفارات الإنذار بغارة جوية وأطفئت الأنوار كلها ، ومنها أنوار النفق ، ووضح لنا أن الفرار لن يتيسر إلا لمئة رجل قبل أن يطلع النهار ، فأوقدنا المسارج وتناقلناها من يد إلى يد داخل النفق . أما نحن فقد سمعنا ، خارج النفق ، القنابل على بعد ، وجعلت مبانى المعسكر تهتز كلما دكت الطائرات البريطانية برلين بقنابلها ، هذا والعاصمة تبعدعنا ١٠٠ ميل . ولو حدثت هذه الغارة فى وقت آخر لتعالت أصواتنا بالهتاف ، ولكن أصواتنا الليلة كانت تعبر عن الحنق والغيظ . ولما أضيئت الأنوار كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحاً ، وظلّ الفارون يتسللون ويزحفون خفية إلى بطن الغابة .

وكانت الساعة الرابعة صباحاً أشد الساعات هولاً وأحرجها، فقد هتف الحارس من قلعته ينادى إليه زميلا من العسس الطواف ، فصعد زميله سلم القلعة وهبط الحارس وسار من فوره إلى فتحة النفق . ولم يكن من العسير عليه أن يتبينها ، فقد كان هواء النفق الساخن يتصاعد كالبخار المتكاثف ، وبدا على الثلج من الفتحة إلى طرف الغابة خط أسود من أثر زحف الفارين، ولعل إدمانه النظر فى ضوء مصباحه الكشاف قد أعشى عينيه ، فلما صار بينه وبين الفتحة أربع أقدام تريث واستدار وقعد ، ومكث مكانه خمس دقائق ، والرجال عند المخرج يكتمون أنفاسهم . وأخيراً عاد إلى قلعته وتسلل فوج آخر وابتلعتهم الغابة .

ولما حانت الساعة الخامسة صباحاً رأى المكلف بتنظيم الفرار أن ضوء الشمس أوشك أن ينتشر ، بحيث أصبح الخروج أمراً لا تؤمن مغبته . وقال : « لينزل ثلاثة

آخرون ثم نكف » ، فإذا أمكنهم جميعاً أن يفروا ، فإن الألمان لن يعلموا شيئاً قبل عرض الصباح . وهذا يفسح لرجالنا أربع ساعات أخرى قبل أن تبدأ مطاردتهم » .

فنزل الثلاثة مسرعين ، ولم يكد ثالثهم يستقل العربة صغيرة ويغيب في جوف النفق حتى سمعنا صوت مقذوف نارى

كان اثنان من الفارين قد بلغا شجرة الموعد في الغابة، وأخذ ثالث يزحف نحوها وقطع نصف طريقه إليها ، وما كاد الرابع يخرج من النفق حتى رأى صاحبُ الحبل حارساً يقترب ، ولو سار في طريقه لأدته قدماه إلى فتحة النفق . وشعر الواقفون عند المخرج بهز الحبل مرتين، فانبطحوا وجمدوا في أماكنهم ، وتابع الألماني سيره ، ولم يبق بينه وبين الفتحة سوى سبع ياردات ، ومع ذلك لم تقع عيناه عليها .

استمر الألماني يذهب ويجيء يمنة ويسرة وهو بين النائم واليقظان ، حتى اقترب من الفتحة وبينه وبينها ١٢ بوصة ، فلو خطا خطوة أخرى لعثر بالراقد المتماوت عند مخرج النفق، وخطا الألماني خطوة واحدة فإذا به يصحو من غفوته فجأة وينتبه ، وكأني به لم ير الراقد تحت قدميه ، ولكنه بلا ريب رأى ذلك الخط الأسود البادي في الثلج ، ورأى زميلنا الذي كان قد قطع نصف الطريق إلى الغابة ، فرفع الألماني بندقيته وأطلقها . وعندئذ برز رجل من بين الواقفين عند الشجرة وصاح به بالألمانية : « لا تطلق الرصاص . لا تطلق الرصاص » .

وأخذت الحارس دهشة ، فجعل يطلق الرصاص جزافا وهو مرتاع . فأقبل عليه الرجلان الواقفان عند طرف الغابة ، والرجل الذي كان يزحف ، رافعي أيديهم ، وإذا بالرجل الذي كان تحت قدمي الألماني بحيث لا يراه، ينهض رويداً رويداً . فقفز الحارس وارتد مسافة ياردة وصوّب نظره فرأى فتحة هاري ، فابتدر مصباحه الكشاف وصوبه إلى الفتحة ، فإذا بنوره يقع على وجه زميلنا الحادي والثمانين ، وهو متشبث بالسلم تكاد تزل به قدمه ، فنفخ صفارته . فما لبث أن أسرع إليه الحراس من كل ناحية . وهكذا قضى على هاري بعد حياة مديدة .

هب أهل المسكن ١٠٤ يحرقون في فزع أوراقنا ويتلفون أدواتنا ويخلعون أزياءهم . وارتد من بقي في النفق على أعقابهم وهم يتوقعون أن يطلق الرصاص على ظهورهم . ولما خرج إلينا آخرهم أغلقنا الباب وأعيدت المدفأة مكانها . وبعد قليل سمعنا حكا تحت الباب ، ذلك أن أحد الجرذان دخل النفق وتعسر عليه الخروج ، فتركناه حيث هو .

وما حانت الساعة السادسة حتى امتلأ

مسكننا بالحراس وأقاموا المدافع الرشاشة على الأبواب والنوافذ ، وشرعوا يفتشون مسكننا فكلما خرج منا رجل قبض عليه جرذ وأرغمه ، وهو واقف على الثلج ، أن يخلع ما عليه من ثياب ليفحصوها قطعة قطعة .

وما هى إلا ساعات حتى هبت المنطقة المجاورة كلها تطارد الفارين ، فكانت مطاردة مشهودة ، وبدأ الراديو يذيع على السكان أن يرقبوا الفارين ، وحشد للمطاردة آلاف من فرق الهجوم والجستابو ومن سلاح الطيران ، بل حشد لها أيضاً رجال البحرية من موانئ شتيتين ودانزج .

ومكثنا فى مسكننا ننتظر ما قد ينزل بنا من عقاب ، فلم يحدث أن فرّ من قبل عدد من الأسرى كالذى فرّ من نفق هارى ، وكنا نتوقع أن ينتقم الألمان منا ، وجاء رجال الجستابو ليباشروا التحقيق . ولما كان رجال الجيش يمقتونهم كل المقت ، لم يجدوا عوناً من الجرذان ، وكان الإخفاق نصيبهم ، بل استطعنا أن نسرق مصباحين من مصابيحهم الكشافة . وكان كل توفيقهم أنهم كشفوا أسرار السوق السوداء التى أقامها قائد المعسكر وأعوانه ، وسرعان ما أحيل القائد المسكين على المحكمة العسكرية .

وقبض على أغلب الفارين ، وعددهم ٧٦ فى يوم أو يومين ، وبعضهم أوغل فى الفرار حتى بلغ دانزج أو ميونيخ ، وقادهم الجستابو إلى سجن قذر فى جورلتز على مسافة ٤٠ ميلا منا ، وأعيد إلينا ١٥ رجلا ، ولم نعلم شيئاً عن الباقين .

وبعد أسبوعين من يوم الفرار دعى ضابطنا الأكبر إلى مكتب قائد المعسكر ، وقرأ عليه وهو متجهم الوجه البلاغ الرسمى عن حادثة الفرار ، فإذا فيه أن ٤١ ضابطا من الفارين قد أعدموا رمياً بالرصاص .

فجمعنا ضابطنا الأكبر وأبلغنا هذه الأنباء المفزعة ، وقد حرم ميثاق جنيف توقيع عقاب صارم على الأسرى إذا ما حاولوا الفرار ، ولم يفعل الألمان هذه الفعلة قط ، فظننا أن هذا البلاغ حيلة يقصد بها تثبيطنا عن محاولة الفرار مرة أخرى . ومع ذلك فقد أقمنا فى مسكننا الصلاة على زملائنا القتلى ، ووضع كل رجل منا ، وهو غير حافل بالألمان شارة الحداد على كمه .

ولما علّق الألمان قائمة أسماء القتلى تبين أنها لا تحوى ٤١ اسماً بل ٤٧

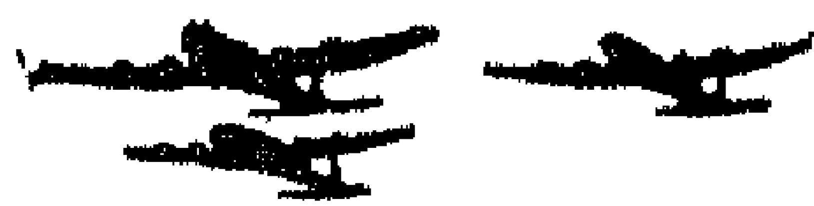
وبعد أيام أضافوا إليها ثلاثة أسماء ، وبعد أسبوعين جاؤونا بالقوارير التى تحوى ما تخلف من حرق جثث زملائنا فدفناها فى مقبرة المعسكر .

وفى شهر يونيو وصلنا كتاب بالإسبانية

موقع عليه باسم مستعار ، فعرفنا ان أحد زملائنا الفارين قد وصل إلى انجلترا . ثم جاءتنا بطاقة من السويد موقع عليها أيضاً باسم مستعار ، فعلمنا أن زميلين لنا من أبناء النرويج قد بلغا مأمنهما . فإذا جمعنا من عاد إلينا (وعددهم ١٥) إلى من أعدموا (وعددهم ٥٠) بقي ثمانية من الزملاء لا ندري عنهم شيئاً .

ولم نعلم إلا بعد زمن أنهم كانوا قد أرسلوا إلى معسكر الاعتقال السياسي الشهير في مدينة أورانين بورج ، والذي يفخر الجستابو بأن الفرار من أمثاله أمر مستحيل. ومع ذلك فلم يمض على مقام زملائنا فيه بضعة شهور ، حتى كانوا قد حفروا لهم نفقاً وفروا ، ثم قبض عليهم. ولكن ألمانيا كانت قد بدأت تنهار وتعمها الفوضى ، فلم يقتلوا .

وإذا كان الألمان قد قتلوا زملاءنا الخمسين ليرهبونا ، فقد أخطأوا ولا شك خطأ كبيراً. فقد أعاد زميلان لنا من الخبراء في شق الأنفاق، تأليف (هيئة س)، وبدأنا من فورنا نشق نفقاً سميناه «جورج» يبدأ من تحت المسرح ويضاهي هاري في اتساعه وطوله ، فلما شارفنا ساعة الهرب إذا بالألمان يجلوننا عن معسكرنا . وكنا في مدينة لوبيك في ٢ مايو ١٩٤٥ حين أقبلت علينا دبابات الجيش البريطاني الثاني مندفعة بسرعة في زحفها وأطلقت سراحنا .



نوادر

مفاجأة : تجرد رجل في سانت لويس من ملابسه لكي يفحصه الطبيب ، فإذا على بطنه وشم مؤداه : مرحباً يا دكتور .

هيام : تحير بوليس باريس في حدوث عشرة ثقوب في أنبوب الغاز في شقة واحدة خلال بضعة أسابيع. فقبض على الخادمة، فاعترفت بأنها هي التي أحدثت تسعة منها ، لأنها هامت بالسباك الذي أصلح الأول .

دليل : طلب القاضي إلياس مايرز في فلادلفيا دليلا على أن ثوب راقصة المسرح هفهاف لا يستر ، فطوى البوليس الثوب ووضعه كله في علبة كبريت .

كناس : حبس رجل في شيكاغو على ذمة التحقيق متهماً بسرقة ، فالتقط مكنسة وجعل يكنس أرض السجن ماراً بالحراس ، وخرج من الباب دون أن يستوقفه أحد .

حيث يستمتع الصغار بما يتعلمون، لأنهم يلمسون نفعاً فيما يتعلمون — ويتخرجون متأهبين لخوض معركة الحياة

أهذه مدرسة المستقبل ؟

جلاديس دنى شولتس

مختصرة من مجلة "بترهومز آند جاردنز"

يستطيع « هال أوينز » أن يجعل سيارة عتيقة زرية تجرى كما تجرى سيارة لم يمض عليها عامان ، وقد صنع أجهزة لاسلكية ذات موجة قصيرة ، وأقام مكبراً للصوت فى فناء البيت يستطيع به والده وهو جالس فى مكانه أن ينهر الكلب عن العواء . كان هال طفلا سعيداً ما وجد مشكلة ميكانيكية يشتغل بها ، ولكن المدرسة الثانوية كانت شيئاً غير ما يريد. وقد دلت اختبارات الذكاء أنه كان على جانب من الذكاء يكفى لاستيعاب دروس الطبيعة والنحو واللاتينية إذا هو لم يضيع وقته فى الاهتمام بأمور السيارات والراديو والكهرباء ، ولكنه ضاق ذرعا بالمدرسة ، فأخذ يتوسل إلى أهله أن يدعوه يخرج منها.

وأخيراً أرسله أهله إلى مدرسة ثانوية من نوع جديد تم افتتاحها . وكانوا يدعونها مدرسة « التعلم الجامع » ، إذ تجمع بين العلوم الفنية والثقافية على شكل يختلف عن المدارس الصناعية المعروفة . ودخل المدرسة الجديدة من زملائه فى المدرسة القديمة « أليكس » ، وكان يعد من الغباء بحيث لا يستطيع استيعاب الرياضة ، و «ستيف» الذى كان نمو جسمه أعظم من نمو عقله، وكان لاينى يشعر بتخلفه ونقصه وقلة تأهبه للتعلم .

وقضى هال وأليكس وستيف الشهور الثلاثة الأولى فى الفصل التوجيهى ، وهو معمل كبير معدّ لأنواع كثيرة من الفنون والهوايات . وفى هذا المعمل تمرسوا على فن النجارة وصناعة المعادن والكهرباء، ومرنوا على محركات الطائرات .

ولما كان هذا الضرب من المدارس يتيح لهال ما يشتهى من فن الميكانيكا ، كان فى رأيه شيئاً ترضى عنه النفس . وبدأ ينال أعلى الدرجات فى علم الطبيعة والنحو . وأظهر أليكس ميلا عظيما إلى الرسم والتصميم، وأصبح يستطيع استيعاب الرياضة ويرى فيها أداة لا بد منها حتى يصير مهندساً . وكانت قوة ستيف البدنية ذات فائدة كبيرة فى غرفة الآلات، وكف عن الشعور بضخامة جسمه وتخلفه عن زملائه ، وأكب على دراسته الجديدة إكبابا عظيما . واليوم صار

هؤلاء الأولاد الثلاثة الذين أعانهم على النجاح استخدام أيديهم وعقولهم على السواء، يتهيأون منذ اليوم لدخول الجامعة .

وثمة عدد من مدارس «التعليم الجامع» هــذه منتشرة فى أنحاء الولايات المتحدة . ولا يصدّنّك عن هذه المدارس أنها تدعى مدارس صناعية ، فإنها تعد البنين والبنات للحاق مباشرة بالصناعات أو الأعمال التجارية، وترسل من خريجيها إلى الجامعة وإلى الحرف العلمية عــدداً كعدد من ترسل المدرسة الثانوية سواء بسواء .

إن « التعليم الجامع » هو طراز عملى من التعليم محبّب إلى الشبان من الطلبة . فإن المهارة اليدوية التى ليس لها موضع فى المدرسة الثانوية التقليدية، كثيراً ماتقضى على المساوىء الخلقية ، وتدلنا على ما يصلح له الطالب من الصناعات فى المستقبل .

ويقول والترج . سكيبل ناظر مدرسة كروزير فى دالاس : « إننا نرحب بالطلبة « المعقــدين » إذ أننا لا نجــد فى أمرهم تعقيداً كبيراً . وغاية الأمر أنهم قوم أهل واقع وحقائق، يريدون أن يروا أن التعليم قمين بشىء من الجهد » .

وقد دل نظام « التعليم الجامع » على نجاحه وصلاحه منذ سنة ١٩١٢ فى مدرسة دار الصــناعة بإنديانابوليس ، حيث اتخذ ميلو ستيوارت من دار الصناعة القــديمة مكاناً أقام فيــه مدرسة ثانوية على أساس استعداد بعض الطلبة والطالبات وهواياتهم. وبدأت هذه المدرسة بأقل من مئتى طالب، وبها الآن ٥٤٠٠ طالب ، وهو ضعف عدد الطلبة فى أية مدرسة ثانوية بإنديانابوليس .

هــذه هى مدرسة المستقبل تعمل بكل قوتها على تعليم النظريات عن طريق التدريب العملى . ولا تظنن أن هذه المدرسة تخرج ميكانيكيين وصناعاً فقط ، فإن ١٨ فى المئــة من خريجيها وقت السلم التحقوا بالجامعات . (والمعدل فى الولايات المتحدة ١٥ فى المئة).

تصور مدرسة مساحتها ٧٦ فداناً ، عليها من المبانى ما يعدل مبانى جامعة كبيرة ، حيث يتولى طلبــة فى السادسة عشرة والسـابعة عشرة من أعمارهم فك محركات الطائرات وتركيبها ، وحيث يتفرغ أربعة من المدرسين إلى تدريس اللغــة اللاتينية ، وحيث يقوم الطلبة ببناء بيت كبير كل عام ، ويركبون فيه الأسلاك وأدوات المرافق، وحيث ينال الطلبة جوائز فى مسابقات الكتابة المبتكرة ، وحيث يستطيع الطالب أن يدرس إصلاح الأحذية وعلم الـكهيربات (الإلكترونات) ، وفى الوقت نفسه يدرس الموســيقى والنحت والتصوير أو صناعة آنية الفخار والخزف .

وتقوم الفصول العالية بأعمال لها سوق تجارية ، فى أشغال المعادن والخياطة وإصلاح الأثاث وإصلاح أجهزة الراديو والسيارات والزراعة وغيرها . ويستخدم الدخل الناتج من هذه الأعمال فى شراء الخامات ، ويستطيع صاحب سيارة أن يطلى سيارته طلاء فنياً فى ورشة إصلاح السيارات بهذه المدرسة ، مقابل ٢٥ ريالا بدل ١٢٥ ريالا فى أية جهة أخرى . على أن أصحاب ورش السيارات لا يعارضون فى ذلك ، إذ أن المدرسة توفر لهم الميكانيكيين المهرة المدربين . ويشرف على مثل هذه الفصول صناع فنيون من طراز ممتاز ، تأتى بهم المدرسة من أهل الصناعات نفسها .

وتدرس فى المدرسة كل مادة تسدحاجة مطلوبة . فإذا أراد طالب أن يتعلم صناعة تصفيف الشعر أو رسم الأزياء ، أو التقاط الصور ، فما عليه إلا أن يجد عدداً كافياً من الطلبة الذين يريدون هذه الدراسة نفسها ، وعندئذ تقوم المدرسة بتدبير أمر الدرس ومنح الشهادات .

ومن فصول الموسيقى الشعبية — هى دراسة أضيفت إلى دراسات المدرسة فى فن الانغام والتأليف الموسيقى — يتخرج الموسيقيون الذين يعزفون فى كثير من فرق موسيقى الرقص الشهيرة ، كما يتخرج من فصول الطهى بالمدرسة الطهاة الفنيون . أما فصل الكيمياء فى التحليل النوعى والكمى فإنك تجد فى كل شركة كيميائية فى مدينة إنديانابوليس خريجاً من خريجيه .

وإنه لفتى يصعب إرضاؤه ذلك الذى لا يجد بين ١٤٢ فصلا من فصول الفنون وورشها و ١١٩ مجموعة من مجموعات المواد الثقافية ، ما يوافق ذوقه وميوله . والذى يساعد الطلبة على اختيار ما يحبونه ويصلحون له أكثر من غيره ، هو نظام التوجيه والإرشاد المبنى على نتائج المدرسة الابتدائية ، والاختبارات الشخصية ، وميول الطالب .

وقد تمت محاولة أريد بها أن تربط جميع المواد بطريقة ما بالحياة اليومية . فالأدب القديم يدرس على أنه أصل أدب العصر الحاضر . ويربط قسم اللغة اللاتينية تاريخ الحملة الإيطالية (فى الحرب العالمية الثانية) بعصر القياصرة . ومما هو جدير بالذكر أن اللاتينية حافظت على منزلتها فى القسم الفنى بالرغم من شدة ضغط المواد العملية وكثرتها .

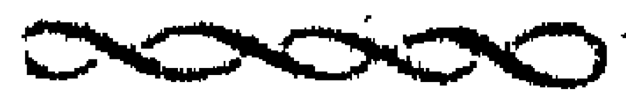
وكان من نتائج هذا الاتجاه العملى فى التعليم ، أن بلغ إقبال الطلبة على عملهم والتفاتهم إليه مبلغاً كبيراً . فإذا بدا على الطلبة قلة الالتفات أو علت ضوضاؤهم ، فإن برنامج المادة يعاد النظر فيه من جديد ،

حتى تربط المادة ربطاً أوثق بحياة الطلبـة وميولهم .

ويعمل مئات من الطلبة فى صناعات إنديانابوليس أثناء دراستهم بهذه المدرسة ، فإذا ما تخرجوا اشتغلوا بالأعمال التى هيأوا أنفسهم لها . وترسـل بعض مؤسـسات الأعمال المتفوقين من خريجى المدرسة إلى الجامعة لإعدادهم للوظائف الإدارية فى هذه المؤسسات .

أما جاكوب جونز الذى كان رئيس قسم صناعة البناء فى المدرسة، فهو اليوم يصرف همّه فى تدبير عمل للمتخرجين وتنسيق الصلات بين المدرسـة ونقابات العمال بإنديانابوليس ، وبينها وبين نيف وألف صناعة من صناعات هذه المدينة .

ومدرسة دار الصـناعة الفنية مثل حىّ لما يحدث، إذا بدأ المعـلمون بأولاد وبنات من نوع خاص ، بدلا من أن يبدأوا بمنهج دراسى خاص . وتمنح الحكومة إعانة من المـال لدراسة الحرف بالمدرسـة ، وتقوم مدينة إنديانابوليس بدفع الباقى . ولن تجد بين دافعى الضرائب من يشكو من التكاليف، فإن مدرسة دار الصناعة الفنية ترد الجميل بجميل أعظم ، بتدريبها العمال المهـرة المسؤولين ، وتحبيبها العلم إلى قلوب الطلبة من فتيان وفتيات .



لم أزل احترم المثل الفلبينى القائل : « الفم المطبق لا يدخله الذباب » .

[ثيودور روزفلت]



هو الرأى الصواب

أقام ملك القبائل فى جزيرة ساموى حفلة تكريم للطبيب والمؤلف المشهور الدكتور فيكتور هايزر ، فلما انتهت المأدبة وجاء دور الخطب ، قام خطيب محترف وألقى خطبـة فياضة بالثناء على الدكتور ، على حين ظلّ الملك قاعداً متربعاً . فلما انتهى الخطيب ، وهمّ الدكتور بالوقوف للردّ على الثناء بالشكر ، ردّه الملك قائلا : « لا تفعل ، فقد دبّرت لك خطيباً ينطق بلسانك ، فنحن فى هذه الجزائر لا نحبّ أن نلقى بزمام الخطابة إلى الهواة ! »

[مجلة « ذى كومنتيتور »]

رجل اشتهر باختيار الفتيات لبيوت الأزياء ونماذج المصورين، يحدثك كيف تستطيع المرأة أن تكون فاتنة .

سر جمال المرأة

جون روبرت باورز • مختصرة من مجلة " ذى أميريكان مجازين "

تقول اللغة فى تعريف الإنسان الجميل انه هو «الذى يحرك قلبك حسنه» ولكن قلب من ؟ من أجل هذا كان من العسير تعريف جمال الأنثى ، فإن «الجمال» يتوقف على نظرة الناظر إليه .

ووجهة نظر النساء فى هذا الشأن أدق وأصنع ، فإنهن يحببن الأناقة والرشاقة ، ويعجبن بالشعر المصفف تصفيفاً بديعاً ، وينظرن من المرأة إلى التفاصيل مفردة ، على حين ترى الرجل يفتنه من المرأة أو يردّه عنها ، ذلك الأثر الذى تتركه فى نفسه جملة واحدة . فالرجال أكثر فتنة برقة المرأة ومفاتن جسدها وخفتها ، ويحبون المظهر الطبيعى غير المتصنع فيها .

وثمة نوعان من النساء يثنين إليهن أنظار الرجال : الأول المرأة ذات المظهر والأبهة التى تأنقت فيها يد الصّناع هذه يعجب بها الرجال، ولكنهم لا يرتاحون إليها إذا ضمهم مجلس فى خلوة أو سامر. والأخرى هى المرأة التى حباها الله بالحسن وفيها حنان وعطف، وهى التى تفيض على صاحبها المتعة والسعادة فى البيت أو النزهة .

وتناسق قسمات الوجه أمر لابد منه للجمال ، ولكنه أول المرحلة فحسب ، فإن كثيرات من الفتيات اللواتى يدخلن مكتبى هن — إذا نحن حكمنا مقاييس الجمال — من أروع النساء جمالا ، ولكنى لا أكاد أراهن حتى أعجل بصرفهن ، فإنهن يمشين مشية النّشوق العِجال، وأصواتهن منكرة لا عذوبة فيها ، وعقولهن قاع ضحضاح لا غور لها .

إن للمرأة الجميلة بهاء يشع من ذات نفسها، فإن الجمال الحق يفيض من داخل النفس . وقد يبدو هذا مبتذلاً ولكنه حق ، وإلا فلماذا تكون المرأة أفتن ما تكون يوم عرسها ؟

وعندى أن المرأة لا يمكن أن تكون جميلة إلا إذا هى استمتعت بحياتها كل

الاستمتاع، ونمّت جميع مواهبها على السواء، ووثقت بنفسها، واستطاعت أن تجعل بين عقلها وجسمها انسجاما لا كلفة فيه. وقد تكون المرأة جميلة القسمات قبل أن تبلغ الثامنة والعشرين من عمرها، ولكنها لا تكون يومئذ قد تملّت من الحياة حتى يشفّ وجهها عما يعتلج في أعماق نفسها من الشعور.

إني لشديد النقمة على رجال التزيين في هوليوود، فإنهم يدمرون الجمال الذي فطرت عليه الفتاة، ليختلقوا مكانه جمالا يسحر روّاد السينما، بما يبرزون من مفاتن الجسد، فهم كمن يأخذ الثمرة الغضة فيحيلها ثمرة محفوظة في علبة. وإني لأوثر الغضّ. وفي هوليوود نساء لا يزال جمالهن غضاً كما خلق، ولكن جلهن ممثلات ناشئات لا يتقاضين أكثر من ١٠٠ جنيهاً في الأسبوع، وهن يتخذن زينة في الأفلام، وهن اللواتي يجعلن هوليوود كعبة الجمال في العالم.

ومعظم من أعرفهن من نماذج التصوير نساء غير متصنعات، ولا بد من أن يكن لذلك، حتى تروق طلعتهن عين الرائي حين يصوّرن وهن ينظرن متهللات إلى سرير أو ثلاجة، فيغرينه بالإقبال على شرائه.

ولا بد للفتاة التي تعرض الأزياء من أن تكون رائعة الشخصية، حتى يتسنى لها أن تجعل الثوب الذي قيمته جنيهان، يبدو في عين الرائي حين ترتديه، ثوباً قيمته عشرون جنيهاً.

أما الفتيات اللواتي تتخذهن محلات الأزياء نماذج لعرض الأزياء الجديدة، فلهن شأن آخر. وعلى النساء أن يفهمن ذلك قبل أن يجهدن في تقليد ما تنمّ عنه وجوههن من خبرة بالحياة وتجربة، فإن عملهنّ يقتضيهن أن يجرّدن وجوههن من آثار شخصيتهن، ويجهدن في أن يبدون برمات بالحياة، فتراهن يرمين الأفق البعيد بطرف شارد، ويحتلن حتى تبدو خدودهن ضامرة دقيقة، فإن دقة القسمات ونتوءها تجعل الصورة أشد وقعاً في النفس. وهن يفعلن ذلك كله حتى لا ترى النساء سوى ما يرتدينه من معطف ثمين أو ثوب فاخر. فينبغي للنساء أن يعلمن أن هذه الهيئة التي تتخذها نماذج الأزياء تصلح للغرض الذي اتخذت من أجله، ولكنها هيئة غير صالحة في الحياة، إذ هي تبطل سحر النساء وتنفّر عنهن قلوب الرجال.

ولعل أفظع خطأ ترتكبه النساء هو تقليدهن ما يرينه في اللواتي يعدّونهن جميلات، من أزياء تصفيف الشعر وزينة الوجه وتصنيعه، دون أن يفكرن كيف تبدو هذه الأزياء عليهن. فإنه لا ينبغي مثلاً أن

تعمد فتاة لا تنفكّ تخرج لعمل أو رياضة ، إلى زى رائع من أزياء تصفيف الشعر، فإن ذلك لا يناسبها البتة .

وأسباب الجمال مشاع بين النساء جميعاً ، فهى ميسورة لكل فتاة تقريباً إلا إذا كانت دميمة الخلقة . وإذا كانت الفتاة ذات شخصية فاتنة ، استطاعت أن تكون جميلة وإن اخطأها كمال القسمات جميعاً . وحسبها أن يكون بعض قسماتها جميلا حتى تحيطه بما يبرز هذا الجمال من زينة وملبس .

وأول شىء ينبغى للمرأة أن تفعله هو أن تعرف أى نوع من أنواع النساء هى ، حتى تتخذ لنفسها زياً يلائمها . وأن تعرف أى زى من أزياء التزيين وتصفيف الشعر ترتاح إليه وتشعر فيه بالثقة فى نفسها ؟ فإذا عرفته، فذلك هو الزى الذى يناسبها ويظهرها فى أحسن رونق، وينبغى أن لا تحاول غيره تقليداً لسواها من الجميلات .

وأنا أعرف فتاة يعدّها كثيرون من أجمل فتيات هوليوود، وكانت تعمل نموذج أزياء وهى الآن ممثلة مشهورة . وهذه الفتاة عريضة المنكبين غائرة الثديين غليظة الساقين ، ولكن ما من أحد يلحظ ذلك ، فقد عمدت إلى زينة لا تدعك ترى غير وجهها ، وهو ولا شك آية فى الجمال ، أما كل شىء سواه فقد خفى حتى لا يكاد يستوقف أحداً . وقد استطاعت بذلك أن تخلق صورة من الجمال النادر .

وهاك بعض السمات المشتركة بين النساء الجميلات : بهاء الصحة ، والشعر اللامع البراق ، والصوت الخافت العذب ، والمشية المطمئنة ، والقد المعتدل ، والشخصية التى تفيض بالمرح والسعادة ، والشوق إلى المعرفة ، وقوة الأخلاق وثباتها ، والثقة بالنفس وإرسالها على السجية .



إذا حسن من المرأة خفيّاها حسن سائرها : صوتها ومشيتها

[كلمة عربية قديمة]



دخل النخّارُ العُذرىّ على معاوية بن أبى سفيان فى عباءة فاحتقره ، فرأى ذلك النخّارُ فى وجهه فقال له : يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلمك إنما يكلمك من فيها . ثم تكلم فملأ سمعه ، ثم نهض ولم يسأله شيئاً . فقال معاوية : ما رأيت رجلا أحقر أوّلا ، ولا أجلّ آخراً منه .

امتحن ذكاءك وفطنتك

هذه أسئلة لامتحان الذكاء ، ولكنها تختلف عما ألفته ولست فى حاجة إلى دائرة معارف لتعرف الأجوبة الصحيحة ، ولكن حذار من المزالق ! وتجد الأجوبة الصحيحة فى ص ٩٢

١ — أنتِ يا سعاد ، واقفة على أرض مصنوعة من الخشب الصلب ، فكيف تستطيعين أن تتركى بيضة نيئة تسقط من يدك ، فتقطع مسافة ثلاث أقدام دون أن تتحطم قشرتها ؟

٢ — وأنتَ يافائق كيف تستطيع أن تقذف كرة بكل قوتك ، بحيث تنطلق ثم تقف ، ثم ترتد إليك . . . دون أن تصدم جداراً أو لوحاً أو أى حائل ترتد عنه إليك ؟

٣ — وأنت ياسالم إذا وجهت سيارتك إلى الجنوب فى طريق عادى ، فكيف تستطيع أن تسير بها مسافة ميل ، ثم تلفى نفسك ، دون أن تغير اتجاه السيارة ، فى مكان يبعد ميلا إلى الشمال من الموضع الذى بدأت منه سيرك ؟

٤ — وأنتِ ياسميرة كيف تستطيعين أن تفسرى ما يلى : والدان وابنان ذهبوا إلى الصيد فاصطادوا ثلاثة أرانب وحسب ، فعاد كل منهم بأرنب من الصيد .

٥ — وأنت ياعبد المنعم قائدُ طائرة تطير من القاهرة إلى بغداد مسافة ألف ميل ، وتسير الطائرة بسرعة ٢٠٠ ميل فى الساعة ، وتقف مرة واحدة مدة نصف ساعة . فما اسم القائد ؟

٦ — وأنت يا وحيد ، تنص قوانين بعض الأمم على عقاب من يحاول أن يرتكب جريمة بعينها ، ولا تعاقب من ينجح فى ارتكاب تلك الجريمة . فما هى الجريمة ؟

٧ — وأنتِ ياسهير ، هذا رجل عُصبت عيناه ، ثم علق أحد الحاضرين طربوشه ، ثم مشى الرجل المعصوب العينين مئة متر واستدار ، وأطلق رصاصة من مسدس فاخترقت الطربوش . فكيف يمكن ذلك ؟

٨ — وأنت ياحميد ، أردت أن تقطع جذع شجرة ، فاستأجرت فلاحاً ليقطعه ، فطلب خمسة قروش ليقطعه قطعتين . وأنت تريد أن يُقطِّع الجذع أربع قطع ، فكم يتقاضاك الفلاح ؟

٩ — وأنتِ ياشهيرة ، فى سنة ١٩٣٩ زار امبراطور الهند ، الولايات المتحدة الأمريكية . فما كان اسمه ؟

١٠ — وأنت يامصطفى ، كيف تستطيع أن تضع فى وقت معاً ، يسراك فى الجيب الأيمن من بنطلونك ، ويمناك فى جيبه الأيسر ؟ جرِّب .

كيف نتقى الفواجع التى يعقبها تلوث الجروح التافهة »

لم يكن سوى خدش...!

لويس ماتوكس ميلر

مختصرة من مجلة "هايجيا"

أُخِذَ شاب يصلح شبكة من السلك، فأصاب يده خدش فلم يكترث له . وبعد اثنى عشرة ساعة ورمت يده ورما مؤلماً فاستدعى الطبيب، واستفحل الالتهاب بسرعة . وفى اليوم التالى مات المريض من سريان الميكروب السبحى .

ووخزت امرأة إبهامها وهى تشذب بستان أزهارها، وكانت الوخزة من التفاهة بحيث ظلت المرأة بضع ساعات لا تحس شيئاً . ثم أفزعها ما وجدته فجأة من ألم ممض وحمى، فحقنها طبيب بمصل مضاد، وأرسلها على عجل إلى المستشفى، فلم تغادره إلا بعد أسابيع قضتها تكافح عن حياتها، وقد خرجت بيد واحدة . وكان السبب : هو الأكلة الغارية .

وهذا صبى فى التاسعة من عمره كان يصلح لعبة على صورة قطار فجرح ساقه بإزميل الثلج، وكان ألم الخدش ضئيلا وكان نزفه أضأل، فتجلد له تجلد الجندى، ولم يخبر به أحداً . وبعد بضع ليال هدّه التشنج والحمى، وعاده الطبيب ولكن بعد أن قضى الأمر، وجاء فى شهادة الوفاة : « إصابة بالكُزاز (التيتانوس) من جرح صغير » .

فى كل عام يموت مئات من الناس، ويفقد ألوف منهم أيديهم أو أرجلهم أو أذرعهم أو أصابعهم من جراء إهمال الجروح التافهة والخدوش، وترى المصابين وأهلهم يقولون وقد هالتهم ضراوة الالتهاب وفتكه الفظيع الذريع : « ولكنه لم يكن سوى خدش، ولم تخرج منه قطرة دم » . ومع ذلك فإن الأطباء ومديرى المستشفيات الذين تزخر سجلاتهم بمثل هذه المآسى التافهة الأسباب، يدركون أن الجرح التافه هو أخطر الجروح، لأن تفاهته تصرف عن الحذر . وتسعة أعشار حالات الالتهاب الخطيرة تنشأ من أذى هو من التفاهة بحيث لا يعبأ المرء به .

هذا تلميذ كان يلعب الكرة فتنفطت عقبه ثم تفقأت، ودفعه حرصه على الاستمرار فى التدريب أن يضمدها بقطعة من الضماد اللصّاق، واستمر يلعب عدة أيام بقدمه

المصابة ، ولم يكن ماجر" عليه دخول المستشفى فالوفاة ، تلك النفطة في عقبه ، بل سريان الميكروب السبحي في ساقه . وما أشبه هذه الحالة بأختها التي قضت على الفتى كالفن كولدج ابن رئيس الولايات المتحدة الأسبق .

يقرر الأطباء أن كل خدش مهما صغر يتطلب العلاج السريع ، ولما لم يكن من المعقول أن نستشيرهم في كل وخزة في أصبع أو سلخ في قصبة الساق ، فماذا ينبغي أن نفعل ؟ يقول لك الطبيب : « تعلم ما سر الالتهاب ، ثم اتق شره بالاحتياط » .

هـذا رجل في السبعين من عمره كان يفخر بأنه لم يمرض قط ، وبينما كان ذات يوم يشق خشبة ، دخلت شـظية في ساقه فانتزعها ، ولـكنه لم يطهر الجرح ، فالتهب ووجع ، وتوفى الرجل قبل أن يتاح نقله إلى المستشفى .

فما علة الوفاة ؟ أكانت شظية مسمومة أم هي جراثيم تجمعت على رأس قطعة من الخشب المتعفن ؟ قد يكون وقد لا يكون ، فكثيراً ما يكون المرء هو الجاني على نفسه في حالات الالتهاب . ومهما بالغنا في نظافة أبداننا ، فإن عدداً عديداً من الميكروبات يظل عالقاً بجلدنا على الدوام ، وربما بلغ نصيب البوصة المربعة منها ملايين . ومادامت هذه الميكروبات على البشرة فلا ضرر منها، ولـكن ما هو إلا أن يتمزق الجلد ، سواء أكان جرحا فاغراً أو خدشاً سخيفاً ، حتى يصبح في قدرة هذه الميكروبات أن تغزو الجسم ، وتفرخ فيه وتتكاثر وتعيث فساداً. ومن حسن الحظ أن هـذه الميكروبات تتطلب حوالى ست ساعات حتى تثبت أقدامها في الجسم ، وفي خلال هـذه الفترة يمكن توقي شرها بالغسل الجيـد أو التطهير في أغلب الأحيان .

ولما كان أكثر الناس يفرط في الإهمال، فما الذي منع حوادث الموت والبتر المفزعة أن تـكون أضعاف ما هي الآن ؟ ذلك أن الجسم يعلن على الميكروبات الغازية حربا شعواء مادام سليما ، فما هو إلا أن يتمزق الجلد حتى ينشط سائر البدن للدفاع ، فتندفع كريات الدم البيض إلى ما حول الجرح ، وتحاصر الميكروبات ، وتحاول أن تحول بينها وبين الانتشـار ، ثم تلفظها قيحاً . ولـكنها لا تنتصر عليها في جميع المعارك .

ومن الخـير أن يشتد نزف الجروح ، فإنها عندئذ تستصرخنا في طلب الإسعاف فنسرع إلى الطبيب . وفضلا عن ذلك فإن الدم نفسه يعمـل عمل المطهر ، ويساعد بجريانه على غسل الجرح ، ومن أجل ذلك فإن المبالغة في الحرص على وقف الدم الجاري يمكن أن يستغنى عنها . ففي الجسم ذخيرة

عظيمة من الدم. فينبغى ألا يلهينا النزف عن أخطار أعظم من خطر النزف .

إن شر المآسى كامنــة فى الجراح التى تبدو من التفاهة بحيث لاتلجئنا إلى الحرص على الإسعاف الأوّلى . فقد تشك إبرة أصبع ربة البيت ، أو قد يدخل مسمار صدئ فى قدم فلاح ، أو تخدش آلة يد موظف ، فيشغل أحــدهم عمله عن استعمال اليود . فكثيراً ما يفضى ذلك بأحدهم إلى القبر أو إلى عكازتين ، أو يضطر عائل الأسرة أن يتعلم كيف يعمل بيسراه .

وأخبث الجروح هو الوخز الدقيق الذى لا يلبث أن ينطبق بعضه على بعض عقب حــدوثه ، فإن ما تحدثه المسامير الصدئة والدبابيس ولعب الأطفال أو سواها من الأدوات التى توجد بين أكوام الرجيع ، والقــديم من اللبن والملاط ، قد تولج فى الجرح جراثيم الكُزاز القاتلة ، فتستقر حيث تريد بمنجاة من الهواء ، وإذا لم يحقن المصاب بالمصل الواقى فإن ما يعقبه الكزاز الختال القاتل فى أغلب الأحيان من شلل وتشنجات ، قد لا يظهر إلا بعد أسابيع ، يوم يكون الجرح الذى أحدثها قد طواه النسيان .

لقد دلت التجارب فى الشركات الصناعية على أن أكثر عدوى الميكروبات يمكن توقيها . وكثير من الشركات الآن تعاقب موظفيها الذين يهمــلون إسعاف أى جرح مهما كان من التفاهة ، والفضل فى ذلك لعمال التأمين ومهندسى الأمن . وفى بعض المصانع الكبيرة التى تطبق فيهـا القوانين تطبيقاً دقيقاً ، هبط معــدل الالتهابات الناشئة من الحوادث إلى جزء من واحد فى المئة . ويقول الأطباء إن مثل هذه العناية لو بذلت فى البيت والمدرسة ، لأمكن توقى ٩٠ فى المئة من الفجائع الناشئة من الالتهابات ، وحبذا لو استمعنا إلى هذه النصيحة .

ينبغى أن تهتم بكل تهتك فى الجــلد ، فاغسله من فورك بالماء والصابون ، فإن هذا الغسل ناجع فى أغلب الأحيان ، وبالغ فى الحيطة واستعمل مطهراً ، ولعل من خير المطهرات صبغة اليود ، ويكفى منها محلول قوته ٣ فى المئة لتطهير الجراح الصغيرة .

ولا تتبع تلك العادة الشائعة أن تمص الجرح بفمك ، فإن فمك موطن دائم لكثير من أنواع الميكروبات الخطيرة ، تستطيع من ثم أن تقتحم الجرح وتلوثه . وتذكر عندما تنزع شظية منغرسة فى الجلد بإبرة ، أن الإبرة قد يكون لها من الخطر ما للشظية ، مالم تعقمها على لهب .

وليس طلاء الوخزة بصبغة اليود كافياً ، فإن الميكروبات قد تكون تغلغلت إلى حيث

لا يمكن أن تبلغها صبغة اليود ، فإذا كان مثل هذا الجرح قد نشأ من مسمار صدئ أو أية آلة قذرة ، فيجب عندئذ عرضه على الطبيب، ولا تخش أن يعدك الطبيب موسوساً كثير الشكوى ، فهو قد رأى من حوادث الموت والبتر ما يردّه عن ذلك ، واستشره من فورك إذا وجدت من الخدش ألماً أو أحسست التهاباً .

نعم إن كثيراً من الناس قد نزعوا شظايا كبيرة غرزت فى أبدانهم ، أو جرحوا أنفسهم بإزميل ولم يتخذوا أى احتياط ، وقد نجوا من شر العدوى . لقد خاطر هؤلاء المجدودون ثقة منهم بما للجسم من كيمياء عجيبة ، ومن الحكمة أن نؤمن بمثل هذه الخوارق ، ولكن ينبغى لنا أن نقدّم الحذر .



صلات متوترة

— طلبت امرأة فى هوليوود الطلاق من زوجها ، لأنه ألف أن يذهب بها إلى دار سينما رخيصة الأجر، فيتركها فيها ثم يذهب إلى دار سينما غالية الأجر.

— وطلبت أخرى الطلاق لأن زوجها يضع قطناً فى أذنيه كلما جاءتها والدتها زائرة .

— وطلبت ثالثة الطلاق متهمة زوجها بأنه باع فرن المطبخ ليشترى بثمنه خمراً . فاعترف الزوج بما فعل ، ولكنه طلب تخفيف العقوبة لأن زوجته ظلت أسبوعين لا تفتقد الفرن ، لجهلها الطبخ وعدم اهتمامها بالمطبخ .



التحية البارعة

فى مأدبة كبيرة أقيمت فى وشنطن كانت أرملة تحدّث شاباً فسألته أن يقدّر عمرها . فلما تردّد ، قالت : «هيا بنا لابد أن تكون قد قدّرته تقديراً ما» .

فقال مبتسما : « لقد قدرته على غير وجه واحد . وإننى لحائر ، بين أن أخفضه عشر سنوات لما أرى من شبابك ، وأن أزيده عشر سنوات لما أرى من ذكائك » .

سنابك الجياد تطأ البرارى

هربرت رافينال ساس

مختصرة من مجـــلة "كنترى جنتلمان"

عد بخيالك إلى ثلاثة آلاف سنة قبـل يومنا هذا . فهذه سفن الفينيقيين تشق البحر إلى إسبانيا وهى مُوقَرة بالحديد والأصباغ والأفاويه والثمار . وهى تحمـل أيضاً جياداً رائعة متوقدة من بلاد العرب وسواحل إفريقية الشمالية . ثم تمر القرون ، وإذا الجواد العربى البربرى المطهم المفتول العضل ، قد صار جواد الإسبان .

ثم انظر إلى أمريكا ، إلى سهوب أمريكا الغربيـة ، وهى كيفما قلبت فيها الطرف ، سهوب تغنى بها الشعراء ، وتحـدث عن عجائبها الروّاد ، سهوب الثور الأمريكى ، والغزال ، والدب الأغبر ، والهنود الحمر . ولكنك لا تجد فى طول هـذه السهوب وعرضها جواداً واحداً ، وترى الهنود الحمر يقطعون المسافات البعيدة سيراً على أقدامهم ، بطاء يتعثرون . وعلى هذا بقيت أمريكا إلى عهد غير بعيد — قارة لا خيل فيها .

ثم أسدل الستار حيناً ثم ارفعه ، وانظر إلى الغرب الأمريكى حـين أطلّ الروّاد والمستعمرون عليه . لقد حدثت معجزة ! فالسهوب تمور بأسراب الخيـل البرية ، ويكاد عددها فى بعض المناطق يضاهى عدد الثيران . وهذه أعراف مليون من الخيل تموج فى السهوب والصحارى . والقبـائل الهندية التى كانت رَجْلاً مقيداً بالأرض ، قد صارت قبـائل من المحاربين يمتطون صهوات الجياد . فكيف تمت هذه المعجزة ؟ إنها انقلاب من أروع وأخطر ما تم فى أرض تشرق عليها الشمس .

فى سـنة ١٥١٩ نزل بلاد المكسيك الفاتح الإسبانى هرناندو كورتيز ، وقد نقل معـه أول جيـاد وطئت أرض قارة أمريكا الشمالية . وفى سنة ١٥٤٠ مضى فرنسسكو فاسكيز كورونادو ، على صهوة جواده ، فعبر نهر ريو جراندى فى الشمال ، ومعـه نحو مئتين وستين من الفرسان ، وجعل يرتاد مجاهل الغرب الأمريكى . فتخلفت فى تلك البلاد خيول من خيول هذه الرحـلات ، والأغلب أن تكون هذه الخيول الشاردة ، هى التى صـارت الخيـل البرية الأولى فى أمريكا الشمالية .

. ولو لم تنزل الخيول فى الغرب الأمريكى وتستوطنها قبل وصول الروّاد والمستعمرين، لما صار الغرب إلى ما صار إليـه . فمعظم ما كان له من شأن اقتصادى ، ومما صار له من شأن فى الآداب والفنون — مرجعه إلى الجواد ، الجواد الذى جاء مع الإسبان، وفتح إمبراطورية عجز الإسبان عن فتحها.

كان هـذا الجواد جوادَ الصحراء ، جوادَ الفينيقيين والعرب ، ولم يتغير إلا قليلا . وقد تحدر من أصل عربى بربرى عتيق، فلما ترك هذا الحيوان الشديد المراس الظامىء الفصوص وحيداً يلتمس لنفسه الحياة فى سهوب الغرب الأمريكى المتلظية الجافة التى لا ماء فيها ، لم يلبث أن صار أجمـل جياد العالم طراً وأصبرها على الشدة ، وتكاثر تكاثراً عجيباً حيث تهلك الجيـاد المتحدرة من السلالات الشماليـة الضخمة التى ألفت الإقليم البـارد . وكذلك ازداد عـدد طوائف الجياد البرية ازدياداً سريعاً رائعاً.

وقد صحب هـذا التكاثر انتشار يقظة جديدة فى الغرب ، فصارت أمة بعد أمة من الهنود الحمر الذين ألفوا المشى المرهق منذ مئات القرون ، تفضّ جوامع الأغلال التى كبلتها إلى الأرض . وليس هناك ما هو أدل على هذا الانقلاب الرائع من قصة قبيلة « السيوكس » التى كانت منذ قرنين تقطن الغابات قرب منابع نهر المسيسبى ، وكانت عاجزة عن أن تحمى حماها وتردّ عدوان القبـائل الأخرى ، فهجرت موطنهـا إلى السهول الفسيحة حيث تكثر الثيران ، ثم لم تلبث أنْ جاءتها الخيـل البرية الأولى ، حين أخـذت تنتشر شمالا ، وكانت قبيلة السيوكس لا تعلم من أمر هذه المخلوقات شيئاً فسمتها « الكلاب المقدسة » .

وإذا قبيلة السيوكس قد تحولت أمة تمتطى صهوات الجياد ، وإذا رجالها قد صـاروا فرساناً تخشى صولتهم فى البرارى الشمالية ، بعد أن كانوا مشاة عجزة يفرون من وجه أعدائهم وهم كُثْـر. فانطلقوا غرباً وجنوباً يكتسحون كل من يقاومهم ، حتى صاروا سادة تلك المنطقة الغربية الواسعة . وكانوا يعتمدون فى طعامهم على الثيران ، وفى انتقالهم وحربهم على الخيـل ، فغدوا أقوى الأمم وأعزها فى تلك السهول .

والأرجح أن تكاثر الخيل فى السهل لم يكن أقل سرعة من تكاثر أبناء عمومتها البرية فى أمريكا الجنوبية ، وهى التى تحدرت من خمسة جياد وسبع أفراس أطلقت فى بوينس إيرس فى سـنة ١٥٣٧ ، فانبثّت عوازبها فى أقل من نصف قرن منتشرة مسافة ألفين من الأميال . ويقول أحـد الثقـات إنه لولا مجىء المستعمرين البيض

إلى السهول الغربية الأمريكية ، لبلغ عدد الخيل مبلغاً يضارع عدد الثيران ، وأقل تقدير لعدد الثيران هو خمسون مليوناً أما الروّاد الأول فقد رأوا فى تكساس وولايات المكسيك الشمالية ، قطعاناً عظيمة من الجياد ، على حين يذكر المؤرخ فيكتور شو أن بين نهر كولمبيا والنجود الصحراوية جماعات كبيرة من الخيل . وقد « استغرقت جماعة واحدة منها من الفجر إلى الغسق وهى تجتاز مكاناً بعينه » .

ومرت الأجيال يتلو بعضها بعضاً فى السهول الغربية ، وأخذ الجواد يفقد شيئاً من جماله وحجمه ورشاقته ، حتى صار إلى خيل الرعاة المعهودة الآن .

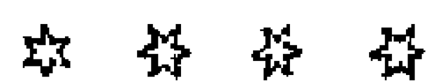
ولكن كان يظهر فى الحين بعد الحين ، جياد « مرتدّة » إلى أصولها العريقة ، فإذا هى أكبر وأسرع وأجمل ، فطبقت شهرتها الخافقين . وكان معظم هذه الخيول جياداً عتاقاً متحدرة من الجياد العربية البربرية ، دون أن يختلط دمها بدماء سلالات أخرى كجياد البرارى الآن .

ويغلب على الظن الآن أن عشرة آلاف من الخيول البرية لا تزال تروح وتغدو قطعاناً تختلف عدتها من ستة جياد إلى ستين . وهى تطوّف فى السهول ، كما كانت أسلافها تفعل فى صحارى شبه الجزيرة العربية وبلاد البربر ، فتعيد إلى الذهن تلك الأيام التى كان الجواد فيها ملك البرّ .

أما الجواد البرى الذى غير وجه قارة ، فقد انقرض مع الثور الأمريكى الذى كان الجواد من أسباب القضاء عليه . ولكن من العدل أن لا ننسى الجواد ، فقد مهد لاستعمار الغرب الأمريكى وإحيائه ، ولكل ما للغرب الأمريكى من أثر فى حياة الناس وفكرهم وحضارتهم .



السرُّ فى رأى المرأة سرّان : سرٌّ هو عندها أتفه من أن تكتمه ، وسرٌّ هو أعظم من أن تكتمه .



الحمقى رجلان : أحدهما يقول : هذا قديم فهو خير كله .
وثانيهما يقول : هذا جديد فهو إذن خير من القديم .
[الأسقف إنج]

« عالم من علماء التربة النابهين ينذرنا بأن الأرض التي استنفدت معادنها تهددنا بجوع خفى خطير » .

أنحن صائرون إلى الموت جوعًا ؟

سيل م . كلارك • مختصرة من مجلة "ستردای ایفننج بوست"

لقد حل بيننا خلسة عدوٌ جديد يختلنا فى الخفاء ، ويضربنا ضربات لانحس بها ، ويكاد يشق على الناس أن يؤمنوا بوجوده كما شق عليهم أن يؤمنوا بالجراثيم ، يوم أحدث باستير انقلاباً فى علم الطب بإماطة اللثام عن عملها فى إحداث المرض . وهذا العدو الجديد عدو لا يروعك بمظهره ، فما هو إلا نقص فى معادن التربة ليس إلا ، ثم لا يخلف آثاراً تدل عليه ، فإن الحقول التى كانت أبداً خضراء تظل كما كانت ، إلا أن نباتها ينقصه سر الحياة ، فهو لا يستطيع أن يمد الناس بطعام مغذٍّ نافع .

سمعت هذه القصة الشائقة التى رواها الدكتور وليام ا . ألبرخت بجامعة ميسورى وهو رائد من رواد كيمياء التربة ، وزعيم من زعماء بحوث التغذية قال : « بدأت أبحاث التغذية تشق طريقها فى نهاية القرن الماضى ، وبدأ الأطباء يدركون من تجاربهم ومشاهداتهم أن كثيراً من الأمراض يمكن أن يردّ إلى نقص فى عناصر الغذاء ، وأن كثيراً من صرعى المرض إنما هم صرعى جوع ، وقد سمى جوعهم « الجوع الخفى » لأن المرء قد يأكل ثلاث وجبات مشبعة فى اليوم ، ويظل مع ذلك مصاباً بهذا الجوع . فمنه الجوع إلى الكلس (الجير) الذى يورث الكساح . وتقترن النُّوطة (تضخم الغدة الدرقية فى العنق) بنقص فى اليود ، والعَشَى (سوء البصر ليلا) بنقص فى الكاروتين (مادة ملونة فى الجزر والخضر والدهون الحيوانية تمد الجسم بفيتامين ا) ، وفقر الدم بنقص فى الحديد أو فى النحاس ، واضطرابات الغدة الدرقية بنقص فى الزنك ، والتهاب اللوزتين بنقص فى الفضة ، ونخر الأسنان (تسوسها) بنقص فى الكلس والفوسفور والفلور » .

ثم مضى البرخت يقول : « إن النبات هو رأس مصانع الطعام فى الأرض ، وهو مستودع الغذاء ، ونحن نأكله أو نأكل الحيوان الذى يغتذى به . فإذا نقص من طعامنا شىء لا بد منه لسلامة أبداننا . فلا بد أن يكون معدوماً أو قليلا فى النبات ، فلماذا يكون معدوماً ؟ » .

لقد جعل الدكتور ألبرخت ما بين صحة الإنسان وبين الأرض من صلة، هدف أبحاثه الأكبر ، فاستطاع بسلسلة من الأبحاث أن يضع نظرية وافية لما يجرى فى تربة الأرض، وكيف يتم التعاون بين الأرض والنبات ، وكيف تسقم التربة فتسقم النبات ، ومن ثم تسقم الرجال والنساء .

إن النبات ، على ما يقول ، لا يستمد فى نمائه إلا جزءاً يسيراً من مادة الأرض ، فأكثر نمائه مستمد من الهواء والماء وضوء الشمس . وهو مولع بأن يقص على تلاميذه قصة التجربة العلمية التى جربها فان هيلمونت الكيميائى فى القرن السابع عشر، يوم زرع صفصافة زنتها خمسة أرطال فى مئتى رطل من التراب ، ولم يضف إليه شيئاً سوى الماء ، فوجد بعد خمسة أعوام أن وزن الصفصافة قد بلغ ١٦٦ رطلا ، وظلت زنة التراب ٢٠٠ رطل لم تنقص سوى أوقيتين .

يقول ألبرخت : « إن مساهمة التربة فى نمو النبات لا تزيد على خمسة فى المئة ، ولكن هذا الجزء اليسير لا غنى عنه لصحة النبات والإنسان ، فإن ما فى طعامنا من مواد الأرض هو « سر نماء » أبداننا — أى المعادن التى تبنى العظام والأسنان فى الحيوان وتمد أجسامنا بقوة البنيان . أما الهواء والماء وضوء الشمس فهى فى طعامنا « سر الحركة » — أى الوقود والطاقة اللذين لا بد منهما لنشاط البدن . وليس ثمة دليل على أن العناصر المستمدة من الهواء فى أطعمتنا ستعوزنا يوماً من الأيام . ولكنا نعانى الآن نقصاً فى عناصر الغذاء المستمدة من التربة . وإذا أعوزتنا معادن الأرض ، أعوزنا جوهر الصحة، وأعوزتنا الفيتامينات أيضاً ، فالمعروف أن المعادن إذا كانت وافرة فى التربة كانت الفيتامينات وافرة فى نباتها أيضاً .

والحقيقة الثانية التى ينبغى أن نعرفها — كما يقول ألبرخت — هى أن النبات قد يزكو زكاء عجيباً ، ولو عدم بعض المعادن اللازمة له ، ولكن كيانه مع ذلك يكون مختلفاً كل الاختلاف . فمقدار الكلس فى ورقة الخس مثلا يمكن أن يضاعف أو يختزل إلى النصف ، ويمكن أن يضاعف فى ورق السبانخ ثلاثة أضعاف أو يختزل إلى الثلث ، تبعاً لمقدار الجير فى التربة . وتتغير أيضاً مقادير المعادن فى الحشائش والأعشاب التى تأكلها البهائم ، وما تأكله هى له أثر فى ما نأكل نحن من لحوم البقر والضأن والبيض .

يقول ألبرخت : « وأجسامنا نحن — أمماً أو أفراداً ، بشراً أو بهائم — تكون كما نأكل. ففى الولايات المتحدة ينتج مربو الأنعام فى ميسورى بغالا ضخمة قوية ،

لأن التربة هناك غنيــة بالكلس الذى يشد العظام والأجسام . وتنجب ولاية كنتكى نوعاً كريماً من الجياد خيراً مما تنجبه فلوريدا، ومرجع ذلك إلى التربة . ومعــدل المرض والوفاة فى اليابان عالٍ ، لأن أكثر أرض اليابان فقير فى المعادن، بحيث يضطر اليابانيون إلى أكل السمك التماساً لسد حاجاتهم من المعادن والفيتامينات .

« وعند ما أطعمنا طوائف معينــة من الأرانب طعاماً يحتــوى على دريس تنقصه المعادن ، ضعفت ذكورها فى بضعة أسابيع، بحيث أصبحت لا تبالى الإناث ،أما الأرانب الأخرى التى كانت تتغذى بغذاء مماثل ولكنه غنى بالمعادن،لما فيه من دريس مما فى تربة مسمدة ، فقد أصبحت ذكورها ذئاباً مغتلمة إلى إناثها. فلما تبادلت الفئتان الطعام صارت الذئاب تستحى من الأناث، وصارت الذكور الحييــة ذئاباً مغتلمة . وكذلك الضأن التى ظلت مدة بعينها تأكل دريساً غنياً بالمعادن نابتاً فى تربة مسمدة ، أصبح وزنها ثلاثة أضعاف وزن نظائرها من نفس القطيع ، والتى أطعمت فى نفس المدة نفس القــدار من دريس نما فى تربة فقيرة فى معادنها. إن الغذاء الغنى بالمعادن يدنى المرء من الصحة ويعينه على أن يؤدى عمله خير أداء . وكلما صحت

وأراد ألبرخت أن يرينى هذه الظاهرة فى النبـات ، فسار بى إلى مستنبت زرعت فيه عدة أنواع من السبانخ تغــذى بأنواع مختلفة من الغذاء ،يتسلسل فيها مقدار المعادن من الوفر إلى القلة ، فكادت حشرة صغيرة تقضى على نبات السبانخ الذى ساءت تغذيته. وأما الذى حسنت تغذيتــه فلم تبد عليه أى الآثار التى تخلفها الآفة، فقد كمن فيها شيء يعينها على المقاومة . والبشر،كما قال ألبرخت، كالنبات ، فمن توفرت له فى طعامه عناصر الغذاء اللازمة كان أقدر على مقاومة بعض الأمراض .

وثمة حقيقة أخرى ينبغى أن لا ننساها — كما يقول ألبرخت — وهى أن التربة تفقد فى بعض الأحوال جزءاً كبــيراً من معادنها بسهولة ، فالمطر الغزير يجعل معادن الأرض تذوب ثم تغور مع المـاء فى جوف الأرض .

وكذلك إجهاد الأرض بالزرع يفقدها مقــداراً عظيما من معادنها ، وقد حسب ألبرخت ذات مرة مقدار المعادن التى فقدتها فى عام واحد مزرعة مساحتها ٢٠٠ فدان تنتج الشــوفان والذرة والقمح والبرسيم والحشائش، فإذا قيمته بسعر السوق الراهن ١٦٣٠ ريالا .

أو ثلاث خليقة أن تستنفد معادنها ، ولكن التربة لحسن الحظ يجدّ عليها شيئان : الأول أن الزراع يردون عليها معادنها بما يضيفونه إليها من سباخ أو سماد ، أو بما يطمره المحراث فيها من الحشائش. والثانى أن للتربة نفسها أسلوباً يجعلها تطلق سراح المعادن الكامنة عادة فى كثير منها ، فتجعلها صالحة لتغذية النبات . ومع ذلك فإن الفلاح يستطيع أن يستنفد معادن أرضه إذا أجهدها بالزراعة إجهاداً تعجز معه عن تجديد معادنها المفقودة .

وثمة مزرعة فى ولاية ميسورى ، صحبنى إليها ألبرخت لكى أراها . فمنذ سنة ١٨٨٦ اتخذت هذه المزرعة حقلاً للأبحاث الزراعية، وخصصت رقعة منها لزراعة القمح فى كل عام ، فكان يزال منها الخشب والتبن ولا يرد عليها شىء قط من سماد أو سباخ أو معادن . وكانت غلة هذه الرقعة وافرة فى أول الأمر ، ولكنها أخذت تتضاءل وتسوء على مر الأعوام . وقد أصبحت تربتها اليوم من الضعف بحيث لا تستطيع أن تجدد معادنها بين الموسم، والموسم حتى يتيسر أن تغل القمح كل عام،وصارت لا تستطيع أن تغل القمح إلا العام بعد العام .

تلك هى طبيعة ذلك العدو الخفى الذى يهاجم الأرض والنبات والأنعام والإنسان .

لقد استنفد الناس من رصيدهم فى مصرف التربة أكثر مما استودعوه ، وها هو ذا الإفلاس العاجل على الأبواب . إن الأمراض تتكاثر ، وعلل أسلب التى يمكن ردها إلى الغذاء تزداد ازدياداً مخيفاً ، واصبح السكر والرثية (التهاب المفاصل) وفقر الدم ونخر الأسنان وكثير من الأمراض الخفية الأسباب ، تتلظى بغياً وعدواناً . ويحاول الملايين من البشر أن يستعيضوا بالأدوية العقاقير عما يشعرون شعوراً مبهماً أنهم يحتاجون إليه . وإذا لم يكن المرض قد بلغ منا حتى ألجأنا إلى الطبيب ، فقد نكون بمنزلة بين الصحة والسقام . وقد ظهر من بحث أجرى فى أحد مصانع الطائرات فى كاليفورنيا،أن ثمة علاقة بين التعب ونقص الإنتاج والتغيب عن العمل من ناحية ، وبين نقص فيتامين ا و ج فى طعام العمال من ناحية أخرى. وثمة اكتشاف طبى خطير الشأن، هو أن كل مرض على وجه التقريب يمكن أن تحدثه إحداثاً بالغذاء الناقص . ويزداد اليوم عدد الأطباء الذين يؤمنون بأن العلاج وحده لا يكفى ، وأن الوقاية أمر لا بد منه ، وأنه ينبغى أن تبدأ الوقاية فى تربة الأرض .

لقد كان تغلغل هذا الفساد فى بعض مناطق الولايات المتحدة أكثر منه فى سواها.

ويقرر ألبرخت هـــذه الحقيقة ، وهى أن معادن المناطق الجنوبية قد أسرع فيها النقص وذلك لغزارة أمطارها ، وذوبان معادنها ، وتوالى الزراعات عليها ، فمن أجل ذلك صار حتما على زراع الجنوب أن يستعملوا أكبر مقدار من السماد . ومع ذلك فالذى تفقده من المعادن أكثر مما يضاف إليها بالتسميد. ويقول ألبرخت إن ٧٠ فى المئة من المجندين فى إحدى الولايات الجنوبية، قد ردّوا لعدم اللياقة الصحية، أما فى ولاية كولورادو حيث كان استنزاف المعادن من التربة أقل ، فقد قبل الجيش ٧٠ فى المئه من المجندين. وقصارى القول هو أن أهل الجنوب لا ينالون كفايتهم من القوت الصالح .

ويقول ألبرخت إن المشكلة تسير سيراً حثيثاً حتى أوشكت أن تصبح كارثة ، ولو تركناها تمضى فى طريقها قدماً لأدت إلى هلاك الشعب . وهذا هو مبلغ سلامة التربة من خطر الشأن .

أوَ فى وسعنا أن نتقى غائلة هـذا الجوع الخفى ؟ فإن كان ممكناً ، فكيف؟ إن مراحل الطريق لم تتبين كلها بعد ، ولكن اتجاهه واضح . فالتربة كالإنسان يجب أن تغذى حتى تسترد صحتها ، والنبات يحتاج فى نمائه إلى ١٤ عنصراً على الأقل، ويحتاج الحيوان فى نمائه إلى ١٦ . والقليل القليل من أكثر هـذه العناصر يسد الحاجة ، ولكنها على قلتها إذا انعدمت من التربة دب السقام دبيباً ظاهراً فيها ، وفى النبات ، وفى كل الكائنات التى تتغذى بالنبات .

زار ألبرخت مزرعة هيرفورد المشهورة بتربيـة الأنعام فى ميسورى ، فألفى قطيعاً من البقـر بأكمله مصاباً إصابة خطـيرة بأمراض يعجز الطب علاجها ، ووجد فى مزرعة قريبة منها قطيعاً آخر ، أتم عافية . ومن الغريب أن هـذا القطيع الثانى كان من سلالة القطيع الأول ، وكان الفرق بين صحة القطيعين فرقاً مردّه إلى تربة المزرعتين، فقد كان صاحب المزرعة الأولى يستغلها منـذ خمسين عاماً لا يبالى بصيانة معادن التربة، أما صاحب الثانية فقد اتبع النصيحة، فتعهد تربته بالرعاية والتقوية .

وقد تمت أعمـال باهرة فى علاج التربة السقيمة. فقد تكفى قبضة واحدة من المنجنيز فى حقل مزروع بالطماطم فتضاعف مقدار ما فيه من فيتامين ج ثلاثة أضعاف . ويكفى أن يوضع قليل من البورون حول شـجر التفاح فيضاعف مقدار ما فيه من فيتامين ا ضعفين. وقد قام ألبرت كارتر سافيدج بكنتكى منـذ سنين بتجارب على الخضر المسـمدة بالمعادن ، وكان يطعم فى مزرعته عدداً من المرضى ، فشفوا شفاء يوشك أن يكون من

الأعاجيب. وفى فلوريدا ترش حقول الليمون بالنحاس والزنك اللذين لا يتوافران فى تربتها، فيمتص ورق الأشجار هذه المعادن. وقد ضوعف مقدار الحديد فى اللبن أكثر من ضعفين، بالتسميد المناسب للتربة التى يرعى فيها البقر الحلوب.

على أن ألبرخت ينذرنا بأنْ ليس للتربة دواء واحد يشفيها من جميع أسقامها، فالكلس مثلا يصلحها ولكنك قد تسرف فى استعماله فيضرها، والبورون ينفع البرتقال ولكن الإفراط فيه قد يضره. وكل هذه الأشياء لم تزل قيد البحث، ولكن الدكتور جوناثان فورمان محرر مجلة « ولاية أوهيو الطبية » وأحد الباحثين فى التربة والتغذية يقول : « إنه ليس ثمة ما يمنع أمرءًا من أن أوساط الناس، إذا حسنت تنشئته وتغذيته، أن يعيش مئة عام فى صحة وعافية ».

إن هذه الحقائق تهم أكثر ما تهمُّ ساكن المدينة، لأنه يعتمد على الفلاح كل الاعتماد فى أمر طعامه ووفرة معادنه.

ويظن ألبرخت أن الصناعات الكيميائية التى وسعت الحرب نطاقها، ستتاح لها فى السلم فرصة عظيمة، لكى تصنع مواد ترد إلى التربة قواها، وإلى الأبدان سلامتها. وهو يقول إن البحث وحده هو المطية التى تبلغنا هذه الغاية.



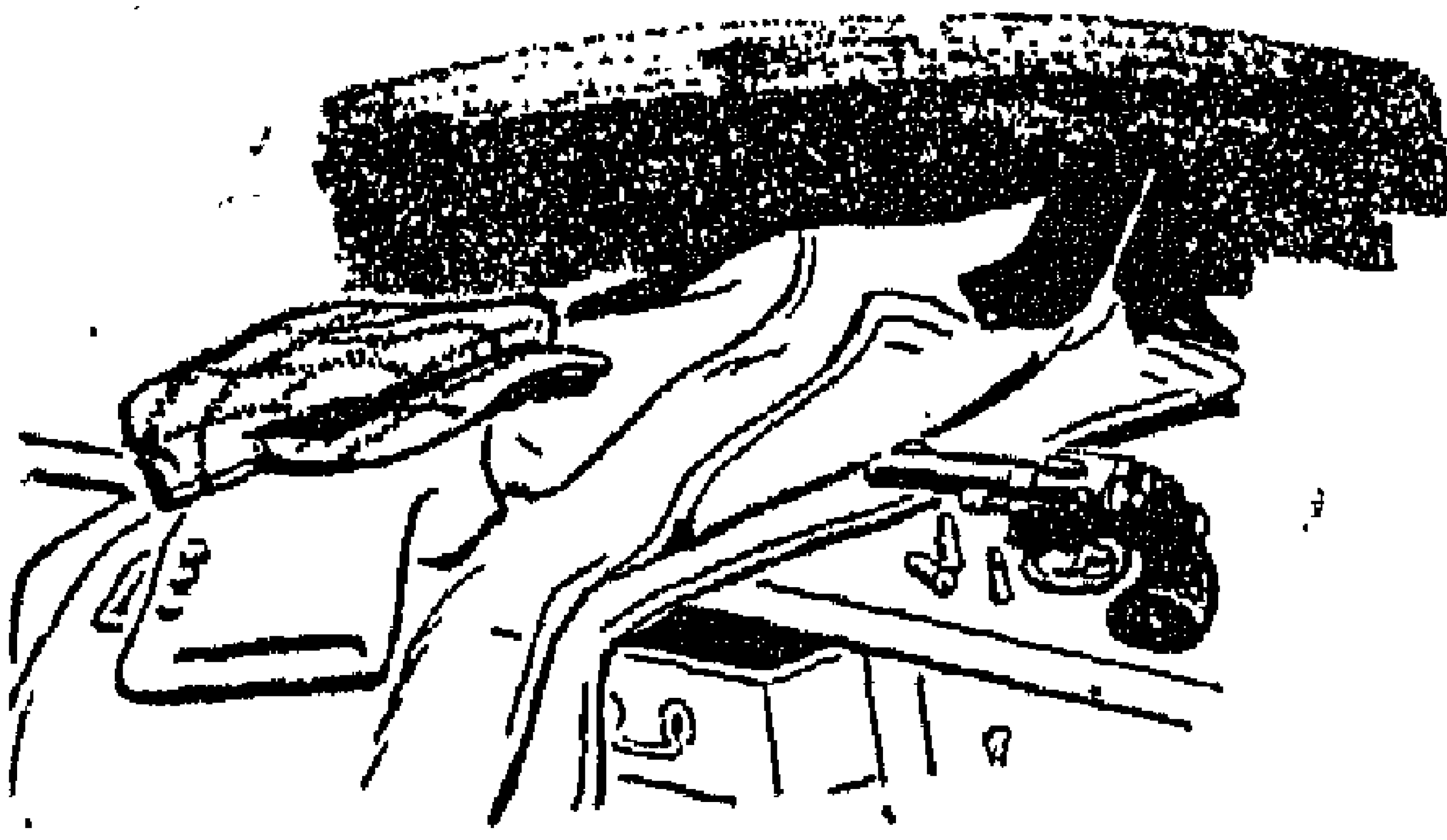
صور لفظية

كشَّر الليل الحالك عن أنيابه فى وميض برْقه. [طاغور]... اطبق الصمت حتى تكاد تسمع حسّ العنكبوت وهو ينسج بيته. [كاترين مانسفيلد]

التقى عقربا الساعة على منتصف الليل التقاءَ شِقَّى المِقراض، ليُجْهِزا على يوم آخر من أيام الحياة. [جورج بروكس] ... دبّ الفجر فى السماءِ يسارِق الخَطْوَ، كيما يطفىء مصابيح النجوم. [أليس جرانت رسمان]

لم يكد يعبأ بى إلا كما يعبأ بنصيحة غالية. [ك. ر. براون] ...هو رجل يستمدّ الدّعاية مما يحفظ ويستمدّ الحقائق مما يتخيّل. [رتشرد شريدان]

هذه قصة يتخذها بعض أساطين القانون مثالا لمثابرة نائب عمومى على إحقاق الحق وتوزيع العدل



القضية الكاملة

أنتونى أبوت

مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"

إنه مقتل قسيس بردجبورت منذ ٢١ عاماً، يعد مثالا لمطاردة المجرمين وكيف ينبغى أن تكون. وأوراق تحقيق هذه القضية يقرؤها اليوم وكلاء النيابة فى الولايات المتحدة، ويلقن أساتذة الجامعة طلبة القانون ما تضمنته القضية من مبادىء. وهى تعد مثلا فذاً على أن حقائق الحياة قد تكون أغرب من الخيال.

عادة ألفها القسيس روبرت داهم منذ ربع قرن، أنْ يسير بعد تناول العشاء فى أحد أحياء مدينة بردجبورت. وفى الساعة ٧ : ٤٠ من ليلة ٤ فبراير ١٩٢٤ سار فى شارع مين وقد أحنى رأسه لرياح الشتاء العاصفة، ودسّ يديه فى جيوب معطفه. ثم ظهر فجأة رجل خلف القسيس حيث يلتقى شارع هاى بشارع مين، ثم رفع يده اليمنى وفيها مسدس، وسدده إلى القسيس ثم أطلق الرصاص. فدوى الصوت فى ظلام الليل القارس. وانفتل القاتل راجعاً ولاذ بالفرار، وقد ترك جثة فريسته لتقضى منبوذاً على الأرض. وأعقب الحادث ضجة واتفقت أقوال سبعة من الشهود على أن القاتل الهارب شاب مربوع القامة، على رأسه قبعة، ويرتدى معطفاً أسود قصيراً له بنيقة من المخمل، وأنهم لمحوا بريق مسدس فى يده وهو يعدو. ولم يبد أن هناك باعثاً على ارتكاب الجريمة، فإن الناس من جميع الملل كانوا يحبون الأب داهم، ولقد مرّ ١٢٠٠ شخص أمام تابوته ليودعوه، ووقف الشهود وراء ستار يتوسمون وجوه المعزين، ولكنهم لم يهتدوا إلى القاتل.

ومضت الأيام ولم يعثر على دليل له قيمة، على رغم ما عرضوا من مكافآت سخية. وكان الجمهور ناقماً، والصحف على وشك أن تثور ساخطة، حين أعلن البوليس فجأة أن اللغز قد حلّ، وأن القاتل رهين السجن. فقد قبض رجال الشرطة فى مكان قريب من نورووك على أفاق مفاس، قال إنه يدعى هارولد إسرائيل. وقد كان شاباً مربوعاً على رأسه قبعة ويرتدى معطفاً قصيراً له بنيقة من

المخمل، وفي جيبه مسدس صغير من عيار ٣٢

وقد ظهر من التشريح أن الأب داهم قتل برصاصة من عيار ٣٢

وقد روى السجين أنه بعد أن قضى أيام خدمته العسكرية في بناما، اقتفى أثر صديقين حميمين، إلى بردجبورت. ولما أخفق في العثور على عمل هناك، ولى وجهه شطر بنسيلفانيا، وأنه كان في وقت ارتكاب الجريمة يشاهد فلماً اسمه « الملاكمون ».

ثم أقبل الشهود لينظروا إليه، وقارن خبراء الأسلحة أثر الرصاصة في جمجمة القتيل بالذخيرة التي في قناة مسدسه. وقد أفضت صديقة للقاتل، وهي عاملة في مطعم، بحديث طويل إلى رجال السلطة. وقد بلغ هياج الجمهور أقصى مداه حين اعترف هارولد إسرائيل بغتة اعترافه الشنيع، فقد ذكر أنه كان يومئذ عاطلا جائعاً يائساً، وأحس كأن شيئاً ينهش عقله نهشاً، فاحتمله الجنون حتى قتل أول إنسان وقعت عليه عينه.

وفي ٢٧ مايو كانت محكمة الجنايات العليا غاصة بالناس، ثم وقف النائب العمومي هومير كامنجز، ليوجه الاتهام إلى هارولد إسرائيل. وقف بجوار خريطة كبيرة لأحياء بردجبورت، وكان على المنضدة أمام المحكمة مسدس ورصاص وذخيرة وقبعة ومعطف قصير — وهي قرائن تنذر بالوبال.

وكان الناس خارج قاعة المحكمة يتراهنون على أن المحلفين سيحكمون بإدانة إسرائيل قبل أن تخلو هيئتهم للمداولة، وكان السجين نفسه يدعو الله أن يلهمه الصبر وهو على المقصلة.

وقد لخص النائب العمومي عشر قرائن ماحقة تدين المدعى عليه:

١ — أن المتهم أقر كتابة أنه ارتكب الجريمة.

٢ — أنه قاد الشرطي في طريق فراره، معيناً المواضع المختلفة التي ذكرها الشهود.

٣ — أنه كانت على رأسه قبعة، وكان يرتدي معطفاً قصيراً له بنيقة من المخمل.

٤ — أن شاهدين رأيا رجلا على رأسه قبعة ويرتدي معطفاً قصيراً له بنيقة من المخمل، يطلق الرصاص فعلا.

٥ — بعد قليل رأى شاهدان القاتل الهارب، وعلى رأسه قبعة ويرتدي معطفا.

٦ — أن الشهود الأربعة تحققوا من أن إسرائيل هو الشخص الذي شاهدوه يعدو هارباً عن الجثة الملقاة.

٧ — أن شاهداً آخر كان بعيداً عن مكان الحادثة، رأى بعد عشر دقائق من ارتكاب الجريمة رجلا أعياه العدو، على رأسه قبعة ويرتدي معطفاً له بنيقة من المخمل

٨ — أن عاملة المطعم التي تعرف إسرائيل خير معرفة، لوحت له بيدها من نافذة.

المطعم القريب من مكان الحادثة ، وذلك قبيل ارتكاب الجريمة ببضع لحظات ، وبذلك قضت على حجة وجوده في السينما وقت ارتكاب الجريمة .

٩ — ذكر السجين للشرطة أنه قد خبأ في غرفته ظرف الرصاصة الفاضية وقد عثر البوليس على هذا الظرف في غرفته

١٠ — ذكر أحد الخبراء أن مسدس السجين هو السلاح الذى أطلقت منه الرصاصة التى قضت على القتيل .

ثم شرع النائب العمومى يتكلم برزانة وهدوء فقال :

لا دليل على أن هذا السجين قد لقى شيئاً من التعذيب والتنكيل . ولو أثبت التحقيق أن هذه الحقائق كلها صحيحة ، لقلت إن هذا المتهم مذنب مجرم ولا ريب ، **ولكن من الجلى أنه خليق بالنائب العمومى أن يستخدم ما خول من السلطان العظيم فى حماية البرىء ، كما يجب عليه أن يثبت التهمة على الجانى**

فنظر إليه الرجل الشاحب من قفص الاتهام جافلاً لا يصدق أذنيه ، ووجفت قلوب السامعين لمعركة بدأت تحتدم ، فكأن هذا النائب الطويل الفارع الأجش الصوت ، يرى أن هذه القضية ليست محاكمة متهم وحسب ، بل هى صراع قائم بين القانون والحقيقة الناصعة فى ناحية ، والجهل والجشع وكل أنواع الشرور التى يعرفها المرء ويقترفها فى ناحية أخرى .

واحتدم صوت كامنجز وجلجل ، وإنك لتجد أقواله الرائعة مدونة فى مجلات القانون ولقد سمعت كامنجز يروى القصة برمتها فى مجالس خاصة ، ولكنه كان أحسن سرداً وأعلى بياناً فى صباح ذلك اليوم من شهر مايو ، حين وقف فى المحكمة التى أطبق عليها الصمت ، وجعل يلقيها برزانة من أعماق قلبه مرتجلا دون إعداد أو مذكرات .

محص النائب العام اعتراف السجين . وإليك الحقائق التى قررها :

قرر ثلاثة من الأطباء عينتهم النيابة ، أن إسرائيل وقع على اعترافه وهو فى هلع شديد ، كانت أعصابه مرهقة وقد استبدّ به الفزع من شهادة الشهود . وقد انخلع قلبه وتقوّض عزمه ، حين رأى أن القرائن كلها عدوّ له ، فما كاد يعترف حتى استغرق فى سبات عميق . وقد أخبر كامنجز أنه كان على استعداد لأن يعترف بأى شىء حتى يظفر بشىء من الراحة . فلما قضى ليلة نائماً عاد يردد أنه برىء . وكذلك كان ما يتلوه كامنجز الساعةَ من تقرير الأطباء الذين

اختارهم هو ، دليلا على أن الاعتراف باطل ولا قيمة له :

وقد انتقل المتهم مع الشرطة سالكا بهم طريق فراره ، ولكن هذا عمل لا خطر له ، إذ ليس فى اعترافه بأكمله ولا فيما دل الشرطة عليه وهم فى الطريق ، حقيقة جديدة . فهو لم يكن مختاراً فيما يفعل . ولما كان إسرائيل عندئذ فى حالة إعياء وانهيار لم يكن يملك إلا أن يستجيب لكل شيء .

وأما القبعة والمعطف ذو البنيقة من المخمل ، فقد بين كامنجز أن بعض الشهود لم يتذكروها على الإطلاق إلا بعد أن قرأوا الصحف . وقال بعضهم إن القبعة كانت خضراء . وقال بعضهم إنها رمادية . ولم تكن قبعة إسرائيل ، لا خضراء ولا رمادية بل كانت بنية ، وكان كثير من الناس ، وبعضهم فى قاعة المحكمة نفسها ، يرتدون المعاطف القصيرة ، وكانت بنائق المخمل على المعاطف زياً متفشياً .

ثم قال كامنجز متعجباً : « إنه لمن السهل أن تكون المشابهة فى المظهر ، وبخاصة فى الملبس ، مدعاة للوقوع فى الخطأ » .

وقد قال الشهود إنهم رأوا هذا الرجل بعينه يعدو مبتعداً عن القتيل ، وقد قام كامنجز بتمثيل هذا المشهد عند شارعى هاى ومين لكى يمحص الوقائع بنفسه ، فمثل أحد مساعدى النيابة القتيل ، ومثل آخر القاتل ، ووقف غيرهما حيث كان الشهود ، على بعد ست أقدام و ٢٠ قدماً و ١٠٠ قدم . ثم قال كامنجز للمحكمة :

« إن هناك مصباحاً كهربائياً على بعد ٥٠ قدماً من مكان الحادثة ، وليس يتسع للشاهد سوى ثلاث ثوان أو أربع ، وفى نور خافت ، حتى يتبين ملامح الجانى ويتذكرها . وإنه ليعرونى الذهول حين أتصور أن فى وسع أى إنسان أن يتحقق بعد مضى أسبوعين ، من شخص لم تقع عليه عينه من قبل ، وفى مثل هذه الأحوال التى ذكرتها » .

ولكن ما خبر فتاة المطعم ! إنها تعرف إسرائيل كل المعرفة ، وقد لوحت له قبل وقوع الجريمة بزمن يسير . من أجل ذلك عاين كامنجز أولا دار السينما ، وقد زعم إسرائيل أنه كان فى السينما وقت ارتكاب الجريمة . وفى تلك الليلة ، وقف النائب مع الفتاة فى مكان توزيع الطعام ، ونظر إلى الناس يمرون واحداً بعد واحد ، فلم يستطع هو ولا الفتاة أن يتبينا أحداً من المارة . ولما كان زجاج النافذة مزدوجاً ، ولا يزال أبداً داخناً من بخار المطعم ، وكان النور ينعكس عليه ، فإن ذلك كان يطمس منظر الرصيف . وقد سار عليه أحد مساعدى كامنجز ولوّح

بيديه فكان شبحاً لا يميز . ولم تستطع الفتاة أن تتبين أصدقاءها الذين كانوا يمرون في الطريق ، ثم اعترفت في النهاية أنها شهدت شهادتها طمعاً في المكافأة .

ولم يبق سوى أمر المسدس ، وكان هو أقوى الأدلة ، فقد عثر على الظرف الفارغ المعروض على المحكمة في حمام الدار التي كان يقطنها إسرائيل مع صديقيه ، ولكن المعاينة كشفت عدداً كبيراً من الظروف أيضاً. ولقد ذكرت صاحبة الدار أن الجنود الثلاثة السابقين كانوا يطلقون مسدساتهم إلى هدف في فناء دارها من نافذة الحمام ، ثم يلقون فوارغ مقذوفاتهم وراء الحوض.

ولما تسرب الشك إلى الأدلة استدعى كامنجز طائفة من خبراء مصنعي ريمنجتون وونشستر ، وقد أظهر ستة منهم الأخطاء الخافية في الفحص الأول للمسدس. حقاً إن قرينة المقذوفات الفارغة جاسمة الدلالة كبصمات الأصابع، ولكن التجويف الذي كان في جمجمة القتيل، قدّر تقديراً خطأً. وقد أثبت كامنجز ذلك للمحكمة بما عرضه من مقذوفات وبنادق وصور مكبرة .

وبقيت مسألة أخرى غفلوا عنها جميعاً قبل ذلك ، فقد أقسم جميع الشهود أنهم لمحوا مسدساً يلمع في يد القاتل ، غير أن مسدس إسرائيل كان أسود غير مصقول، فهو لا يلمع.

وبعد هذه القصة العجيبة من البحث والتفتيش قال كامنجز للمحكمة : « أظن أنه لم تبق بعد ذلك شبهة في براءة إسرائيل ، ولذلك فإنني سألغي الدعوى إن وافقتم على ذلك ، وسأدع هذا الرجل البريء يخرج حراً طليقاً » .

فقال القاضي : « حكمنا بذلك » .

•

لا يزال مقتل داهم لغزاً لم يحل حتى اليوم ، وقد تلقى كامنجز بعد سنوات رسالة من هارولد إسرائيل . إنه لم يعد شريداً ، بل هو الآن صاحب عمل ، وقد تزوج ، وولد له طفل ، وهو يملك بيتاً وسيارة . وذلك هو الرجل الذي اعترضت سبيله الأدلة التي تسوق إلى المشنقة ، ولولا حُسْن تطبيق القانون لكان اليوم جثة في قبر لا يعرفه أحد

وإن سجلات محاكم الجنايات لتزخر بأمثال هذه القضية ، ولكنها في الغالب لا تنتهي إلى مثل هذه النهاية السعيدة . إن أعظم ضمان للبريء ينجيه من النّكال هو ما يتحلى به رجال النيابة من ضمير حي، ولذلك ستظل قضية إسرائيل مثلا يحذر رجال النيابة الذين يحرّكهم الطمع أو الطموح .



لنواجه الحقائق
في شئون القنبلة الذرّية

فرنسيس ڤيڤيان دريك

صنع سلاح له من القدره على التدمير، ما يفوق اعظم هول يلفقه الخيال. وهو سلاح شديد الملاءمة للهجوم المفاجىء بلا إنذار، فتستطيع دولة أن تدمر بين عشية وضحاها أعظم المدن في دولة تربطها بها في الظاهر أواصر الصداقة. [التقرير الرسمي عن الطاقة الذرية]

كان ذلك الوميض الساحر الذي تألق فوق اليابان، وهو آخر ما رآه سكان هيروشيما الهالكون، أن يضلل الأفهام. فنجمت آراء كثيرة عجيبة من ذلك الانفجار الذرّي، منها توهم حرب تدور رحاها بضغط الأزرار، وأنه صار في وسعنا اليوم أن ننسف العالم كله نسفاً. وأشنع من ذلك رأى المستمسكين بالقديم من رجال الحرب، فإنهم يصرون على أن القوة الذرية ليست سوى « سلاح آخر » وحسب، فلا نلبث حتى نستحدث له أسلوباً من أساليب الدفاع.

على أن القوة الذرية، تعرّض مستقبلنا جميعاً لخطر عظيم، فخليق بنا أن نصغي إلى ما يقوله العلماء الذين ولدوها، فعندهم أقوال تبعث على الاطمئنان

إنهم يقولون إن الحرب التي تدار رحاها بالضغط على أزرار، لم تزل فكرة وحسب، وأن القول بأننا نستطيع أن ندمر الأرض والبحر والجو، خال من الصحة.

أما فيما عدا ذلك فليس عند العلماء ما يبعث على الاطمئنان. وأما المحافظون من رجال الحرب فيتوقعون أن يجعلوا الدفاع في المستقبل على أصول ألفوها في الماضي، فيقول العلماء إن الأسلحة كانت حتى اليوم طبعات منقحة من الأسلحة القديمة — فالمدفع مستحدث من القوس، والدبابة مستحدثة من الجواد، والطائرة مستحدثة من المدفع البعيد المدى، والبارجة مستحدثة من السفينة الحربية ذات الشراع. وقد جرت الحرب حتى اليوم وفقاً لنمط معروف لم ينله التغيير. والنصر في الحرب، إنما كان للمحارب الذي يستطيع أن يفوق عدوّه صبراً وقدرة على الإنتاج. أما اليوم فهذا السلاح الجديد مبتوت الصلة بالماضي، والقوة

الذرية ليست تطوراً طبيعياً للبارود . إنها سلاح جديد مخيف ، هى تجربة فى ترويض قوة الكون ، وليس فى وسع أحـد أن يتكهن بما تسفر عنه . فهى تنقلنا إلى عالم لا يكفينا فيه أن نعتمد على الثروة ونتذرع بالجـلد .

وينذرنا العلماء بأن كتمان سر القوة الذرية لن يدوم إلا قليلا . فالسر الأول فى شـطر الذرة معروف فى جميع أقطار الأرض ، وقد حشد جميع العلماء من أمريكيين وبريطانيين وألمانيين وإيطاليين وفرنسيين وسويديين ، لصنع القنبلة الذرية الأولى . فالقوة الذرية لم تخترع فى هـذه الحرب ، ولكن ضرورات الحرب الملحة هى التى أطلقت القنبلة الأولى قبل ميعادها بمجهود صناعى هو إلى الخرافة أقرب . فاستطاع عدد لا يحصى من العقول ، ومبالغ لا تحصى من المال ، أن تنجح فى إنجاز العمل فى ثلاث سنوات ، بدلا من ثلاثين سنة .

وفى إعداد الأساليب العمليـة لصناعة القنبلة الذرية ، استنبط العلماء والمهندسون نحو ألف نوع من الصيغ والأساليب والطرائق الجديدة . وطائفة كبيرة منهـا تعد مكتشفات نافعة فى الصناعة زمن السلم ، وليس لها صلة بالبحث فى الذرة . وسوف تحل أمم كثيرة على الزمن هذه المشكلات الفنية ، فالدكتور إرفنج لانجميور يقول : إن علماء روسيا قد قطعوا شوطاً بعيداً فى بحث القوة الذرية .

فنحن نستدبر اليوم عالماً قديماً حرص فيه رجال الحرب على كتمان الأسرار الخاصة بمناظير القذف ومستحدثات البوارج ، عن الغوانى الحسان والمهرة من الجواسيس . فعلماء الطبقة الأولى فى العـالم جماعة تتبادل المعرفة ولا تكتمها ، وقد أجدى ذلك على العالم خيراً عمما ، ولا ينبغى أن يترك .

أيكون الهجوم ممكناً

إن العالم ليواجه خطراً عظيما . وقنبلة هيروشيما قد صارت اليوم عتيقة ، وفى وسع مهشمى الذرة اليوم أن ينسفوا نسفاً أية مدينة كبيرة أو صـغيرة بقنبلة واحدة يتفجر منها ملء ملعقة واحدة من الشحنة الذرية . وتستطيع هذه القنبلة أن تحرق فى لحظة كل حى ، وأن تصهر المبانى المشيدة بالفولاذ ، وأن تهشم الأبرق وتجعله شظايا متطايرة . وهـذا القول قائم على حساب رياضى دقيق محكم . وقد روى أن قنبلة هيروشيما ، كانت تحتوى على عشرين رطلا من الشـحنة الذرية ، فلم يستنفد منها فى التفاعل الذرى سوى عشر واحد فى المئة . وإذن فمدينة يبلغ عدد سكانها ٥٠٠ ألف

نسمة ، هلكت وبادت بتفجير قدر من الشحنة الذرية ، يقل عن عشر أوقية ! والشحنة الذرية كانت جزءاً صغيراً من القنبلة ، ولكن العلماء يستطيعون اليوم أن يزيدوا من قوة التفجر ، وأن ينقصوا من حجم القنبلة .

وقد نقلت القنبلة الذرية إلى اليابان طائرة واحدة من القلاع الطائرة الضخمة ، أما اليوم فإن الطائرة الواحدة تستطيع أن تحمل قنبلة واحدة أقوى جداً من قنبلة هيروشيما ، أو قنابل كثيرة مثلها ، وذلك كاف في دك عدة مدن في وقت واحد .

ولسنا نملك اليوم سوى وسيلة واحدة لنقل مثل هذه القنبلة إلى الهدف — هي الطائرة . والقاذفات تطير الآن بسرعة ٣٥٠ ميلا في الساعة ، ولكن الحكومة الأمريكية أعلنت نبأ صنع قاذفات تتحرك بقوة المحرك النفاث ، فتستطيع أن تسير بسرعة ٦٠٠ ميل في الساعة ، وأضافت إلى بيانها : « لقد صار في الوسع صنع قاذفات أضخم من القلاع الطائرة الضخمة ... وتسير بسرعة تفوق سرعة الصوت (٧٥٠ ميل في الساعة) ... وتحمل ما زنته ١٠٠ ألف رطل من القنابل ... وهي بعيدة المدى ، تستطيع أن تقوم من أمريكا وتقذف أي موقع تريده على سطح الأرض » . فمن اليسير إذن أن تبلغ قنبلة ذرية أي بلد وراء المحيطات في بضع ساعات . ولسنا نملك حيال مثل هذه الأساليب في الهجوم ، غير قليل من حيل الدفاع .

فجهاز رادار وما يلحق به من المعدات — وهو آلة شيطانية ترصد هدفها في السماء وتنطلق من تلقاء ذاتها حين تجد الهدف — جعل سلامة الطائرات المعادية في أطباق الجو العليا أمراً شاقاً ، فخليق أن يقل استعمالها أو تزول . أما الطائرات التي تطير على ارتفاع قليل فوق سطح الأرض فتبينها بجهاز رادار أمر عسير ، لأن أمواج رادار تتحرك في خطوط مستقيمة ، ولا تستطيع أن تلاحق طائرة تتبع في طيرانها انحناء سطح الأرض . أما الطائرات التي تطير بسرعة الصوت ، فيتعذر تسديد المدافع إليها حين تسف في طيرانها حتى تدنو من سطوح المنازل .

والاعتماد على الطائرات في مدافعة ناقلات القنابل الذرية ، لم يزل خير وسيلة للدفاع فيما يبلغ التقدير ، اللهم إلا إذا أنشئت ملايين من المخابئ تحت الأرض يبلغ سمك سقوفها ٥٠ قدماً من الأبرق ، تتسع للناس والصانع جميعاً . ولكن تطارُد الطائرات المندفعة بسرعة الصوت ، في سواد الليل البهيم ، ومحاولة كل طيار من طياريها أن يتبين خصمه في جهاز كهربائي دقيق ،

أدعى إلى ارتياح المهاجم وأكفل لنجاحه منه إلى ارتياح المدافع . فالهجوم فى المستقبل سيشن فى وقت واحد ، من جهات مختلفة على مناطق شتى متباعدة . فإذا أضفت إلى كل ذلك عنصر المفاجأة ، علمت أن احتمال نجاح الدفاع يسير جداً .

وأدعى من ذلك إلى المخافة إرسال مقذوفات كالصواريخ الألمانية ف ٢ ترشدها إلى الهدف أجهزة قائمة فى مقر خفى . وهذه القذائف البعيدة المدى ، تسير بسرعة ٤٠٠٠ ميل فى الساعة . وقد أعلن رسمياً ، أننا « نستطيع أن نوجه الصواريخ إلى الأهداف بأجهزة جديدة ، ترشد إرشاداً دقيقاً إلى مصادر الحرارة ، أو الضوء ، أو المغنطيس . وهذه الصواريخ الجديدة ، تنطلق كالسهم إلى قلب المصانع الكبيرة ولا تخطىء ، يجتذبها إليها ما فى المواقد من حرارة » . أما توجيهها إلى قلب مدينة فأسهل وأيسر .

هل من دفاع ؟

إن الذين صنعوا القنبلة الذرية ، قد وجهوا عنايتهم بلاريب إلى ابتكار أسلوب لاتقاء شرها، فلم يظفروا حتى اليوم بما يفرج كربهم ، وذلك لأن القذائف تبلغ من السرعة مبلغاً عظيما . وقد روى أن هناك شعاعة تفجر القنبلة فى الفضاء . ولكن العلماء يقولون أنْ لا شعاعة من هذا القبيل ولا أمل فى العثور عليها . ومدينة لندن لم تجد دفاعاً ضد الصواريخ ف٢ . وصواريخ ف ٢ التى تعد صغيرة إذا قيست بالصواريخ الجديدة ، كانت ترتفع إلى ٦٠ ميلا ثم تهبط هبوطاً عمودياً بسرعة تكاد تبلغ ميلا فى الثانية . فبطاريات مدافع الدفاع لم يتسع أمامها من الزمن إلا بضع ثوان ، لكى تتبين بجهاز رادار موقع هذا الهباء المنطلق فى الفضاء ، ثم تسدد إليه المدافع وتطلقها ، فكان عملها كعمل من يقذف إبرة فى فضاء حجرة ، عسى أن يصيب بها إبرة أخرى . وكذلك لم يستطع الإنجليز أن يقطعوا الطريق على قذيفة ما من قذائف ف ٢

وكل هذا لا يدع لدولة مهددة إلا سبيلا واحداً — الرد على الهجوم بمثله . فالدولة التى تستطيع أن تحتفظ بتفوقها فى الأسلحة الذرية ، تملك قدرة مخيفة ، حتى لتعود الحرب الذرية أعظم خطراً على الدولة المهاجمة منها على الدولة المدافعة . وفى هذه الحقيقة المخيفة نتبين شعاعاً من الرجاء : أنْ لا تعمد دولة ما إلى قذف دولة أخرى بالقنابل الذرية . ولنا فى حرب الغازات سابقة ، حتى إن هتلر لم يجرؤ على الالتجاء إليها ، مع أننا نعلم حق العلم أنه أعد وخزن ١٠ آلاف

جالون من غاز جديد فتاك . لقد أدرك خطر الردّ على عمله بمثله .

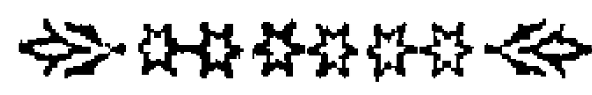
الحاجة إلى ضرب آخر من الدفاع

أما وقد يفضى الخوف من الجانبين إلى تحريم الحرب الذرية ، فإن ذلك لا يعنى أن الحرب نفسها قد تحرّم . كلا ، فقد نخوض حروباً يشترك فيها جنود وبحارة وطيارون ، وتستعمل فيها الطائرات النفاثة والصواريخ وغيرها من الأسلحة غير الذرية ، فعندئذ يكون من الحمق أن تنبذ أمة ما أساليب الدفاع القائمة . وليس فى وسع صاروخ ، أو طائرة ، أو رادار ، أو مدفع أو دبابة ، أو سفينة ، أو قاعدة أن تفكر ، أو أن تكسب المعركة . فقيام الأمم وسقوطها رهن بقدرة أبنائها على البحث والتأهب .

وسيبلغ بدء الحرب القادمة — سواء أذرية كانت أم غير ذرية — مبلغاً من السرعة والعنف ، حتى لا يمضى النهار الأول إلا وتكون طائفة من أكبر مصانع الحرب قد دكت إلى الأرض ، فلا يجد المدافع بين أيديه إلا الأسلحة المصنوعة المخزونة . وقد قال الدكتور آرثر كومتون : « لا تكاد تنقضى الساعات الأولى من الحرب حتى تكون كل مدينة يزيد سكانها على مئة ألف قد فقدت قدرتها على الإنتاج الحربى » .

فمن الخطأ أن يقصر التأهب الحربى فى أمة ما على وسائل الحرب الذرية ، دون الوسائل الفتاكة الأخرى — وإن كانت غير ذرية .

إن الأمم المتحدة قد ظفرت فى هذه الحرب ولما تكد ، فظفرها لم يكن حتما ولا سهلا . وبرغم تفوقها فى الرجال والموارد ، فإن علماء الأمم المتحدة سابقوا علماء الألمان فسبقوهم بمقدار شعرة وحسب . ولو سبقهم الألمان فى سباق السلاح الذرى ، كما سبقوهم إلى استعمال الصاروخ ، لكان همّ الأمم المظفرة الآن ، أن تفكر فى كيف تجتنب الهزيمة . وفى هذا دليل على ما للعلم فى الحرب من شأن خطير .



فى أثناء الحرب الأهلية الأمريكية برم الجنرال ماكيلان بالأمر الذى أصدره الرئيس لنكولن ، والذى يوجب إرسال تقارير مفصلة من الميدان إلى البيت الأبيض كل يوم . وفى أحد الأيام أرسل الجنرال برقية إلى البيت الأبيض جاء فيها : « أسرنا الساعة ست بقرات ، فماذا نصنع بها ؟ » فجاءه الرد من لنكولن : « احلبها » .

[مجلة « كورونت]

ألف مليون من أهل آسـيا قد أخذوا يدركون ما هى الحرية ، وقد شاقهم ما أدركوه ، فهواليوم لن يحجموا عن الجهاد فى سبيل إدراكه .



آسيا : ينبغى أن تعيش حرة

الجنرال كارلوس ب . روميلو
مختصرة من مجـلة "كوليـيرز"

فى بلاد المحيط الهـادى هو أسمى غاية تسعى إليها الدول والشعوب ، فإذا بلغناها فقد وضعنا أساس السلام العالمى وإذا وقفنا دونهـا ارتطمنا فى الفوضى من جديد .

فمن البين إذن أنه لابد من نظام جديد تعيش بلاد المحيط الهادى تحت ظلاله . ولقد قضينا أربع سنوات نكافح الظلم والطغيان، فليس من العقل أن نتوقع بعد ذلك أن يظل ألف مليون نسمة من أهل آسيا خَـوَلاً لسائر أهل الدنيا ، يقومون فى خدمتهم راضين بصقل الأخشاب وسقاية المـاء . لقد أطفئت جمرة العـدوان اليابانى ، ولـكن الفكرة التى حملها اليابانيون إلى تلك البلاد وحاطوها وتعهـدوها فى كل أرض تصلح لنمـائها ، بقيت حية لم تطفأ جمرتها . وهذه الفكرة ترمى إلى تحقيق « منطقة الرخاء المشترك » بحيث تستطيع هذه المنطقة التى تتشابه أساليب أهلها فى الحيـاة وألوانهم وعقائدهم المتوارثة ، أن تصير أمة واحدة ذات كيان سياسى .

نعم ، إن هذه الدعوة الفاتنة لم تحقق من هذا كله شيئاً ، بل صار هدفها : آسيا لليابانيين . غير أن الفكرة نفسها لا تزال ثابتة لاتتزعزع ، ومنيعة لا تقهر ، وستبقى فى آسيا إلى الأبد ، ولا يمكن أن تسمَّى شغباً أو تمرداً ، فهى يقظة الشرق الأقصى ونهضته . وفى وسع أهل الغرب أن يتعهدوها حتى تصير قوة هائلة فى حفظ سلام العالم .

كانت خطة اليابان ترمى إلى أن تصير شعوب آسيا وأجناسها جماعة واحدة . وهذا مطلب جائر بعيد المنال ، وأقرب منه إلى

كان الجنرال روميلو الفلبينى آخر من برح شـبه جزيرة باتان قبل سقوطها فى يد اليابان . وقد وصف فى كتابه « رأيت سقوط الفلبين » قتال الأبطال فى معركة لا يرجى فيها نصر . وهو الآن الممثل الفلبينى المقيم فى الولايات المتحدة .

العقل أن تنقسم شعوب آسيا، تبعاً لاختلاف أجناسها ، إلى ثلاث طوائف متحدة ، هى : أهل الملايو ، وأهل الصين ، وأهل الهند . والذى أريده الآن هو أن أعرض قضية أهل الملايو واتحادهم ، وهى مسألة سياسية واقتصادية تشمل مئتى مليون من البشر ، يتكلمون لغة الملايو ، ويسكنون أرض الفلبين ، وجاوة ، وجزيرة سليبس ، وجزائر ملقة ، وسومطرة ، وشبه جزيرة الملايو ، وسيام ، وبرما ، والهند الصينية .

لقد وُلدتُ أنا فى آسيا ونشأت بها . وقد سافرت قبيل هذه الحرب فطوّفتُ بين أهل الملايو فى سيام وبرما وجاوة ومستعمرة جنوب الملايو ، فوجدت حيثما سرت ظمأ طاغياً إلى الحرية ، وشعوراً عاماً بأن البيض قد غدروا بهم . .

ففى جاوة زعماء يعملون فى الخفاء ، وهم يتناولون ملايين من الفلاحين ، يجتمعون فى بطون الغابات ليلا ، ليعدّوا عدتهم وليتهيأوا لطلب الحرية . أما فى برما فلا تزال تسمع حيثما سرت عجيج الجماهير باسم الحرية — بين الكناسين وعمال المناجم والطلبة والتجار والموظفين .

ولقد رأيت حيثما نزلت ضروباً عجيبة من التفرقة بين الأجناس تزرى بكرامة البشر . رأيت كرائم النساء من أهل برما يتنحّين جانبا فتغوص أقدامهن فى قذر المجارى ليفسحن الطريق للرحال البيض . ورأيت أشراف الملايو يحال بينهم وبين المطاعم والأندية البريطانية فى سنغافورة . ورأيت أساتذة نالوا شهاداتهم من كمبردج وأكسفورد يذادون وهم فى بلادهم عن وظائف التدريس ، حتى فى المدارس الابتدائية، لأنهم أبوا أن يركعوا خشوعاً لمقدم المفتش الهولندى" .

وفى كل مكان ترى أجساداً سمراً مهزولة عليها مآزر بالية ، ووجوها ضارعة شفّها البؤس، لا ترى عينك فيها طفلا يرتع ويلعب، فهذه المخلوقات البائسة الممسوخة التى باعها آباؤها الجياع فى سوق الرق الاقتصادى ، لا يمكن أن تسمى أطفالا ، وكيف وليس فيهم طفل يعرف كيف يلهو ؟ ولا عجب فما فى جسمه رائحة من نشاط أو قوة .

فلما غلا المرجل وقذف بما فى جوفه من البغضاء بين الأجناس ، صار من اليسير أن تعرف لم كتب على البيض فى كل مكان ، إلا فى الفلبين ، أن يجاهدوا فى سبيل حياتهم ، لا ليتقوا شر اليابان فحسب ، بل شر أهل الملايو الذين لبثوا سنين طوالا يلقون الأمرّين من عسفهم واحتقارهم . ولما كان الاستعمار اليابانى وسيلة للتخلص من الاستعمار الغربى ، فقد رضى عنه هؤلاء الأسيويون ، وأخذوا أهبتهم للخطوة

التاليـــة التى تفضى بهم إلى الحرية .

فلما جاء « ميثاق الأطلسى » كان الظن به أن يحقق هذه الخطوة ، بما تعهد به من ردّ السيادة على الشعوب المستعبدة ، ولـكن خاب الظن ، ووجدت بلاد الشرق الأقصى أن الميثاق لم يكفل الحرية إلا لشعوب البيض الذين كانوا فى قبضة النـازيين ، لا للسمر الوجوه ، ولا لأهل آسيا .

وليس فى لغة أهل الملايو ، سوى الفلبين ، لفظة للدلالة على الديمقراطية ، فتراهم يطلبون نظاما يجدون تحت ظلاله نعيم الحرية وحسن العشرة والمنافع المتبادلة بين البيض والسمر . وما فعلته أمريكا فى بلاد الفلبين ينمّى عندهم الأمل ، وهو أيضا حجة بالغة تدل على صلاح المبادئ التى يزعم أنصار الاستعمار أنها خيال لا ينفع ولا يجدى .

يدعى أنصار الاستعمار أن اتحاداً يؤلف بين أمم الملايو ، اتحاد لا ينفع ولا يعيش .

وأعظم حججهم : أنْ ليس ثمة أساس يقوم عليه اتحاد الشعوب المتباينة من أهل الملايو ، فإن لغاتهم وإن اتفقت فى اشـتقاقها إلا أنها متباينة الألسنة واللهجات ، ولم تطفأ قط نار الحرب بين قبائلهم حتى جاء أهل الغرب فأطفأوها ، وأن أديانهم مختلفة متعادية .

أما الحجة الثانية : فهى أن سير الحوادث يدل على أن أهل الشرق إذا ولى عليهم أهل جلدتهم يلقون من استغلالهم الجائر أشد مما يلقون من أهل الغرب . فالضرائب تجبى بالعسف ، وهى فساد مستطير ، ولا تلبث أن تنصبّ فى خزائن الأحداث من الأمراء فينفقونها فى الإسراف والبذخ . ومحاكمهم لا تبالى بالمظلوم من عامة الشعب ، وشرطتهم أيضا لا تحفل به ولا تحميه .

وأما الحجة الثالثة : فهى أن هـــذه الشعوب المتـأخرة لم تتهيأ بعد للاضطلاع بتلك المهمة المعقدة ، وهى أن تحكم نفسها بنفسها .

فلننظر الآن فى قضية اتحاد شعوب الملايو .

فأول ذلك ، كيف يستبيح أحد لنفسه أن يقول : « الحرية حق حلال لأهل الفلبين وأهل هولندة ، ولـكنه حرام على أهل جاوة . وهى حق حلال لأهل الصين ولـكنه حرام على أهل الهنـد » . لقد كان جوهر الصراع العالمى هو أن البشر جميعا سيظفرون بالحرية .

إنه لحق أن بين شـعوب الملايو فروقا ظاهرة ، ولـكنها فى جوهرها شعب واحد . واختلاف لهجاتهم وألسنتهم لا يعدّ عقبـة لا تذلل ، فلأهل الفلبين خمس لهجات أو ست ، ولـكن تؤلف بينهم مصلحة واحدة .

وإنه لحق أيضاً أن أهل الفلبين قد لقوا من عســف الحـكام من بنى جلدتهم عنتاً

واستغلالا شنيعاً ، ولكن دليلهم على وجود هذا العسف يرجع إلى ٣٠٠ سنة مضت .

ولكن شاع فى الشرق ضرب آخر من الاستغلال ، وهو الذى يبيح لشهوة المنافع التجارية الواسعة ، أن تتدخل فى شئون البلاد السياسية ، وتتخذ قوة المال الباغية أداة لقمع كل نهضة يرومها الشعب .

إن نهضة الشعوب تقاس بما فيها من معرفة القراءة والكتابة ، فالتمسها فى الشعوب المستعمرة فى الشرق الأقصى ، وانظر ماذا ترى ؟ لقد أقام الهولنديون فى جزر الهند الغربية أكثر من ٣٠٠ سنة ، يحملون إلى بلادهم المطاط والكينا والصفيح والزيت والأرز والشاى والبن والتوابل والمعادن وجوز الهند ، وبلغ معدل معرفة القراءة والكتابة فى جاوة فى هذا الزمن كله سبعة فى المئة . وقد أنفقت هولندة ، على حملة واحدة ظلت تقاتل ثلاثين عاماً ، أكثر من ٢٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال ، لكى تخضع مقاطعة الآشين فى شمال سومطرة ، والتى لا تزيد مساحتها عن ٢٤٫٠٠٠ ميل مربع . أما ميزانية التعليم فى ثلاثين عاماً أيضاً فلم تزد عن عشر هذا المبلغ .

وقبل أن تغزو اليابان الملايو ، أذن الهولنديون لثلاثين نائباً من أهل الملايو أن يجالسوا ٢٤ نائباً هولندياً فى مجلس نواب جزر الهند الشرقية، ومن هؤلاء الثلاثين، عشرون عيّنهم الحاكم الهولندى . وبعبارة أخرى ، هؤلاء هم ٧٥ مليون نسمة من أهل الملايو يمثلهم عشرة نواب انتخبوهم بأنفسهم ، على حين ترى ٧٠٫٠٠٠ هولندى يعايشونهم ، لهم ٢٤ نائباً ومعهم ٢٠ نائباً معيناً من أهل البلاد . زد على ذلك أن أهل البلاد لا نصيب لهم من السلطان فى حكومة بلادهم ، وأن ليس فى الجزائر كلها مدارس صالحة لتعليم القانون ، حيث يتعلمون كيف تكون أساليب الحكم .

فقارن هذا بما كان من أمر الفلبين ، حيث تم للشعب أن ينتخب انتخاباً عاماً لمجلس نوابه منذ سنة ١٩٠٧ ، ونوابه المئة والعشرون جميعاً من أهل الفلبين ، ورئيس المجلس من أنفسهم . وقد استقل أهل الفلبين بنظامهم فى القضاء منذ سنة ١٩١٦ ، ومن خالف القانون ، من البيض أو السمر على السواء ، قبض عليه رجال الشرطة من أهل الفلبين ، وحوكم أمام محاكم الفلبين ، وحكم عليه قاض من أهل الفلبين . وهؤلاء القضاة قد درسوا القضاء وأساليب الحكم فى جامعة الفلبين ، وفى خمس جامعات أخرى تدرس القانون .

وفى الستين أو السبعين عاماً التى تولى فيها الفرنسيون المهذبون حكم الهندالصينية،

ظل الفلاحون غير المهذبين يعيشون في مثل ما كانوا فيه من البؤس والشقاء . ولم يزل الجذام وسوء التغذية والملاريا تغتالهم كما كانت ، إذ ليس فيها إلا قليل من العيادات ووسائل التمريض ، ولم يفرض التطعيم على الناس . وشق على أهل البلاد أن يتعلموا القراءة والكتابة ، لأن المدارس الفخمة الحديثة لم تنشأ إلا في المدن الكبيرة وحسب . وإذا حدثت المعجزة ويسر الله لأحد الفلاحين أن يرسل ولده إلى المدرسة ، لم يكن له أمل إلا أن يصير كاتباً خاملا ، إذ ليس في بلادهم هيئة ثابتة من الموظفين . أما الوظائف العليا في المصارف والسكة الحديد وبيوت التجارة ، فهي وقف على الفرنسيين .

ومستوى القراءة والكتابة في مقاطعات الملايو المتحدة أقل منه في جاوة . ففي سنة ١٩٤٠ كان دخل الحكومة في تلك البلاد الغنية عظيما وافراً ، حتى أنها أرسلت عشرة ملايين ريال (من ريالات تلك البلاد) هدية إلى حكومة لندن ، وبقي احتياطي قدره ٢٠٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال . هذا وقد أنفق في نفس السنة على التعليم أقل من ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال ، أي نحو ٢/٣ ٤ في المئة من الدخل كله . وكان يدرس في مدرسة الزراعة ٥٨ تلميذاً على التحديد في سنة ١٩٣٨ ، وفي هذه السنة نفسها كان في مدارس الفلبين الزراعية ٩٠٠٠ طالب .

ولا تزال قبائل برما تعيش اليوم على الفطرة كما كانت منذ ستين سنة ، يوم ضمتها بريطانيا إلى الإمبراطورية . وهذه البلاد غنية بمعادنها ، ولكنها ثروة لم تكد تمس حتى اليوم . ومع أن ٨٥ في المئة من سكانها يعملون في زراعة الأرض ، فليس فيها سوى مدرسة عالية واحدة للزراعة على الأصول العلمية . ولما قام حزب وطني سياسي في سنة ١٩٤٠ ، مطالباً بشيء من الإصلاح الدستوري ، ووضع مشروعاً يرمي إلى أن يكون « لكل امرئ فدان من الأرض وبقرة » قبض على زعمائه وألقي بهم في غيابة السجن .

ومن الطبيعي أن يقارن أهل الملايو ما كتب عليهم أن يكونوا فيه ، بما في الفلبين . وهم يعلمون أن أكثر من مليونين من الأطفال يذهبون إلى المدارس في الفلبين ، وأن معدل القراءة والكتابة هناك يبلغ اليوم ٥١ في المئة . ويعلمون أيضاً أن أول ما فعله الأمريكيون يوم تولوا أمر الفلبين هو أن أرسلوا إليهم ألف مدرس ليفتتحوا المدارس ، ويدربوا طائفة من أهل البلاد على أساليب التعليم .

أما الشيء الذي يجهلونه فيما أقدر ، فهو أن هذه الطائفة قد نمت في اثنتين وأربعين

سنة حتى صارت جيشاً قوامه ٤٠٫٠٠٠ مدرس فى ١١٫٠٠٠ مدرسة ، وأن فيها ٥٫٠٠٠ مكتبة عامة، تضم أربعة ملايين كتاب متاحة لكل من يريد أن يقرأ . وقبيل الحرب بثلاث سنوات . كانت مخصصات التعليم تتراوح بين ٣٣ فى المئة و ٣٧ من الميزانية العامة .

وقد أنشئت عشرات المراكز لمكافحة الملاريا وللتطعيم الإجبارى ، وفيها أكثر من ١٥٠٠ مستوصف ونحو ٤٥ مستشفى تابعة للحكومة ، هذا سوى عيادات الولادة والأطفال، وكلها تعلم الناس قواعد الصحة العامة والتغذية الوافية . وتنشر المراكز الزراعية فى كل شهر نشرات عن كل تحسين يهتدى إليه فى زراعة قصب السكر والأرز وجوز الهند والأناناس .

كلا ثم كلا ، إن برما والملايو والهند الصينية وجاوة وسومطرة لم تتأهب بعد للاضطلاع بحكم نفسها بنفسها ! ولكن هل يمكن أن تصير يوماً إلى شئ من ذلك تحت مثل هذا الأسلوب الاستعمارى الجائر ؟ وإلا فأين إذن المدارس والوظائف والمدربون على أسلوب الحكم ، حتى يتهيأ لهم ذلك يوماً ما ؟

وأنا لا أتوقع أن تأتى من ذات نفسها موجة من التحرير ، فتطلق ملايين البشر ليلتمسوا كيف يحكمون أنفسهم بأنفسهم ، بل لابدّ بادئ ذى بدء أن يتعلموا كيف يديرون أمر مدنهم وقراهم ، ثم أمر محافظاتهم ، ثم يأتى أخيراً أمر حكوماتهم الشعبية — وكل ذلك فى مواقيت معينة يتفق عليها من قبل . وفى هذه الفترة يتولى الإشراف على الشئون الخارجية هيأة من المراقبين ، كما فعل الأمريكيون فى الفلبين .

ولكن ينبغى أن لا تكون هذه الرقابة انتداباً تتولاه دولة أوربية واحدة ، فلو تولتها دولة بمفردها كفرنسا أو بريطانيا أو هولندة، للقيت فى وجهها ناراً متضرمة من البغضاء فى الشرق الأقصى ، ولكن إذا صار للولايات المتحدة وروسيا والصين منزلة كمنزلة هؤلاء فى الرقابة خمدت جمرة البغضاء جملة . وهذه المنزلة نتيجة طبيعية عادلة أفضت إليها الحرب الأخيرة .

إن مشكلة المحيط الهادى مثل جامع لمشكلة اختلاف الأجناس فى العالم . فإذا تجاهلناها أو تخطيناها أو أهملناها كانت الحرب القادمة حرباً بين الأجناس . وإذا أردنا أن نضع نظاماً عادلاً لبلاد المحيط الهادى ، وجب علينا أن لا نسلك سبيل الهولنديين ، أو سبيل البريطانيين ، بل السبيل الذى توحى به الفطرة الإنسانية الخالصة .

امرأة في سجن

جانيت هويتنى

مختصرة من مجلة "أتلانتيك منثلى"

« يرفع رجل أو امرأة لواء فتتبعه الألوف. والحركات كلها تبدأ صغيرة محصورة ثم تعم العالم » — هـذا القول لم يصدق قط على حركة كما صدق على حركة إصـلاح سجون النساء فى أوائل القرن التاسع عشر التى تولتها « إليزابث فراى » زوجة تاجر كبير من تجار لندن . وهـذا مقال يصف النجاح الذى أصابته . وقد زارت فيما بعـد طائفة من سجون الجزر البريطانيـة وفرنسا والبلجيك وهولندة وسويسرا ، وأنفقت فى ذلك ربع قرن ، فوفقت إلى إصلاحات كثيرة ، وأصبحت أكبر داعية الى إصلاح السجون فى أوربا كلها .

فى يوم قارس من يناير سـنة ١٨١٧ وقف حارسان من حرّاس سجن « نيوجيت » فى دهليز مظلم خارج سجن النساء يناقشان سيدة زائرة ، وكان الشجار داخل فناء السجن عنيفاً كالعادة . وبينما هما يناقشان السيدة ، إندفعت امرأة من الباب تصيح وتضحك كالمجنونة ، واختطفت خمار كل امرأة وصلت يدها إليه .

وقال الحارسان للزائرة : « إن هـذه الهائجة لن تحجم عن أن تفعل بك مثل ذلك ، فقد تمزق ثيابك وتخمشك أو تنشب أظافرها فيك . وهذا دأبهن » . وحراس السجن أنفسهم أعلم بهن ، حتى ما يجرؤ أحدهم أن يدخل عليهن وحده ، إلا أن السيدة كانت عنيدة ، فقالت وهى تبتسم : « شكراً لكما ، ولكننى سأدخل — وسأدخل وحدى » .

فلما أصرت توسلا إليها أن تترك ساعتها على الأقل ، فالسجينات ولابد سيلحظن سلسلتها تلمع من فوق ثوبها الفاخر ، ولكن السيدة المتهورة أبت أن تصغى لنصحهما .

ففتح الحارسان لهـا الباب على الحشد الهائج المتوسّل ، فدخلت وسمع للباب صرير ثم أغلق عليها . فاستولى على النسوة سكون الدهشة كأن على رؤوسهن الطير . ثم اندفعت نحوها كل امرأة فى الفناء ، وتألبن عليها حتى أصبح الحارسان لا يبصران إلا قمـة قبعتها ، ولكن لم تحاول واحدة منهن أن تختطف منها شيئاً أو تمسها بأذى . ولم تجد النساء فى ثوبها ما يستفزهن ، ومع ذلك فقد كانت إليزابث فى خطر داهم ، فلو بدا منها الآن ما يدل على الخوف ، أو أخطأت فيما تقول أو تفعل ... ... إلا أنها لم تكن فى حيـاتها أقل جزعا وأثبت جناناً مما هى الآن . فحملت بين ذراعيها طفلة قذرة ،

فأخذت الطفلة تداعب سلسلتها اللامعة ، ثم رفعت إليزابث ذراعها تشير إلى النسوة أن ينصتن وقالت :

« صديقاتى . كثيرات منكن أمهات ، وأنا أيضاً أمٌ مثلكن . إن حال أولادكن يورثنى حسرة عظيمة . أفليس فى وسعنا أن نصنع شيئاً من أجل هؤلاء الصغار الأبرياء ؟ هل قضى عليهم أن يشبّوا رهن السجن مثلكن ؟ هل قضى عليهم أن يصبحوا لصوصاً أو شراً من اللصوص ؟

فنفذت كلماتها إلى قلوبهن ، فقدمن لها كرسياً وجئنها بأولادهن ، وأخذن يقصصن عليها قصصا تشف عن الإثم أو تبكيت الضمير أو الشكوى من الظلم أو اليأس . وقضت معهن ساعات وهى تشاورهن فيما ينبغى أن يفعلن . ولما ودعتهن تركت وراءها فى سجن نيوجيت ما لاعهد للسجن به — نفحة من الأمل .

ترى ما هو المشروع العجيب الذى اقترحته إليزابث ؟ لم يكن سوى إنشاء مدرسة فى السجن لتعليم أولاد السجينات ، ولإصلاح المجرمين من الأحداث . وقد استعانت على تنفيذ مشروعها بالسجينات أنفسهن ، وبذلك سبقت طلائع المفكرين من أهل جيلها بمئة عام .

ولما زارت السجن ثانية قوبلت بحفاوة ومودة . فردت رقتها على السجينات شيئاً مما فقدنه من الأدب ، وقدمن لها مفاخرات امرأة اخترنها من بينهن لتتولى المدرسة ، وهى شابة تسمى « مارى كونور » وقد حكم عليها بالسجن منذ عهد قريب ، لأنها سرقت ساعة ، إلا أنها كانت ذات كفاية للنهوض بتعليم الأولاد .

وأثنت إليزابث على ما رأته من تبدل حالهن ، وأخذت تبحث معهن بالتفصيل فى الأصول التى يجب أن تتبع فى المدرسة . ولما ضمنت معاونتهن الكاملة ، تقدمت إلى المسئولين — أى إلى قاضي لندن ومدير سجن نيوجيت . وما يستطيع أحد أن يحرك اهتمام أولئك العظماء ، سوى سيدة كريمة ذات ثروة كاليزابث فراى . وقد أصغوا إلى حديثها كل الإصغاء ، ولكنهم وقفوا من مشروعها موقف المثبط كدأب رجال الحكم . فقالوا إن خطتها بديعة تدل على النبل وسمو الخلق ، إلا أنها مع الأسف لا تعرف سجينات نيوجيت كما يعرفونهن ، فهن نسوة لن يرجى لهن صلاح . فلما عادت إليهم قالوا لها أن ليس فى الحبس غرفة يستغنى عنها لتكون مدرسة .

وكان من دهاء إليزابث أن أخذتهم بما قالوا من أن كل اعتراضهم هو عدم وجود غرفة يستغنى عنها . فذهبت إلى

حليفاتها السجينات، فما كادت تعرض عليهن الأمر حتى أصبن حلاً . وكان ثمة غرفة صغيرة أجمعن على أنهن لا يحتجن إليها . فوافق المسئولون ، وأذنوا لها أن تجرب « هذا العمل الطيب الذى لا يكاد يرجى له نجاح » .

وكانت إليزابث شديدة الشوق كالسجينات إلى الشروع فى العمل ، فأسرعت فى اليوم التالى وجمعت طائفة من الكتب المدرسية القديمة ، وعينت مارى كونور معلمة ، واحتفلت بفتح المدرسة . وبلغ عدد التلاميذ ثلاثين طفلا معظمهم فى السابعة أو دونها. وحال ضيق المكان دون قبول آخرين ، ولكن تألب عند الباب عدد كبير من البنات والنساء فى العقدين الثانى والثالث من العمر ، يتوسلن والدموع تترقرق فى عيونهن ، أن يؤذن لهن فى أن يتعلمن .

فوعدتهن أن تبذل لهن كل ما فى وسعها، إذا هن صبرن قليلا . وصارت تزورهن كل يوم فترى مشاهد السجن المؤلمة ، فسمعت ورأت وعلمت ما فى السجن من بذاءة أو عربدة وحطة. وعلمت أن الرجال المسجونين كانوا يغشون غرف السجينات فى الليل . واتصلت بها أنباء مساوىء يعف المرء عن روايتها ، فمن أجل ذلك كانت تستنكف أن تصحب معها فتاة شابة إلى ذلك المكان . ومع ذلك لم تزدر أحداً ، ولم تيأس أبداً ، بل أدركت أن ما تقتضيه حياة السجن من فراغ وضجر ، كان هو نفسه حافزاً ملحاً يغرى بالفساد .

ومنذ اليوم الأول قالت الذكيات من السجينات إنهن يردن أن يتعلمن القراءة والخياطة . فثلث السجينات السبعين يجهل القراءة والكتابة ، والثلث الآخر يقرأ شيئاً قليلا ، أما الخياطة فتساعدهن على صنع الثياب لهن ولأولاهن . ولكن ماذا يصنعن بعد ذلك ؟ فرأت إليزابث أن يخطن الثياب ليبعنها ؟ ولكن لمن ؟ ومن أين يأتين بالمال ليشترين المواد اللازمة ؟

واستشارت من يعنون بإصلاح السجون، فلم يشجعها أحد منهم ، إذ قالوا أن السجينات سيسرقن كل ما تصل إليه أيديهن ، ولن يلبثن أن يسأمن، لأن أكثرهن حثالة المدينة نشأن لصوصاً وعاهرات منذ نعومة أظفارهن . وكل رغبة يبدينها فى تحسين حالهن إنما هى رغبة طارئة عابرة ، وستجد بعد حين أنها قد أضاعت الوقت والمال عبثا، وأنها قد لقيت فى نفسها أذى كثيراً .

ولكنها ثابرت ، فألفت لجنة من عشر سيدات من صديقاتها ، وسميت « لجنة سيدات نيوجيت » ، وقطع النساء عهداً على أنفسهن أن يتناوبن العمل كل يوم ، فيذهبن إلى السجن ليعلمن السجينات ،

ويجمعن المال ، ويسعين فى بيع ما تخيطه السجينات ، ويدفعن أجر امرأة تشرف على العمل ليل نهار .

ويومئذ هب زوج إليزابث إلى نصرتها ، فقد كان يعلم أن قلب هذه المرأة النصف الجميلة لم يزل كقلب فتاة تخفرة ، وأنها تهاب أن ترجو مرة أخرى الرجال المسئولين ، ومدير سجن « نيوجيت » . فعمد هو إلى دعوتهم لتقابلهم فى منزله الفخم ، وتحت إشرافه ورعايته حضروا وتناقشوا فى الأمر ، وحاولوا أن يثنوها ، ولكنهم عادوا فوافقوا . لقد ورطوا أنفسهم حين وافقوا على إنشاء « مدرسة » لأولاد السجينات ، فكانت تلك الموافقة أول الزلزلة التى دمرت الأساس الفاسد الذى قام عليه هذا السجن .

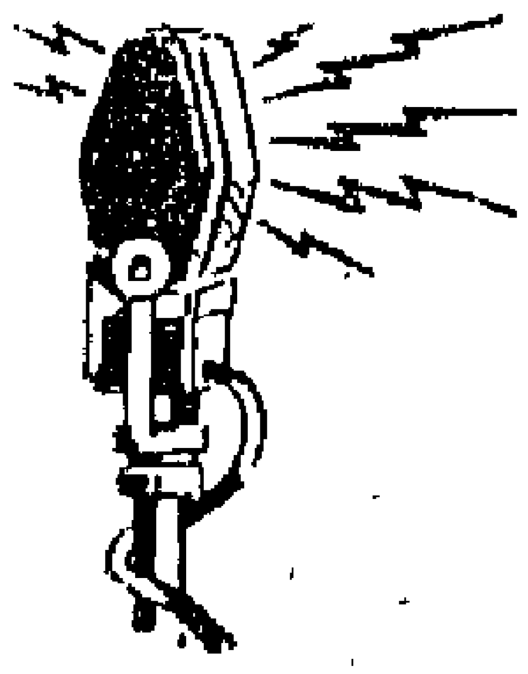
وأمر مدير السجن بتنظيف غرفة الغسيل وتبييضها وإعدادها للعمل . وفى هذه الغرفة شرعت إليزابث فيما كانت تصر على تسميته « مدرسة » . وأقامت على كل اثنتى عشرة سجينة مراقبة من السجينات أنفسهن ، إلا أنها لم تعين « مراقبة » ، ولا وضعت « قانونا » إلا بإجماع السجينات . وبعد قليل وضعت نظاما لمنح الجوائز عن حسن الخلق ، ولكنها لم تفرض عقوبة غير عقوبة الحرمان من الجوائز .

ولم يكد ينقضى شهر على بدء هذه التجربة حتى انطلق محافظ لندن والقاضيان وعدد كبير من كبار المدينة يزورون نيوجيت . وقد وصف أحد الكتاب هذه الزيارة بقوله :

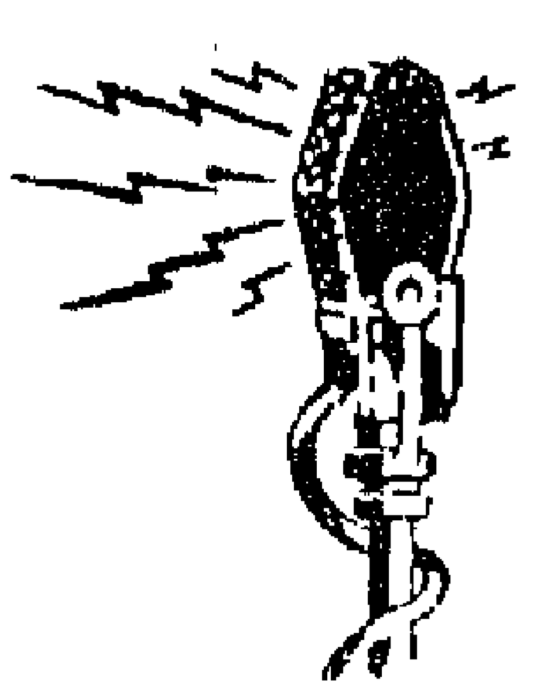
كان كثير من الزائرين يعرف سجن نيوجيت ومنهم من كان قد زار ذلك السجن منذ بضعة أشهر ، فرأوا الآن ما يصح أن يسمى انقلابا ، فلم يروا ما عهدوا من نساء منبوذات خليعات بين العرى والعربدة . بل رأوا المكان الذى كان يسمى « جحيم الأرض » قد انقلب مشغلا لا يهدأ أو أسرة منظمة . فوافقوا من فورهم على جعل المشروع كله جزءاً من نظام سجن نيوجيت ، وأخذوا على عاتقهم تدبير بعض المال للمديرة ، وأثنوا على إليزابث ومساعداتها ثناء حسنا .

وكذلك بدأ ذلك العمل الذى لم يحل عليه الحول حتى اتسع نطاقه ، فذاع صيت إليزابث فى جميع أنحاء البلاد . ولم تنقض ثلاثة أعوام حتى أصبحت تراسل معظم أصحاب التيجان فى أوربا ، باعتبارها مستشارة فى شئون السجون . وقد خلد اسمها بعد موتها بين أعظم نساء التاريخ .





لـــوَاذع هـــولـــيوود



يختارها ويحررها . آندرو ب . هشت

١ — دنا أحدهم من « بيت سميث » الكاتب السينمائى ، ومنتج الأفلام القصيرة التى يقوم فيهـا بدور الراوى ، ورجاه أن يعطيه سـبعة قروش لفنجان قهوة . ويقسم سميث أنه لما سأل الرجل لماذا يريد سبعة قروش أجاب أنه يحتاج إلى قرشين ثمناً للقهوة ، وإلى خمسة قروش ثمناً لحبوب منومة ، لأن القهوة تؤرقه .

٢ — كثيراً ماتتهم صناعة السينما بالمحسوبية ، وقد كان موظفان يبحثان فى ذلك ، فعرض ذكر عم أحد المنتجين ، فسأل أحد الموظفين « ماذا يعمل ؟ » فقال الآخر :

إنه يجلس فى مكتبه فإذا هبت ريح باردة من الشرق أسرع إلى الرئيس يحذره . وأما الغرب فيتولى حمايته ابن أخيه .

٣ — كان آرثر مرى وجروشو ماركس الممثل الهزلى ، يتحدثان عن ممثلة بعينها ، فقال مرى : « إن نفسها هى أعدى أعدائها » فرد جروشو ببرود وقال : « لا ، مادمت أنا حياً » .

٤ — أصبحت الجياد فى هوليوود أغلى من الغوانى الحسان ، فالنجمة الناشـئة تبدأ بمرتب قدره ٧٥ ريالا فى الأسبوع ، وأما شركة فوكس فقد عقدت منذ عهد قريب ، عقداً طويل المدى لاسـتخدام جواد عمره أربع سنوات ، بمرتب يكون فى أول الأمر ٣٠٠ ريال فى الأسبوع .

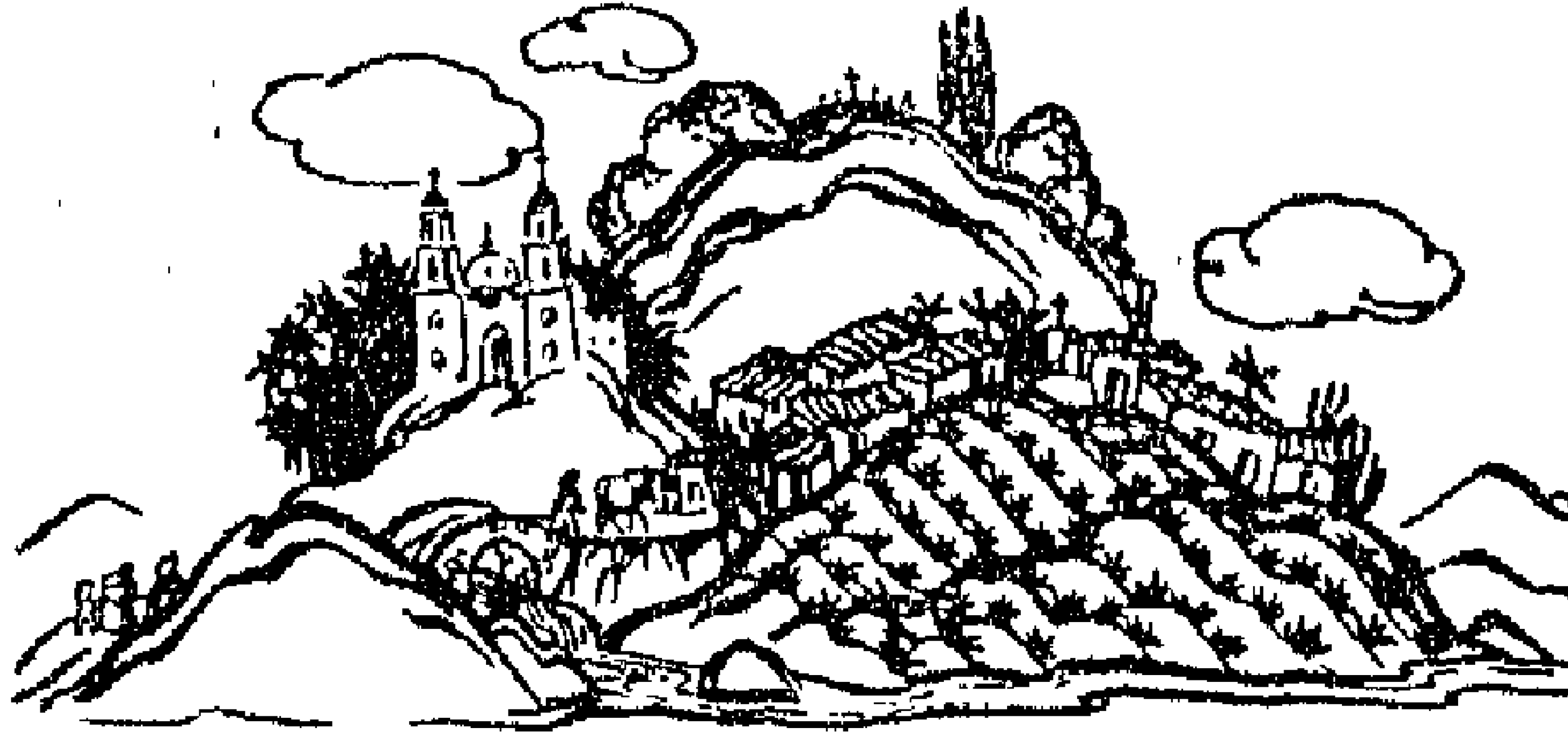
٥ — للمخرج جون كرومويل رأى مؤداه أن الرجال الذين يوفقون فى الحياة تبدو عليهم فى صغرهم أمارات الفطنة وسعة الحيلة . وهو يروى أن أحد كبار الأغنياء ، دخل وهو صبي مزرعة بطيخ وسأل الفلاح عن ثمن بطيخة كبيرة ، فقال الفلاح هو عشرة قروش . فقال الصبي : ولكن ليس معى سوى قرش واحد . فابتسم الفـلاح وغمز مساعده ، وأشار إلى بطيخة صغيرة فجـة وقال : هذه بقرش . فقال الصبي على الفور : اتفقنا ولكن لا تقطفها الآن ، فسأعود وآخذها بعد أسبوع .

٦ — يروى توم جنـك أن رجلا استشار صديقاً له فى مشكلة عرضت له فقال : « لقد فرت زوجتى مع أعز أصدقائى — ولشد ما افتقـدته صديق ! » .

٧ — شبت النـار فى مطعم بهوليوود ليلة افتتاحه ، فلما رمم أقيمت حفلة الافتتاح الثانيـة ، فدعا صاحب المطعم أعضاء فرقة المطـافىء فى هوليوود ليكونوا ضيوف الشرف .

٨ — جاء فى صحيفـة من صحف هوليوود أن مارلين ديتريش ستحل ضيفاً فى منزل زوجها سيبر .

كانت حياته ملؤها الرؤى والأحلام
فصارت نفعاً وخيراً على مدينة بأسرها



"رجلٌ فنّان"

جعل أحلامه عملاً نافعاً

بقلم ج. پ. ماك ايڤوى

لست أعرف بين رجال الأعمال رجلا أوفر نجاحاً من « بل سپراتلنج » الذى يقطن مدينة تاسكو القديمة الجميلة فى المكسيك، فقد اتخذ من عمله فناً رائعاً، وجعل فنه عملا رابحاً. وهو يعيش حياة ملؤها الرؤى والأحلام، كأنما هى صفحة منتزعة من رواية لفقها الخيال. ومعظم رجال الأعمال يرهقون أنفسهم فى مزاولة أعمال لا تروقهم، فى أماكن يمقتونها، ويحاولون أن يوفروا مالا لا يسعهم أن يدخروه، لكى يتاح لهم أن ينفقوا بضع سنوات من شيخوختهم متمتعين بالحياة فى مدينة كمدينة تاسكو.

أما « بل » فهو من أولئك الرجال الفنانين الذين يصمهم المحافظون من رجال الأعمال، بأنهم أهل خيال لا أهل أعمال. وقد كان « بل » أحد الأساتذة الخياليين فى جامعة تولين بمدينة نيوأورليانز يدرس فنون المعمار. ولعل أساتذة المعمار ليسوا قوما يستسلمون إلى الخيال، أو لعل « بل » نفسه يختلف عنهم. ومهما يكن من شىء، فهذه القصة تبين أن بل سپراتلنج كان رجلا خيالياً ينطوى على قدرة تحسن تنمية المال والقيام عليه.

منذ نحو عشرين سنة دعى « بل » إلى جامعة المكسيك ليلقى سلسلة من المحاضرات فى فن المعمار الإسبانى القديم فى أمريكا، فطوف فى أرجاء البلاد منقباً عن المبانى التى تعد نماذج من ذلك الفن. وفى أحد الأيام، كان يطوف على بعد ٧٥ ميلا من مدينة المكسيك، فعاج بأكمة، حتى أطلّ على مجموعة من سقوف مبنية بالآجر الأحمر الذى نصل لونه، وشوارع متحدرة مرصوفة بالحصى الذى صقلته أجيال متوالية من حمير تحمل ركاز الفضة على متونها. كانت هذه المدينة مدينة تاسكو القديمة الجميلة، التى يرجع تاريخها إلى إمبراطورية الأزتيك التى أنشأها مونتيزوما فى أواخر القرن الخامس

عشر وأوائل السادس عشر ، يوم كانت هذه الآكام مَعْدِناً لذلك الكنز من الفضة الذى فتن الفاتح هرناندو كورتيز .

فهام « بل » بمدينة تاسكو هياماً جارفاً لا يكبح جماحه ، ولكن عمله كان فى مدينة نيو أورليانز ، فأشرف على الإفلاس . فلو كان « عملياً » لعاد إلى عمله ، ولكنه كان رجلا خيالياً ، فتمثل له خيال كتاب عن المكسيك ، ثم خيال ناشر فى نيويورك يقدم له المال على حساب الكتاب ، لكى يتمكن من البقاء فى تاسكو .

وكان فى حاجة إلى كتب عن أمريكا الجنوبية ليطلع عليها قبل تأليف كتابه ، ولكنه لم يسعه أن يشتريها لضيق ذات يده ، فتحول ناقداً للكتب فى صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون ، على أن يتقاضى ٥٠ ريالا فى الشهر ، ويحتفظ بالكتب التى ينقدها دون مقابل . فعاش ثلاث سنوات عيشاً رخياً رضياً ، على حين مضى يدأب دؤوب دودة القز ، فى تأليف كتابه عن المكسيك ، فجاء آية فى وصف الحياة فى تلك البلاد .

وحدث « بل » نفسه فقال : إذا كنت قد استطعت أن أدبر أمر حياتى فى تاسكو ثلاث سنوات ، فماذا يمنعنى عن تدبير أمرها ما حييت ؟ ولكن ذلك يقتضى منه أن يكون له دار يملكها ، وثمن الدار ألفا ريال — فقد كان يعرف ما يريد ، بل كان قد صنع له صورة فى خياله .

فلما نشر كتابه ذاع صيته بين جيرانه ، فصار كل سائح يؤم المكسيك يذهب إلى تاسكو ، ويطلب أن يقابل « بل سبراتلنج » . ولما ذهب دوايت مورو . سفير الولايات المتحدة فى المكسيك ، إلى تاسكو ، لم يجد « بل » بداً من أن يكون له دليلا إلى مناجم الفضة المهجورة ، وإلى الكاتدرائية العظيمة التى شيدها دون جوزى ده لابوردا شكراً لنعمة الله عليه بالثروة التى أخرجها من جوف هذه الآكام . فحين رآها مورو ، اعترف بأنه من الخير أن يفرغ الشكران فى مثل هذا البناء الجميل الباقى على الزمن . وكان مورو قد قضى فى المكسيك سنين ملأت قلبه سعادة ورضى ، وقد دنا موعد فراقها ، فأراد أن يعرب عن شكره للأمة بإهداء هدية فنية ، يؤثر أن تكون بمدينة كرنافاكا حيث كان يقيم .

فتبرع له « بل » بالرأى — أى شىء أجمل من صورة كبيرة على جدار يصورها المصور المكسيكى المشهور « ديجو ريفيرا » ؟ وأى جدار فى كرنافاكا أجدر بهذه الصورة من قصر كورتيز التاريخى ؟ ففتن مورو بهذا الرأى ، وفتن به ريفيرا أيضاً . فقد كان ذلك سنة ١٩٣٠ قبل أن تذيع شهرته

ويكثر ماله . وقد ازداد ديجو فتنة حين رأى الجدران الثلاثة فى القصر ، وتبين الفرصة المتاحة له ، ليرسم عليها صور الفتح الإسبانى ، ولكنه تحير فى الأمر : كم يتقاضى من مورو الثرى ؟ هل يستطيع « بل » أن يشير عليه ؟

كان « بل » مهندساً ، فالجدار فى نظره هو رقعة مساحتها كذا من الأقدام المربعة ، سواء أصورت عليه صورة ، أم طليته بالجير . فسأل ديجو ماتقاضاه على آخر صورة صورها . « ثمانمئة ريال » . وكم كانت مساحتها ؟ إن ديجو لا بد كرفقدرها « بل » . ثم قال : لنعمد الآن إلى قياس الجدران ، ثم نقرر جعلاك على أساس المتر المربع . ولكن ينبغى أن يخفض ديجو جعله إلى النصف ، لأن الصورة ستكون على جدار ثابت ولا يمكن أن تباع . وحسب « بل » مجموع الجعل على هذا الأساس ، وديجو يراقبه ، فإذا المبلغ ١٢ ألف ريال .

فشهق ديجو وقال : « يسرنى أن أصنع الصورة لقاء ألف ريال وحسب » . فقال صاحبنا وفى عينيه رؤى وأحلام : « لكن الحساب يقول ١٢ ألف ريال » فقال ديجو مستريبا : « إذا استطعت أن تظفر باثنى عشر ألف ريال فلك ألفان منها » . وكذلك ظفرت مدينة كرنافاكا بصورة نخمة على جدران القصر ، وظفر مورو السفير الثرى بتحقيق رغبته ، وريفيرا بعشرة آلاف ريال والخيالى بل سبراتلنج بالدار التى كان يتمناها .

و « بل » أجل شكراً لدوايت مورو ، من أجل ذلك الخاطر الذى حوله إلى عمل تجارى موفق . ففى ذات يوم كان « بل » والسفير فى الكاتدرائيـة ، فقال السفير : « أليس من بواعث الأسف ، أن تهجر المناجم التى أخرجت كل هـذه الكنوز ؛ وأن ينقرض صاغة الفضة الذين صنعوا مثل هذه الروائع ؟ »

يقول بل : « وظلت كلمات مورو تتردد فى ذهنى . أينقرض فن جميل كهذا الفن فى بضعة أجيال قصيرة ؟ أنستطيع إحياءه ؟ فبحثت عبثاً فى تاسكو عن صائغ فضة ، ثم فى البلاد المجاورة فما حولها ، وبعد أشهر عثرت على صائغ متوار فى قرية هندية صغيرة ، وحتى هـذا الصائغ لم يكن يذكر سوى القليل من الفن الضائع ، فلم يكن بد من تدريبه حتى يتمكن من صنع الحلى البسيطة التى رسمتها له » .

كان ذلك منذ إحدى عشرة سنة ، أحيى بل سبراتلنج خلالها فى تاسكو صناعة منقرضة ، وأنشأ تجارة أصدرت فى السنة الماضية إلى بلاد القارتين الأمريكيتين ماقيمته ١٫٣٠٠٫٠٠٠ ريال من الجوهرات وآنية الشاى والزهريات

والأباريق ، وكان كلها جميلا رائعاً ، وكان كلها مرقوما برقم « فضة سبراتلنج » .

ولا يزال سبراتلنج يرسم كل قطعة يصوغها رجاله . ولو كان أحد غيره لسمى رجاله عمالا ولفاخر بصنعه ، ولكنه لا يفعل ، فرجاله يعملون فى « أستديو » لا فى « مصنع » ، وهو مكان محتشد بأكوار ومقاعد قائمة فى خرائب قصر قديم مشيد على سفح جبل ، حيث تجد أربعمئة رجل من الصاغة كأنهم جِنّ سمر الوجوه ، يصهرون الفضة ويصبونها ويطرقونها ويصقلونها ، ويتنقلون من قسم إلى قسم يضمون أذرعهم على حجر اليشم وغيره من الجواهر وروائع آنية الفضة .

فى هذه البقعة نفسها كان رجال الأزتيك يستخرجون الفضة من المناجم ، وفيها استغل الفاتح كورتيز هؤلاء القوم . وبعد قرون جعل ده لابوردا فى هذه البقعة أيضاً يحمّل بغاله بالفضة ويرسلها إلى مدينة المكسيك . وفى السنة الماضية ، اشترى سبراتلنج هذه الخربة المهجورة بثلاثة آلاف ريال ، وبذل جهداً عظيما فى ترميمها ، وأنشأ فيها مطعما ومقهى وبركة للسباحة ، ثم نقل إليها رجاله وأبناءهم .

وهذا « الأستديو » العجيب ، هو أيضاً مدرسة ونادٍ ومركز لنشاط الجماعة ، و « عيادة » تعالج فيها وتحل مشكلات الصد بين رجال العمل ورجال الإدارة . هنا تجلة رجلا فناناً مهندساً خيالياً ينشىء بذكاء رجال الأعمال وصدق حدسهم ، صناعة وطنية تتيح عملا للأهلين وتوفر رخاء للجماعة ، وتجعل حسن الحوار عملا لا قولا وحسب .

وقد ألف « بل » لجنة من كبار الصاغة ، عهد إليها بإدارة العمل . وهذه اللجنة تنتخب كل ستة أشهر لجنة تتولى التنفيذ . فتقرر ما يلزم من زيادة المرتبات ، وتعين أيام العطلة ، وتضع جدولا للإجازات ، وتدبر أمر الطباخ ، وتشرف على الطعام ، والمطعم يقدم للصانع إحدى عشرة وجبة كل أسبوع مقابل ريال ونصف ريال ، فثمن وجبة من الطعام الجيد ثلاثة قروش ونصف قرش ، وهو أقل من ثمن وجبة من الطعام الردىء فى مطاعم المدينة .

والعمال سبع طبقات متدرجة ، على رأسهم الأساتذة أو « المعلمون » وأجر كل منهم يبلغ أربعين ريالا فى الأسبوع — وأدناهم الصبيان الذين يتدربون . ومعدل دخل العامل يبلغ عشرة ريالات أو أكثر قليلا فى الأسبوع ، وهو مبلغ ضخم فى مدينة تاسكو الصغيرة . ولا يرقى العامل من طبقة إلى طبقة ، ولا يزاد أجره وفقاً لطبقته ،

إلا إذا رضى « المعلمون » عن عمله . واللجنة تشرف أيضاً على حفظ النظام ، فالفرص التى تغرى العامل بالسرقة ، تكثر حيث تتداول الأيدى طول النهار أدوات ثمينة ، وقد نفض سپراتلنج يديه من عمل المراقبة المقيت ، فألقى المهمة على العمال أنفسهم .

ويقول سپراتلنج : « لقد وجدت أنه إذا ألقيت على العمال تبعة إدارة المصنع أحسنوا العمل أكثر مما يحسنه صاحبه . وتكاد قوانين العمل فى المكسيك تحظر طرد عامل بعد أن يعمل أربعة أسابيع ، حتى إذا ضبط متلبساً بجريمة السرقة ، ولكن إذا ضبطه زملاؤه ، فلهم أساليبهم فى التخلص منه فى الحال » .

يأخذ سپراتلنج صبياناً لا عهد لهم بالعمل من القرى والمزارع ، ويدفع لهم أجراً خلال فترة تعليمهم ، ويرد منهم من لا يصلح ، ويوجه عنايته إلى كل صبى يرجى له النجاح . وهو يشترى قطعاً من الأرض ، ويصمم دوراً تبنى عليها لكبار رجاله ، ويعينهم على شرائها بأن يقدم لهم مالا على حساب دخلهم فى المستقبل . وفى كل سنة يتيح لكل عامل فرصة ليصير رساما يبتكر رسوما للآنية والمجوهرات ، ويمنح جائزة لأجمل قطعة ، وهو يقدم لهم المواد اللازمة لما يصنعون ، ويفسح لهم ثلاثة أيام بأجر كامل ، لصنع ما يريدون .

وقد تخرج فى مدرسة « بل » هذه طائفة من كبار صناع سپراتلنج ، وآخرون استقلوا بالعمل . وترى الآن مئات من المصانع الصغيرة ، وألوفاً من الصاغة ، يصنعون أوانى الفضة والمجوهرات فى تاسكو ، ولم يكن فيها منذ إحدى عشرة سنة سوى مصنع واحد — مصنع « بل » ، ولا يزال المستوى العالى الذى بلغه « بل » فى التصميم وإتقان الصناعة وأحوال العمل ، مثالا يحتذى .

لم تقتصر يقظة « بل » الفنية على مصنعه بل تعدته إلى المدينة نفسها . ذلك أنه حين تدفق الخير على أهل المدينة وجعلوا يتطلعون إلى تشييد أبنية على الطراز الحديث ، وتزيينها بأعمدة من « الكروم » وأضواء النيون ، عمد إلى تأليف لجنة من القوم لحماية المدينة ، فانتهى بها الأمر إلى عد مدينة تاسكو أثراً تاريخياً ، واشتركت فى سن قانون ينفذ الآن تنفيذاً دقيقاً . فكل تصميم لبناء جديد ، يجب أن ينسق مع هندسة الأبنية القديمة . ولا يباح هدم بناء قديم بغير إذن ، ويحظر تعليق ألواح الإعلان فى الشوارع ، وكذلك إقامة الأرصفة المصنوعة من الإسمنت على جانبى الشارع ، وصنع السقوف من ألواح القصدير . أما الألوان فيجب أن يراعى فى مجموعها

الاتساق والتوافق . وكذلك صارت مدينة تاسكو درة بين المدن القديمة ، تحدى إليها ركائب السياح من ألوف الأميال .

وحين يحبك الناس في المكسيك يقيمون لك احتفالا ، فيعزف العازفون ، وتطلق الأسهم النارية ، وتقبلك الغوانى الحسان وترميك بالزهر ، ويرقص الناس في الشوارع . ومدينة تاسكو تقيم مثل هـذا الاحتفال لصاحبنا « بل » كل سنة . وقد كان احتفال السنة الماضية بالغ الفخامة والروعة ، لأنه كان احتفاء بالعيد العاشر . وقد تنافس كبار الصاغة فى صنع تاج من الفضة للغانية التى انتخبت « ملكة الفضة » ، وتولى « بل » وضع التاج على رأسها في حفلة راقصة ختم بها عيد دام ثلاثة أيام . وقد لبس الناس زينة من الفضة ، وهتفوا حين أقبل من مدينة المكسيك رجال على رؤوسهم قبعات من الفضة لتحية « صاحبنا الأمريكى » الذى جاء يقطن في هذه المدينة المكسيكية الصغيرة لأنه أحبها ، ثم أقام فيها ليحمى حمى جمالها وينشر فى أرجائها السعادة والرخاء .



أتريد أن نعرف مواطن الضعف في خلق أمرىء ما ؟ إذن فلاحظ ما يسرع إلى ملاحظته من مواطن الضعف فى سائر الناس . [مجلة « ذى پاثفايندر »]



وليم كنودسن من كبار رجال الأعمال فى أمريكا ، وأحد الذين اعتمد روزفلت عليهم في تنظيم الإنتاج الحربى . وقد جاءه ذات يوم معاون من معاونيه وهو يضطرب ، وقال له إن أحـد التقارير قد ضاع ، ففتش عنه فلم يجده ، فكيف يستطيع أن يمضى فى عمله .

فقال كنودسن متمهلا مترفقاً : « هناك نوعان من التقارير ، أحدهما يقول إنه يستحيل إنجاز عمل بعينه ، والنوع الآخر يقول إن العمل قد أنجز . أما الأول فلا خير فيه ، وأما الثانى فلا حاجة إليه » .

[أديسون بليرنى بمجلة « بارون »]



أبقى الأحياء على الزمن :
بواسق كاليفورنيا

دونالد كلروشن بيتي • مختصرة من مجلة " فروشتيرز "

حين تخطو مخلّفاً وراءك شمس كاليفورنيا المشرقة ، إلى القتام المتغلغل فى إحدى غابات السيكويا[1] والسكون المخيّم عليها ، فكأنك قد دخلت غرفة شاهقة السقف ثم أوصدت عليك بابها . فهذه البواسق الذاهبة فى جو السماء إلى ارتفاع ثلاثمئة قدم ، وما فيها من قوة طاغية ، وما تبثه فى قلبك من روح البراءة والقدس ، هى كالأنامل تهدهد من حواسنا المتفززة ، وتدعونا إلى السكون والراحة .

فليس من العجيب أن يختار مؤتمر الأمم المتحدة غابة ميور ، القائمة على الضفة المقابلة لمدينة سان فرنسسكو من الخليج ، مكاناً لإقامة حفل تذكارى للرجل الذى دعا إلى المؤتمر ولم يتح له القدر أن يشهده .

وبواسق السيكويا توحى إلى كل ناظر بمعانى القوة والنماء والقدم ، فهى من أقدم الأحياء على سطح الأرض ، ولكنها تجدد حياتها على الدهر . وهى لا تتكاثر من بذور تتفلّق عنها قشورها ، بل تراها ترتد إلى الحياة شجراً كاملا إذا قطع ما ظهر منها أو حُرق — اللهم إلا إذا أتلفت جذورها إتلافاً . وليس بين الفصيلة الصنوبرية شجر متصف على الدهر بهذه القدرة العجيبة على أن يبعث بعثاً جديداً .

وشجرة السيكويا تستطيع أن تنبت مئة غصن جديد من براعم مستكنة فى جذع شجرة قديمة . وقد تسطو ستة من هذه الأغصان على الأخرى فتبيدها ، ثم تترعرع هذه الستة وتنمو فتصير كل منها على الزمن شجرة ضخمة باسقة كالشجرة الأصلية ، وتراها قائمة كأنها أعمدة مرددة . وهذه الأشجار لا تعدّ بنات الشجرة الأمّ ، كما تعد النوابت الرقيقة التى تنمو من بذرة . إنها حياة متجددة فى جيلها . ولو قطعت جميع الأشجار ، لكانت خليقة أن تبعث ، فلذلك يشق علينا أن نصدق أن تيار الحياة فى بواسق السيكويا ليس فى تقدير الناس

(١) شجر كبار من الفصيلة الصنوبرية تستوطن كاليفورنيا .

وأغراضهم العـابرة ، تيـاراً خالداً .

وقد يكون مدى حيـاة جذع من هذه الجذوع أربعمئة سـنة ، إلى ألف وثلاثمئة سـنة . ولـكن غابات البواسق ما زالت قائمة منذ مليون سنة على الأقل ، فهى بقايا عصر جيولوجى خلا . وحين تسير بين هذه الأعمدة الحمر ، حيث ترسل الشمس أشعة دُخْناً من ضـوءٍ علوىّ ، وحيـن تطأ بأقدامك بساطاً من ورق الشـجر ما زال يترا كم منذ قرون ، تحس كأنك قد رميتَ خطاك إلى مشهد عصر غَبَر . وأدعى من ذلك إلى الدعة ، أن هذه الأشجار ستظل قائمة فى وجه الشمس ، بعد أن تتحول أنت وأبناؤك وحفدتك وأبنـاؤهم إلى تراب . ويومئذ يجىء أغراب يطأون حيث تطأ الساعة ، ويصعدون أبصارهم فى رهبة إلى هذه السـوق الباسقة ، ثم ينصتون لـكى يسمعوا الحنين المتردد بين رؤوسها حين يهب نسـيم البحر بين الأغصان . وحتى الرجل الذى يتيـه إدلالا بقوته ، لا يستطيع أن يصعّـد بصره إلى إحدى هـذه البواسق ويقول : « أنا أعظم منك أيتها الشجرة » .

ولا يعرف عمر الشـجرة مـن هذه البواسق إلا حين تقطع ، فتعد الحلقات التى تبدو فى مقطع جذعها ، فلـكل سنة حلقة . وقد قطعت شجرة منذ عهد قريب ابتغاء خشبها ، فوجـد أن عمرها يقل قليلا عن ألفى سنة . وليس فى وسع أحد أن يعرف كم تراها تعمَّـر لو تركت ولم تقطع . وهذه الحلقات تقص قصة عجيبة — فالرقيقة منهـا تدل على السـنوات العِجاف التى قل فيهـا نموها ، والعريضة تدل على سنوات الخصب التى بلغ فيها نموها مبلغاً عظيما . والحلقات تدل أيضاً على ما لحق الشجرة من مس النار منذ قرون كثيرة . فحين كانت هذه الشجرة طفلة فى عشيرتها ، كان الرومان يومئذ فى بلاد الشرق . ولقد كانت سنوات نمو سريع ، فليس بين الشجر الذى يطلب لخشبه ، شجرة تبلغ مبلغ السيكويا من سرعة النمو فى المئـة الأولى من عمرها .

وما انتصف القرن الميلادى الأول ، حتى صارت هـذه الشجرة مارداً جباراً ، يزيد ارتفاعها على ستين قدماً . فلما سقطت روما فى أوائل القرن الخامس ، كانت قد بلغت من الارتفاع ١٥٠ قدماً ، وبلغ قطر جذعها على متر من سطح الأرض عشر أقدام .

وفى أواسط القرن الحـادى عشر — الخامس الهجرى — كانت قد صارت ملـكا بين شجر الغاب ، وفى القرن الثالث عشر الميلادى ، يوم وقع الإنجليز الوثيقة الـكبرى كان الجزء الأسفل من جذعها يبلغ مئـة قدم ، وكان رأسها يعبث بضـباب البحر ،

على ارتفاع ٢٥٠ قدما فوق سطح الأرض . وكانت لا تزال آخذة بأسباب النمو ، وإن كان نمواً بطيئاً ، يوم نزل الروس على شاطئ كاليفورنيا فى سنة ١٨٠٢ ، وبنوا بخشب السيكويا حصناً لا يزال قائماً على مسافة ٩٠ ميلا إلى الشمال من مدينة سان فرنسسكو .

فلما دعا داعى الذهب فى كاليفورنيا سنة ١٨٤٩ ، وجاء الناس يهوون بفؤوسهم الضعيفة على جذوع يبلغ قطرها ١٠ أقدام أو ١٢ قدماً ، كان ارتفاع هذه الشجرة قد صار ٣٠٠ قدم على الأرجح . وقد ذهب فريق من المتشككين الإنجليز إلى أن ارتفاع الشجرة منها لا يمكن أن يزيد على ٣٠٠ قدم دون أن تهوى ، وأنه إذا زعم الأمريكيون غير ذلك ، فزعمهم باطل ، ودأبهم المبالغة . إن نواميس الطبيعة نفسها تجعل ذلك مستحيلا ، ولكن صاحبتنا لم تعبأ بما يقوله العلماء فمضت صُعُداً تسامى النجوم إلى أن جاءها بعضهم فى أحد الأيام بمنشار تحركه آلة تدور بالبنزين ، فنشرتها من قاعدتها . وفى ساعة من الزمان ، هوت إلى الأرض شجرة استغرق نموها تسعة عشر قرناً ، فأحدث سقوطها رجّة كالزلزال ، فتطايرت صحاف فى أكواخ تقع على أربعة أميال من مكان سقوطها .

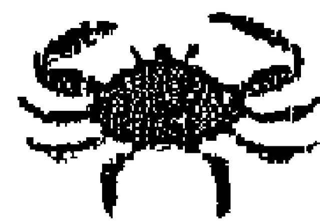
وقد تقتطع من شجرة واحدة أكواماً من الخشب مجموع مساحتها ٣٠٠ ألف قدم مربعة ، فتكفى لبناء خمسة وعشرين كوخا فى كل كوخ منها خمس حجرات . وغابات السيكويا ، هى أكثف غابات الأشجار التى تطلب لخشبها . وهى منطقة ممتدة مسافة نحو ٥٠٠ مئة ميل ، من خليج سان فرنسسكو شمالا إلى حدود ولاية أوريجون ، ولا يزيد عرضها على عشرين ميلا ، فتخرج من الخشب أكثر مما تخرجه الجزائر البريطانية مجتمعة . وليس بين الأشجار شجر آخر يصنع منه ألواح طويلة من الخشب الخالى من الأُبَن والعيوب . وليس بينها خشب كخشب السيكويا يعنو لفارة النجار ، أو يصقل صقله ، وهو خفيف متين إذا قيس إلى وزنه . وفيه مادة التنين التى تقيه الفساد ، فلا يكاد يبليه غرزه فى التراب أو نصبه فى الماء ، فهو لذلك أصلح ما يكون للأعمدة التى تقام سياجا على البر ، أو لبناء رصيف يقوم فى الماء . ويكاد يكون ممتنعاً على نخر الأرَض والسوس .

وقد مدت الخطوط الحديدية الأولى فى كاليفورنيا على عوارض من خشب السيكويا ، وهُدْهد أطفال المستعمرين الأول فى مهود مصنوعة منه ، وترى أنبذة كاليفورنيا تعتق اليوم فى دنانٍ اتخذت منه ، لأن هذا

الخشب لا ينفث رائحته فى النبيذ . وقد بنيت مدن كثيرة فى هذه الولاية بخشب السيكويا ، وها أنا أجيل نظرى فى الحجرة التى أكتب فيها هذه الكلمات ، فأرى السقف والجدران مكسوة بألواح من خشب السيكويا لم تزل على لونها الطبيعى .

أما وهذه منافع خشب السيكويا المتعددة ، فلا عجب أن تجد مصانع الخشب تتوق إليه ويتغلغل رجالها بمناشيرهم فى الغابات البكر . وشعب أمريكا لا يكاد يملك عشر هذه الغابات، وأما التسعة الأعشار الباقية فيملكها أفراد ، وفريق كبير منهم باع نصيبه إلى شركات الخشب .

ولم يتنبه الشعب إلى الخطر الذى كاد يحيق بهذه الغابات ، إلا منذ أربعين سنة ، فأنشئت هيئة همها دعوة الناس إلى أن ينقذوا هذه الغابات من أن تنقرض ، وتلتها جماعات أخرى كثيرة، تسترد الغابات بشرائها فداناً فدانا ، أو تزرع غابات قد تمضى آلاف من السنين قبل أن تعود إلى ما كانت عليه من روعة وجبروت .



الأجوبة الصحيحة

١ — ألق البيضة من ارتفاع أربع أقدام ، فتسقط مسافة الأقدام الثلاث الأولى دون أن تنكسر ، أما بعد ذلك فويل لخادمة البيت مما ينزل بخشب أرض الغرفة من القذارة .

٢ — تقف الكرة وتعود إليك إذا قذفتها إلى فوق .

٣ — بأن تسير بسيارتك القهقرى (مارش آرير) .

٤ — كان الأبوان والابنان ثلاثة أشخاص — ابن وأبوه وجده .

٥ — أنت القائد .

٦ — الانتحار .

٧ — عُلِّق الطربوش على ماسورة مسدس الرجل المعصوب العينين .

٨ — ١٥ قرشا : خمسة للقطع الأول ، وخمسة لقطع كلٍّ من القطعتين .

٩ — الملك جورج السادس ، فمن ألقابه « إمبراطور الهند » .

١٠ — بأن تلبس البنطلون مقلوباً .

أسرار الإذاعات التى كان يذيعها ضابط فى بحرية الولايات المتحدة ، وكان لها دور مهم فى تسليم اليابان .



ثمانى عشرة كلمة أوقعت اليابان

كابتن إى . م . زخاراياس من ضباط الأسطول الأمريكى

مختصرة من مجلة "سترداى إيفننج بوست"

يسلم اليابانيون الآن بأن اثنتى عشرة كلمة يابانيـــة التى أذاعها متحدث أمريكى ، كان لها شأن عظيم ، ولعـله حاسم ، فى إنهاء الحرب . ففى ٢١ يوليه سنة ١٩٤٥ قلت فى أحد أحاديثى الأسبوعية المذاعة للمحيط الهادى من مكتب الأنباء الحربية ، ما ترجمته الرسمية : « إن ميثاق الأطلسى وتصريح القاهرة هما ، كما تعلمون ، قاعدة السياسة الأمريكية » .

وقد حملت هــذه الألفـاظ الرسالة التى كانت الحكومة اليابانية تنتظرها بلهفة . وكنا فى وشنطون قد تلقينا أخباراً دقيقة من داخل اليابان بأنه منذ أوائل سنة ١٩٤٥ ، قامت جماعة قوية من الزعماء اليابانيين تبحث فى اجتماعاتها اليومية تقريباً ، الوسائل التى تستطيع بها اليابان أن تخرج من حرب يرون جميعاً أنها لا محالة قد خسرتها . وكان الذى يمنعهم من طلب الصلح هو شكهم فى أمرين : الأول أنهم يريدون أن يعرفوا معنى « التسليم بلا قيد أو شرط » ومصير اليابان بعد الهزيمة . والثانى أنهم حاولوا أن يحصلوا منا على تأكيدات بأن الإمبراطور سيبقى على العرش . وقد قرروا أن يؤيدوا مجهودات رئيس الوزارة كويسو لإطالة الحرب ما بقى الشك فى هذين الأمرين .

فما الذى جعل اليـابانيين إذن يدركون أولا أنهم مهزومون لا محالة ، ثم يدركون أن عليهم أن يستسلموا ؟

منذ وقعت حادثة بيرل هاربر شرعتُ أتساءل : ألا توجد ثم وسيلة يمكن بها إنهاء القتال دون حاجة إلى غزو الجزر اليابانيـة نفسها ؟ وفى سـنة ١٩٤٢ كنت نائباً لمدير الاستعلامات البحرية فى وشنطون ، فأنشأت فرعاً خاصاً فى وزارة البحرية لدرس وسائل الحرب النفسانيـة التى يمكن أن نصل بها آخر الأمر إلى تسليم اليابان .

والحرب النفسانية لا يمكن أن تكسب الحروب ، ولكن مما لا ريب فيه أنه كان لها أثر بالغ في حمل اليابان على الاستسلام بعد أن هزمت .

وقد بدا لنا أن اللحظة الملائمة للشروع في حملتنا جاءت يوم غزو الفلبين في شهر أكتوبر سنة ١٩٤٤ . فوضعت جماعات عديدة ، تعمل كل منها مستقلة ، الخطط لإذكاء نار الحرب السياسية في نفس الوقت الذي يجري فيه الهجوم الحربي والبحري . ولم يكن هناك جهد منسق، وكانت الأصوات ترتفع عالية في الولايات المتحدة بأن اليابان لن تستسلم . وقدرت نشرة رسمية أن هزيمة اليابان تتطلب على الأقل ثمانية عشر شهراً بعد الانتصار في أوربا .

وكانت هذه التقديرات قائمة على قاعدة العوامل العسكرية ، ولكن خبرتي الطويلة باليابانيين أقنعتني بأن العوامل النفسانية ترجح الاعتبارات الأخرى جميعاً . وتذكرت اليوم الأول من سبتمبر سنة ١٩٢٣ ، وهو اليوم الذي أتيح لي فيه أن ألم للمرة الأولى إلماماً حقيقياً بالنفسية اليابانية في وقت الشدة . وفي ذلك اليوم شاهدت في يوكوهاما الزلزال الياباني الكبير ، فأدركت فجأة أن آفة اليابانيين هي قصورهم وعجزهم الأصيل عن مواجهة الكارثة، وكانت الوزارة قد سقطت قبل ذلك بيومين ، والحكومة راكدة ، ولا سلطة هناك تستطيع أن تعمل عملا أو تصدر أمراً، وبغير أمر من السلطات العليا، لا يمكن أن يعمل شيء في اليابان . فاقتنعت وأنا أراقب الذهول الذي استولى على كل فرد ياباني ، بأن هذا خليق بأن يكون سلوك اليابانيين إذا أصيبوا بنكبة في حرب .

وبعد الاستيلاء على جزيرتي سايبان وأيوو دلت الأنباء التي جاءتنا من اليابان على أن وزارة الجنرال كويسو على وشك السقوط ، وأنه سيتولى رياسة الوزارة رجل من المقربين إلى الإمبراطور . وقد تحقق هذا في إبريل سنة ١٩٤٥ ، بتعيين الأميرال سوزوكو رئيساً للوزارة . وكان سوزوكو في السنوات العشر الماضية دائباً في مقاومة غلاة العسكريين ، وصار من أقوى الناس نفوذاً وراء العرش . فكان من الجلي أن حزب السلم صارت له اليد العليا ، وأنه في حاجة إلى التأييد .

ولما كنا على بينة من الأمر فقد كانت لدينا خطة معدة لتزويد سوزوكو بالحجج والهداية ، وكان يساعدني في الحملة ويعمل معي في رقعة ضيقة في بناء صغير بوشنطون ، جماعة قليلة من رجال الأسطول الأمريكي ، مؤلفة من ستة من الخبراء كل منهم متخصص

فى بابه . وكان أحدهم عالماً نفسانياً ، والثانى عالماً اجتماعياً ، والثالث اقتصادياً وعسكرياً ومؤرخاً ، والرابع لغوياً بارعاً ، والخامس خبيراً بالحرب النفسانية ، والسادس صحفياً .

وكانت مهمتنا أن نضعضع إرادة القيادة العليا اليابانية ، وأن نصل بها إلى الاستسلام بغير قيد عوضاً عن السحق التام ، وأن نفسر أيضاً معنى الاستسلام بغير قيد . وكانت الحملة تدور على سلسلة من الإذاعات أوجهها إلى الحكومة اليابانية والقيادة العليا ، ولم يحتج الأمر إلا إلى أربع عشرة إذاعة فى مدة لا تزيد إلا قليلا على ثلاثة أشهر لتحقيق هذه المهمة الأساسية .

وكانت أول إذاعة لى فى اليوم الذى انتهت فيه الحرب فى أوربا — ٨ مايو سنة ١٩٤٥ — وكان مدارها على تعريف الرئيس ترومان المحكم للتسليم بغير شرط . وقد وجهت حديثى إلى « اليابانيين المسئولين المفكرين » ، وذكرت عدداً من كبار الموظفين اليابانيين — من بينهم رئيس الوزارة سوزوكو نفسه — بالصلات الوثيقة التى كانت لى بهم أيام السلم . وذكرت أيضاً الأمير والأميرة تاكاماتسو ، وكيف أنى صحبتهما فى رحلتهما فى الولايات المتحدة سنة ١٩٣١

وبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة تلقينا أدلة عديدة على تلقى الإذاعة فى اليابان . فقد أذيع خبر مستعجل فى طوكيو يقول : « إن الأمير تاكاماتسو أنيب عن الإمبراطور فى زيارة هيكل أسلافه الإمبراطوريين فى إيز » . وكان هذا البروز المفاجىء لأصغر إخوة الإمبراطور من ظلمة الغموض ، هو الأسلوب اليابانى فى تعريفى أن رسالتى قد فهمت . وجاءت بعد ذلك أنباء مستعجلة من الصين ومنشوريا تتضمن إشارات عوجاء إلى أحاديثى غايتها الاستيضاح ، أو محاولة تشويه مقاصدى .

وفى اليوم التاسع عشر من حملتنا جاء أول رد مباشر من طوكيو ، وكان ذلك جواباً عن إذاعتى الرابعة التى تناولت فيها طائفة من الزعماء وقفوا باليابان على حافة الكارثة . وقد سميت فيها بعضهم وقلت : « والآن يستطيع اليابانيون أن يقدروا تماماً الزعامة السياسية التى جرت بلادهم إلى المحالفة المشئومة مع ألمانيا » .

وكان الذى ألقى الرد هو الدكتور إسامو إنويى ، نائب رئيس قسم الاستعلامات فى وزارة الداخلية اليابانية ، وكان قد اختير « لمباحثتى » عن طريق الجو فى الاستسلام بغير قيد ، لأنه زعم أنه يعرفنى معرفة شخصية . فلما تلقينا فى مكتبى رده الذى صاغه بمهارة وتهرب ، أقبلنا عليه نحلله لنعرف الغاية منه . وحصلنا من محطة حكومية على

فى جزيرة أوكيناوا ، قبل استسلام اليابان ، طلب إلى نفر من الأسرى اليابانيين أن يصغوا إلى حديث مسجل بلغتهم . ثم سئلوا عن رأيهم فى المتحدث فقالوا إنه يابانى عالى التربية . وكان الصوت هو صوت الكبتن إليس م . زخارياس ، الذى كان إلى عهد قريب من أشهر قواد البوارج والطرادات فى الأسطول الأمريكى . وقد التحق بالسفارة الأمريكية فى طوكيو بعد الحرب العالمية الأولى ، فأتقن درس اللغة اليابانية وصادق كثيرين من ضباط اليابان . وقد قال عنه ضابط يابانى أسير فى أوكنياوا بعد أن سمع حديثه : « كأن صوته صوت ضميرنا » .

النص اليابانى لحديث إسامو إنوبى . ولما درسنا النص الأصلى والترجمة ، وجدنا أن رسالة إنوبى حافلة بالبيانات الواضحة . فقد قال : « إن اليابان مستعدة لبحث شروط الصلح ، بشرط إدخال تعديلات معينة فى قاعدة التسليم بغير قيد . ونحن نود أن نشارك فى إنشاء أداة عالمية تعمل للسلم العالمى ولخير الإنسانية » . وقد فسرنا هذا القول بأنه هو « الرسالة » التى ينطوى عليها الحديث كله ، وقد اقترح الشروع فى « مفاوضات الصلح » على قاعدتنا ، فقد قال فى الختام : « إنى أود أن أعرف رأى زخارياس فى هذه الكلمات من اليابان » .

وقد كشف النص اليابانى لإذاعة إنوبى عن وجوه ذات دلالة كانت خافية فى الترجمة الإنجليزية . فقد خاطبنى وسمانى زخارياس « كون » ، وكانت الإشارات إلىّ قبل ذلك باسم زخارياس « تايسا » ، أو الكبتن ، ومعنى « كون » إذا ترجمت حرفيا هو « صديقى العزيز » ، وهى لا تستعمل إلا بين الصديقين الحميمين ، فوضعها هنا يجعلها نداء حافلا بالمغزى .

واقتبس مذيعون يابانيون آخرون فقرات من أحاديثى ، ومعنى ذلك أن كلماتى تبث وتنشر فى اليابان . وكنا نعرف أن كل إذاعة أمريكية مهمة ، تطبع مختصرة لنحو خمسمئة من الزعماء السياسيين والصناعيين والعسكريين الذين بأيديهم الأمر ، وترسل نسخ منها إلى القصر الإمبراطورى . وهكذا توقعنا أن نصل إلى دائرة الإمبراطور الخاصة .

ولم نسقط من حسابنا اليابانىّ من أوساط الناس ، فقد كنا نعيد الإرسال من جزيرة سايبان على موجة راديو طوكيو فيتسنى بذلك لليابانيين أن يسترقوا السمع ونحن نتحدث .

وكنا أيضاً نعيد طبع فقرات من أحاديثى فى صورة نشرات نلقها بالملايين على اليابان ، وكانت الأحاديث تعنون بعنوان جريدة الجنرال ماك أرثر «راكاسان نيوز» ، وهى جريدة تطبع باللغة اليابانيةوتلقيها الطائرات على الأرض اليابانية . وبهذا رجونا أن ندفع الجمهور إلى إيقاع الضغط على حكومة سوزوكو .

وتكاثفت المؤامرة حول السلم أوالحرب داخل اليابان . وكان الأميرال سوزوكو هو العقل المحرك لجماعة السلم ، ولكن رجالا أصغر منه مثل وزير البحرية الأميرال يوناى هم الذين قاموا بالتآمر وبرر الأسطول اليابانى قوة دافعة وراء حركة السلم ، وبذلنا نحن كل ما يسعنا لتعميق الهوة بين فرعى القوات المسلحة ، وكان يقاوم البحرية جماعة من غلاة الضباط فى الجيش يقودهم رئيس الوزارة السابق هيديكى توجو نفسه، من بيته الذى اعتزل فيه العمل ادّعاء . وكنا نعرف أن جماعة الجيش تدبر انقلاباً ، ولكنا كنا ندرى كذلك أن الأحوال فى اليابان لا تسمح بمثل هذا لانقلاب

وفى اليوم الذى أعلن فيه أن قواتنا استولت على أوكيناوا ، أصيبت وزارة سوزوكى بصدمة قوية ، ولم أعد أستطيع أن أخفى عن الشعب أن غزو الجزر اليابانية الأصلية سيكون العمل التالى للحلفاء . وبذل سوزوكى مجهوداً يائساً أخيراً فطلب من الحكومة السوفيتية أن تتوسط فى الأمر، فأبلغ السوفيت وشنطون التماس سوزوكى، ولكنهم لم يردوا على رئيس الوزارة اليابانية.

ولم يعد المانع لسوزوكى من قبول شروطنا راجعاً إلى اعتبار مادى مثل الاحتفاظ بمنشوريا ، فقد كان الأمر الوحيد الذى يحول دون اتخاذ قرار هو الشك فيما سيؤول إليه مركز الإمبراطور فى المستقبل، فدعا سوزوكى المجلس النيابى إلى اجتماع فوق العادة يعقد فى ٨ يونيه ، ألقى فيه خطبة كانت موجهة إلينا أكثر مما هى موجهة إلى المجلس ، للحصول على إيضاح لهذه النقطة الأخيرة .

وصارت المسألة التى تواجهنا الآن هى أن نطمئن سوزوكى إلى أنه ليس ثم عزم على القضاء على ما وصفه فى عبارة غامضة بأنه « الكيان القومى » لليابان . ولم يقتصر ردنا فى هذه المرة على الإذاعة ، بل اخترنا وسيلة ملتوية كالتى يتبعها اليابانيون. فقررنا أن نبعث برسالة غفل من التوقيع الصريح إلى جريدة أمريكية حسنة السمعة ، وأن نلفت نظر سوزوكى إلى هذه الرسالة بأسرع ما يستطاع . ووقع الاختيار على جريدة



« وشنطون بوست » فنشرت الرسالة فى ٢١ يوليه بفضل التعاون التام من جانب محرريها معنا . وكانت العبارة الأخيرة فيها كما يأتى :

« إذا كان أكبر همّ لليابانيين ، كما بين الأميرال سوزوكى فى البرلمان ، هو الكيان القومى لليابان فى المستقبل (كوكوتاى) وفى جملته مركز الإمبراطور بعد الاستسلام ، فإن طريق المعرفة هو السؤال . ومثل هذا السؤال ، على خلاف الاعتقاد الشائع ، تمكن الإجابة عنه بسرعة وعلى وجه مرضى ، لكل من يعنيهم مستقبل السلم فى الشرق والعالم » .

وأعيد نشر الرسالة فى عدة صحف أمريكية ، فأثارت اهتماما عظيما ، وكنا على يقين أن مراكز استراق السمع اليابانية فى وشنطون ستلتقطها وتنقلها إلى اليابان عن طريق البلاد المحايدة . وقد كان .

وفى الوقت نفسه أعدت إذاعة أخرى على أعلى مستوى دبلوماسى ، وكانت تحوم حول مسائل السياسة ولا تمسها ، وقد ظللنا عاكفين على نصها نحو أسبوع ، نصوغها ونعيد صوغها ونزن كل لفظ بأدق عناية . ولما ذهبت أخيراً إلى حجرة الإذاعة التى كنت أسجل فيها الأحاديث ، كان النص الرابع عشر فى جيبى .

وقد قدمنى المذيع فى إذاعتى هذه ، وهى الثانية عشرة ، فوصفنى بأنى « ناطق رسمى بلسان حكومة الولايات المتحدة » ، ولكن اليابانيين أظهروا شكا فى حقيقة السلطة المخولة لى ، فهل ثم تأييد من مقامات عالية لكلامى ؟ أذعنا النص على الصحف ورجونا بذلك أن نبدد شكوكهم . وقد أذيع الحديث فى ٢١ يوليه ، وكانت صحف المساء أول من تكلم عنه ونوه به ، وعنونته جريدة وشنطون بوست بهذه العبارة « الولايات المتحدة تنصح اليابان بالخروج من الحرب الآن ، والنجاة من الدمار المحقق » وفى صباح اليوم التالى نشرت النيويورك تيمس الحديث بنصه الكامل .

والحديث تكرار لما اشتملت عليه رسالتى إلى جريدة وشنطون بوست : « إن زعماء اليابان يواجهون أحد أمرين . الأول هو التدمير التام لليابان ، يتلوه إملاء شروط الصلح . والثانى هو الاستسلام بغير قيد وما يتبعه من المزايا على نحو ما هو مبين فى ميثاق الأطلسى »

ولم يطل انتظارنا للرد اليابانى فقد أذاعه فى الساعة ١٢ والدقيقة ١٥ صباحا من يوم ٢٤ يوليه إنويى آخر — الدكتور كيوشى إنويى — وهو من أبرز الثقات اليابانيين فى العلاقات الدولية ، وكان أستاذاً فى جامعة كاليفورنيا الجنوبية .

وكانت الرسالة التى عهد فيها إليه ذات خطر عظيم ، وكان فحواها فى الواقع أن يعرب عن استعداد اليابان للاستسلام بغير قيد ، إذا استوثقت من أن ميثاق الاطلسى سيسرى عليها . وقد قال : « إذا أظهرت أمريكا إخلاصاً فى إتباع القول بالفعل ، كتطبيق ميثاق الإطلسى مثلا فما عدا الشرط التأديبى ، فإن العسكرية اليابانية تقف الصراع مضطرة إذا لم تقفه عن رغبة . وحينئذ — وحينئذ فقط — تغمد السيوف فى الشرق والغرب » .

ويجب — ونحن نكر الطرف فيما حدث — ان نعد إذاعة إنوبى فى ٢٤ يوليه ذات دلالة تاريخية عظيمة ، فإن ههنا دليلا قاطعاً على أن اليابانيين قرروا إنهاء الحرب على قاعدة الشروط التى بينتها فى سلسلة أحاديثى . وقد جاء الرد اليابانى قبل تصريح بوتسدام بيومين ، وقبل أن تلقى أول قنبلة ذرية على اليابان بثلاثة عشر يوماً ، وقبل دخول السوفيت فى الحرب بأكثر من أسبوعين . إذن فقد تهيأت اليابان للاستسلام ، ولم يبق علينا لكى نحصد ما زرعنا إلا أن نهزها ونرجها كما تهز الشجرة المثقلة بالتفاح الناضج .

وقد كرر تصريح بوتسدام القواعد التى أذعتها فى أحاديثى ، فلما أذيع آخر حديث لى فى ٥ أغسطس لم تبق هناك حاجة إلى الحرب النفسانية . وكانت طائرة الكولونيل تيبتس ومعها حمولتها الذرية الغالية متجهة إلى هيروشيما ، على حين كان الكتاب اليابانيون فى طوكيو يدونون كلماتى . وكانت طوابير الجيش الأحمر قد زحفت لتعبر حدود منشوريا ، وصارت حياة اليابان كدولة محاربة تعد بالأيام لا بالأسابيع ، وانتهى عملنا ، وأصبح على اليابان أن تخطو الخطوة التالية .

وقد جاءت هذه الخطوة فى صورة إذاعة من طوكيو فى ١١ أغسطس تضمنت الرسالة التى بعثت بها الحكومة الإمبراطورية إلى حكومتى السويد وسويسرا . وهذه الرسالة تعرب عن قبول شروط تصريح بوتسدام : مع تحفظ ذى دلالة هو أن تصريح بوتسدام « لا ينطوى على أى طلب يتحيف من امتيازات جلالته بصفته الحاكم الأعلى » . وكان هذا رداً ضمنياً على اقتراحى الذى نشرته بجريدة وشنطون بوست ، بدون توقيع صريح ، وهو أن خير وسيلة لمعرفة مركز الإمبراطور فى المستقبل هو الاستفسار .

والباقى من التاريخ . وقد أدت الحرب النفسانية مهمتها فى حرب المحيط الهادى ، ومن شأن نجاحها أن يفتح ميادين جديدة لهذا الضرب من الحرب ، فعلى العالم أن يأخذ حذره .

قصة مدرسة تقوم بمهمة فريدة في تربية شخصية الصغار وتقويمهم



خمسون ولداً خائفاً

فولتون أورسلر — مختصرة من مجلة «كريستيان هيرالد»

على المسرح صبي يغني، وطفلة ترقص، وطائفة من الشخوص (القراقوز) تتعارك وتتصايح، وصغار يعزفون. وهم خمسون من أحداث المدرسة يمثلون أمام آبائهم الذين يعرفون القصة، فهم يشاهدونهم بعيون تغشاها الدمع. ويبدو لهم هذا التمثيل معجزة.

وكل هؤلاء الخمسين يؤدون ما كان يظن أنه مستحيل عليهم قبل ثلاثة شهور ليس إلا، وقد كانوا من قبل صبياناً وبنات شديدي الحياء، وهم يؤدون الآن أدواراً صاخبة في روايات صغيرة. والذين كانت تنقصهم الخفة واللباقة صاروا يرقصون، والذين كانت أصابعهم ثقيلة أصبحوا قادرين على تحريك الخيوط المعقدة المتصلة بالشخوص. وكل مشترك قد أتقن شيئاً، وهذا هو السبب في تسمية الفرقة «جماعة أستطيع».

وقد اختير هؤلاء الصغار لأنهم كانوا متهيبين جزعين، وكان كل منهم يهدده أبشع ما يساور الأطفال وأخطره — أي الخوف من الإخفاق. وكان كل منهم يوشك أن



يصبح ذا مركب نقص مزمن. وهذا المظهر من مظاهر التغلب على النفس وقهرها ليس إلا مثالا عادياً لإنماء الشخصية في مشروع للشباب لا يزال منذ أحد عشر عاما يؤتي ثماراً رائعة.

وقد كان من فضل علم النفس الحديث في أعمال المدرسة أن تعلم التلاميذ الخمسون الخائفون أن كل إنسان يستطيع أن يصنع شيئاً مهما، وأن لكل امرىء استعداداً خاصاً، وأنه ما من أحد يخلو من موهبة.

ومذ بدأ المشروع أرسل آلاف من أطفال مدارس ولاية نيويورك لاختبارهم في معهد قريب وضع نهجاً خاصاً قائماً على ما يهتدي إليه علماء النفس، لإنماء شخصية كل طفل. وكانت القاعدة التي يسرت النجاح أنك لا تجد إنسانين متماثلين، وأن كل طفل يجب أن يعالج بحسب حالته. والمعلمون يعملون بالتعاون مع الآباء والعلماء للتغلب على ضعف الشخصية، ولإنماء المواهب والملكات.

ويقول الذين يرعون المشروع إنه ليس إلا بداية ، ويصرح المدير أرنست م . ليجون أستاذ علم النفس في المعهد بأنك « تجد في كل مدينة كبيرة عدداً من الأطفال خلقوا للعظمة ، كعدد من أنجبتهم الأمة في تاريخها من العظماء والعظيمات . وهذه العظمة يمكن إدراكها إذا أحسنت تربية الشخصية . ونحن نحتاج إلى إعداد معلمين لتربية الشخصية ، كما أن عندنا الآن معلمين لتدريس العلوم والمعارف »

وهذا التدريب للشخصية هو الذي أثمر « جماعة أستطيع » . خذ تيد ذلك الصبي الذي رحب بالآباء عند الباب . فقد سأل عن أسمائهم ، ثم بعد ساعتين صافحهم مودعاً وسماهم بأسمائهم ، وهو واثق . ويقول ليجون : « ليتك رأيت هذا الغلام قبل ثلاثة شهور ! »

كان يومئذ لا ينفك يقول : « لا أستطيع هذا » ، « ليس لي بهذا يدان » . وكان يواجه كل لعبة أو هواية جديدة ، وكل الأفكار الطريفة أو غير المعهودة ، مواجهة من ينحيها عنه ، لأنه عبث مطلق وباطل لا يجدي . وكان لا يفتأ ينتقد إخوته وأخواته ، ولكنه يمتعض امتعاضاً شديداً من أن ينتقد أو يعاب . وكان يتجهم أحياناً ، وأحياناً تعروه نوبات عنيفة من الغضب ، وكان خجولاً إذا لقي غير أهله ، فيضطرم وجهه بسرعة ، ويرتبك بسهولة ، ويزداد نفوراً من الناس واجتناباً لهم ، وقد دُلل كثيراً في صدر حداثته ، وكثر تنبيهه إلى وجوب التحرز ، وقلما كان يسمح له بأن يحل مشاكله بنفسه ، فاعتاد أن يعتمد على أبويه .

واتفق ذات يوم أن دل معلم تيد أمه على مدرسة ليجون ، وقال لها إنها مدرسة من نوع مختلف ، وأن لها نهجاً فريداً في بابه للتغلب على الخوف والبغضاء وسائر ما يعترض النمو العقلي . والغرض من التربية فيها إنضاج الطفل وإكسابه الثقة بالنفس وإعداده من الوجهة الوجدانية لعمل يفيده معاشاً حسناً ، وينيله الرضى ، وأهم شيء أنه يهيؤه لخدمة الإنسانية ، ولا شك أن هذا يتطلب صحة العقل والنفس .

ولكي يلتحق تيد بالمدرسة ينبغي أن يختبر كل سنة اختباراً نفسانياً دقيقاً ، وهو أمر يشق على الطالب ، ومع ذلك كان بمدرسة ليجون قبل اثنتي عشرة سنة أقل من ثلاثين تلميذاً ، أما الآن فإن فيها ثلاثمئة ، وهناك عدد آخر ينتظر الدخول . ويمضون بتيد إلى غرف الامتحان التي يديرها طلبة المعهد الذين يتخصصون في درس علم النفس ، فيختبر في الألعاب الرياضية ، وتقاس قوته وقدرته على التنسيق ، ونظره وسمعه وسائر حواسه ، ثم يختبر ذكاؤه واستجاباته الوجدانية .

على أن أنفع الاستكشافات كثيراً ما يجيء في أثناء اختبار المواهب . فماذا يحسن هذا الغلام ؟ يؤخذ تيد ويكلف وضع أوتاد في سلسلة معقدة من الجحور ، ويعالج مزاليج ومسامير وكلابات ، ويفحص في احد الاختبارات بطاقة رسم عليها ثلاثون وجها وتحت ذقن كل واحد اسمه ، فيدرس ثلاثين وجها وثلاثين اسما في مدة معينة ، ثم تؤخذ البطاقة ، ويمضي إلى اختبارات أخرى . وبعد قليل تعرض عليه بطاقة فيها ثلاثون وجها ، بعضها كان في البطاقة الأولى والآخر جديد ، ولا أسماء تحت الذقون .

فكم إسما يستطيع أن يتذكر ؟ ويتعجب الجميع لقوة ذاكرته ، فإنه يتذكر جميع من رآهم تقريبا . فهو ذو قدرة نادرة على تذكر الأسماء والوجوه ، وتلك مزية لها قيمتها .

على أن نفع هذه الملكة في كسب الرزق لا تبيّن لتيد في الوقت الحاضر ، بل يبدأ ليجون بأن يبين له مبلغ السعادة التي يجلبها للغير بفضل هذه الملكة ، وفي وسعه أن يبدأ بعد قليل . وما أكثر ما يشعر الناس بالوحشة والخجل ، ففي وسع تيد أن يستقبل الزوار في حفلات المدرسة ، ولما كان يتذكر الأسماء فإنه يستطيع أن يذهب عنهم الوحشة .

ويقول ليجون لأبوي تيد : «إن ابنكما خجول ، لأنه يخشى أن لا يكون شيئا ذا قيمة . وهذا هو أوان تخلصه من هذا الوهم قبل أن يثبت ، وليس في الأمر شيء غير عادي ، فإن هناك مئات الآلاف من الصبيان مثله ، وعلى أن الأمر ليس من السوء كما يبدو ، فإن الخوف من الإخفاق يمكن أن يكون ذا فائدة إذا عالجته علاجا صحيحا » .

ويرى الأستاذ أن يكفّ الوالدان فترة عن توجيه نقد إلى الغلام ، ويقترح أن يحاولا أن يجعلا الخيبة تبدو كأنها هي الطريق إلى النجاح ، فيروي الأب على العشاء كيف حدث مراراً أن جرّت عليه أغلاطه زيادة في العمل والتعب في المدرسة ، قبل أن يصبح تلميذاً من الطراز الأول . وتروي الأم كيف شقّ عليها أن تتعلم الطبخ . وهكذا يتحدثان عن عيوبهما ومصاعبهما ، كأنها كانت مواثب إلى التوفيق ، على أن يجيء الحديث عرضاً واتفاقاً .

وبعد أيام سأل ليجون الغلام ، هل يودّ أن يكون هو الذي يستقبل الزوار في احتفال المدرسة ؟ وقبل أن يتمتم الغلام باعتذاره ، يمضي الأستاذ في سبيله ، ثم يبدأ الدرس فيلفي تيد نفسه مسحوراً بما يقص المعلم عن ستيف . ذلك أن ستيف كان سباحاً بارعاً في التاسعة من عمره ، فلما بلغ الخامسة عشرة داسته سيارة ، فانكسرت سبع من ضلوعه وساقه اليمنى وأصيبت رئته بجرح . وما أقسى ذلك على فتى كان يحلم بأن يكون بطلا !

على أن القدر ادخر له ما هو شر ، فإن الأطباء بعد أسابيع أنبأوه أنه لن يعيش أكثر من عامين وأن الشفاء مستحيل .

وفى عصر اليوم الذى سمع فيه ستيف هذا الحكم عليه، جعل يصلى ويبتهل، ثم لبس ونزل البركة ليعوم، وأبى أن يتقبل الحكم بالموت عليه ! وإذا هو بعد عامين يدخل فى مباراة السباحة ، ثم فاز بعد ذلك ببطولة السباحة لمسافة خمسة أميال .

والتمعت عينا تيد من العجب لقصة هذا السباح ، وأحس غمزة فى ذراعه ، وإذا بالدكتور ليجون ينظر إليه متبسما : « أتحب الآن أن تتولى الترحيب بالزوار يا تيد ؟ »

« نعم يا سيدى ! »

ولكن تيد يحتاج إلى كثير من المساعدة على الرغم من استعداده المتجدد لأن يحاول، فإن التغيير فى اتجاه الشخصية ليس بسهل ، ولذلك يدربونه أولا بعناية على الترحيب بغلام واحد فقط ، فيتمتم ويحمر وجهه ويشعر بالارتباك ، ولكن لا أحد يضحك أو يعبأ شيئاً ، فإن الأطفال الآخرين مشغولون بأعمال أخرى . فهوّن عليك الأمر يا تيد ! تعال ! جرب مرة أخرى .

وبعد قليل أصبح تيد يستطيع وهو مطمئن أن يستقبل أى واحد من هؤلاء الخمسين الصغار ، ويحفظ أسماءهم ، ويمضى بهم إلى مقاعدهم ، وهو أتم ما يكون رباطة جأش . وهو يعد نفسه الآن متخصصاً فى الاستقبال والترحيب .

وكان طبيعياً فى يوم الاحتفال أن يشعر تيد بمثل اضطراب الممثل على المسرح . ولكن الاحتفال لا بدّ أن يجرى والناس يفدون، ولا أحد هناك يقودهم إلى مقاعدهم. آه يا تيد ! إن الأمر رهن بك حقاً ! فيتشدد، وإذا هو قبلة الأنظار، ويجعل كل قادم يشعر بالراحة والأنس . فلا عجب إذا ترقرقت عيون أبويه وهما يلاحظانه .

وكل طفل آخر فى هذا المعهد له قصة نجاح . فهذا فرانك الذى فقد شجاعته وثقته لأنه قصير، ويعرف أنه لن يكون إلا كذلك. وبعض القصار يتغلبون على الشعور بالنقص، بأن ينقلبوا شرسين معتدين، ولكنه كان ضعيفاً فاستسلم لليأس ، وقد أصبح سريع التأثر قليل الالتفات دون أن يدرى لذلك سبباً .

وقد وجد ليجون حلا لمشكلة فرانك فى الألعاب ، فقبل حفلة التمثيل بقليل جرت مباراة فى كرة القدم بين المعهد ومدرسة أخرى ، وكان أحد المهاجمين من فرقة المعهد غلاماً دقيق الجسم إلا أنه لاعب ماهر ، وقد اتفق أن ارتفع نجمه فى المباراة . وفى اليوم التالى دخل ليجون المعهد متأبطاً دراع المدرب ، وتحدث المدرب عن اللاعبين ،

ولم يكن يعلم أن المقصود بهذا الحديث هو فرانك سوى قليل من الكبار . فقد كان ذلك اللاعب الدقيق الجسم يحب الكرة ، غير أن إخوانه نصحوه بترك اللعب لشدة قصره ، إلا أنه احتمل المتاعب والسخرية وواظب على التدرب ، فصار أسرع وأمهر من معظم التلاميذ الذين هم أكبر منه جسما .

وسمع فرانك الحديث فتجدد أمله ، وكان ينقصه التدريب والتربية ، ولكنه سرعان ما صار رئيس من يقدمون فصول التمثيل في حفلة المعهد التالية .

والفتاة ماري ذكية ولكنها متكلفة وسريعة الغضب ، ولا تحسن معاشرة أحد . وتدل الاختبارات على أن لها خيالا قوياً ، ولها أيضاً مقدرة آلية وإنشائية ، ولهذا وجهها العلماء النفسانيون إلى العمل .

وتقول المعلمة لماري : «ياماري ، أنا أريد منك أن تضعي السناريو للشخوص، ولنجعل الرواية تدور على مشكلة نفسية . فالبطل من ذلك الطراز الذي يستاء طول الوقت، ويظن دائماً أنه هو المصيب، وأن كل امرىء آخر ، مخطىء فهو متكلف سيء الخلق ، وذكي ولكنه يضايق . والآن فلنحول هذا المخلوق ، ولنجعله إنساناً ينزع إلى المعاونة ويستطيع دائماً أن يرى وجهة نظر الغير . أليست هذه فكرة يا ماري ؟ »

وتقبل ماري على وضع القصة غير منتبهة إلى شخصيتها فيها، ولكن أخلاقها تبدأ تتغير. ولا يقتصر الأمر على أن يتعلم البطل الخشبي التعاون ، بل تتعلمه المؤلفة الصغيرة أيضا .

بمثل هذه الوسائل يحل الأستاذ ليجون ومعاونوه في المدرسة والآباء أيضاً، مشاكل الأطفال . والآفة الأولى في نحو ٧٥ في المئة من هؤلاء الأطفال هي الشعور بالقصور وعدم الثقة بأنفسهم .

وبتوسيع نطاق تربية الشخصية يمكن إخراج أجيال من الرجال والنساء لم يستسلموا قط للخوف ولا تغلب عليهم الغضب ، بل هم يقهرون الشكوك والضعف ، ويعرفون مواهبهم الطبيعية ، ويستخدمونها مغتبطين في خدمة إخوانهم .



يعلمنا التاريخ أننا لا نتعلم شيئاً من التاريخ [فريدريخ هيجل]

كان ترك التدخين أسهل ما فعلت ، وإني بذلك لخبير ، فقد فعلته ألف مرة .
[مارك توين]

باب الكتب

قضية السلام

مختصرة من كتاب إمري ريفز



قالت النيويورك تيمس : « قد يكون من الخير للعالم أن يقرأ عشرة ملايين أو عشرون مليوناً من الناس كتاب « قضية السلام » ويناقشوه ، فإنه بارع بليغ يعالج الواقع كما هو » .

وتقول الأسوشيتد بريس « قل بين الكتب عن أخطار الحرب ما هو أشد تحريكاً للنفس من هذا الكتاب عن احتمالات السلام » .

وقد نشرت الصحف حديثاً كتاباً مفتوحاً ، الغرض منه حمل أكبر عدد ممكن من الناس على قراءة الكتاب ، باقتراح المستر أوين ج . روبرتس القاضي السابق بالمحكمة العليا بالولايات المتحدة ، والمؤلفين المشهورين كارل وماك فان دورين ، وبتوقيع فولبرايت ، وبيبر ، وألبرت د . توماس أعضاء مجلس الشيوخ ، وألبرت أينشتين ، وتوماس مان ، وممثلي الصناعة ، والعمال ، وهيئات المحاربين القدماء .

ومما جاء في هذا الكتاب : « ونحن نحث كل امرىء على قراءة هذا الكتاب وتدبر آرائه ، ومناقشته مع الأصدقاء في المجالس الخاصة والمحافل العامة . فإن ما فيه من آراء ، إذا اعتبرنا حقيقة الحرب الذرية ، له قيمة عاجلة ملحة ، إلا إذا كانت الحضارة مصممة على الانتحار » .

والفكرة التي يدور عليها الكتاب بسيطة : وهي أنه ما من وسيلة من الوسائل التي استخدمت لتحقيق السلام إلى الآن ، تصلح . فقد جربت جميعاً مرة وأخرى وأخفقت بغير استثناء واحد في منع الحرب . ويعتقد المستر ريفز أن السلام سيجيء ، متى تخلت السيادة القومية المطلقة التي تحدث الفوضى في العلاقات الدولية ، عن مكانها لنظام قانون عالمي ، ومتى صارت العلاقات بين الأمم منظمة لا بالمعاهدات بل بالقانون .

وفي القسم الأول من الكتاب ، وهو المختصر هنا ، يتتبع المستر ريفز الاتجاه المفضي بكل الأمم نحو النظام الجامع في ظل النظام الحالي القائم على السيادة القومية .

قضية السلام

تفكيرنا السياسي والاجتماعي اليوم يمر بعصر انقلاب شبيه جداً بالعهد الذي مر به علم الفلك والعلوم النظرية في أثناء عصر النهضة .

وقد ظل العلماء أكثر من أربعة عشر قرناً يعتقدون أن الأرض مركز الكون، وأن حولها تدور الشمس والقمر وسائر النجوم والكواكب .

ومع أن هذا التصور يبدو لنا اليوم بدائياً إلا أنه ظل سائداً لا ينقض إلى سنة ١٥٠٠ تقريباً . ثم أدى اتباع أساليب جديدة في الملاحظة إلى خطوة من أعظم خطوات التقدم العلمي في تاريخ الإنسان ، وهي تقرير نظام كوبرنيكس . ولقد فتح كوبرنيكس عالماً جديداً ،وأرشد الناس إلى الطريق الذي أفضى في النهاية إلى قبول النظرة الصحيحة إلى الكون ، وهي أن الأرض ، كغيرها من الكواكب السيّارة، تدور في الفضاء حول الشمس .

واليوم ينبغي أن نشك في تفكيرنا السياسي ، كما شك كوبرنيكس في الآراء العلمية في زمنه . ونحن نعيش في عالم من الدول القومية ، ومركز عالمنا السياسي هو أمتنا الخاصة ، وهي بمثابة النقطة الثابتة التي نعتقد أن بقية العالم تدور حولها .

ونحن نستطيع أن نحل المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل كياننا القومي، أي في الأمة بواسطة القانون والحكومة . ولكننا في علاقاتنا بالأمم الأخرى نشعر أن هذه المسائل ذاتها ينبغي أن تعالج «بالسياسة» و « الدبلوماسية » . وهذه هي قاعدتنا الأساسية وهي اليوم عتيقة جداً ولا خير فيها.

لقد ظلت هذه الطريقة عدة قرون قائمة لا يشك في صوابها أحد ، وحلت المسائل الجارية على نحو مرضى ، ولكن التطور العلمي والفني أحدث تغييرات بلغ من عمق صبغتها الثورية ، أن صارت الحاجة تحتم الاهتداء إلى طريقة جديدة . ففي قرن واحد زاد عدد سكان الأرض أكثر من ثلاثة أضعاف ، وظلت وسيلة المواصلات آلافاً من السنين ، هي قوة الحيوان — ثم حدث في قرن واحد أن تغير النقل فصار بالسكة الحديدية والسيارة والطائرات التي تدفع بالنفث . ولا مثيل في تاريخ الإنسان للتغيير الذي أحدثه التطور الصناعي .

وليس في نظرياتنا المعتمدة ما يصلح لأن تعالج به مسائل اليوم المعقدة القلقة . فإنا نلفى أنفسنا عاجزين كل العجز لأنا لسنا

مزودين إلا بآراء غير صالحة ، موروثة من العالم قبل أن يدخل فى عصر التطور الصناعى .

وعلى رغم الاتساع الهائل فى نطاق النقل ، نعجز عن منع المجاعات فى كثير من البلاد ، على حين توجد الوفرة فى غيرها من جهات الأرض . وهناك مئات من الملايين فى أمس الحاجة إلى المنتجات الصناعية ، ولكننا لا نستطيع أن نمنع البطالة بالجملة . ومع أننا استثمرنا من مناجم الذهب أكثر مما استثمرنا من قبل ، إلا أننا لا نستطيع أن نثبت العملة . وبينما نرى كل دولة حديثة تحتاج إلى خامات عند دول أخرى ، وتنتج سلعاً تحتاج إليها بلاد غيرها ، نرانا عاجزين عن تنظيم وسيلة مرضية للتبادل . وأخيراً مقت معظم الناس العنف ، ويشتاقون أن يعيشوا فى سلام ، ولكننا لا نستطيع أن نمنع تكرر الحرب التى تزداد قوة تدميرها باطراد .

ولا نزال نعتقد فى كل واحدة من الدول الثمانين ذات السيادة ، أن « أمتنا » هى المركز الثابت الذى يدور حوله العالم كله . والحوادث الغريبة الرائعة التى وقعت بين الحربين العالميتين ، تحيرنا حيرة لا أمل فى انجلائها ، إذا تأملناها من الناحية التى تنظر إليها منها أية أمة مفردة . فمن طوكيو إلى وارسو ، ومن ريجا إلى رومية ، ومن براغ إلى بودابست ، تفسر كل أمة الحوادث تبعاً لوجهة نظرها القومية الثابتة . وترى أبناء كل أمة فى كل وقت مقتنعين بأن آراءهم لا يتطرق إليها الخطأ ، وأنها خالصة من الهوى .

ونتيجة هذا أنه ما دامت هذه الأمم ذات السيادة تحتفظ بسيادتها — أى تظل حرة فى أن تفعل ما تشاء — فلا مفر من النزاع العنيف بينها ، وليس فى وسعنا أبداً أن نرجو تحقيق الأمن العالمى .

وقد آن أن ندرك أن طريقتنا الموروثة فى تناول المسائل السياسية بدائية صبيانية ، وغير صالحة على الإطلاق ، وخطأ فى خطأ . فإذا أردنا أن نوجد على الأقل بداية للعلاقات المنتظمة بين الأمم ، فإن علينا أن نسعى للاهتداء إلى طريقة علمية . ويجب أن نغير وجهة نظرنا ، وأن ننظر إلى الأمم جميعاً وإلى علاقاتها الصحيحة فيما بينها ، وأن نعتبرها دائرة على مقتضى قوانين واحدة ، بدون أن تكون هناك نقط ثابتة يخلقها لنا خيالنا لراحتنا .

وبعبارة أخرى يجب أن ندرك أن من الضرورى أن نقيد سيادة الأمم ، وأن نقيم حكومة عالمية تنظم العلاقات بين الشعوب على مقتضى القانون كما تنظم الولايات المتحدة الآن ، مثلا ، العلاقات بين الولايات ،

وإذ فليس ثمة أدنى أمل فى أن يستطاع حل أى مسألة حيوية يعانيها جيلنا ، ولا فى أن يتسنى لنا اجتناب حروب أخرى أشد تدميراً .

وفى هـذا الاضطراب الحالى للعلاقات الدولية ، نسمع الأمم يتهم بعضها بعضاً على نحو ليس أغرب منه ، وقد رفعت كل منها عقيرتها بالإنحاء على الأخرى .

فالدول الفاشية تقول إن الديمقراطية والشيوعية شىء واحد ، وأن نظام الحكم الديمقراطى يؤدى لا محالة إلى البلشفية .

ويصر الشيوعيون على أن الديمقراطية والفاشية رأسماليتان ، وأن رأس المال فى ظل النظامين يستغل العمال ، وأن الفاشية وسيلة يتخذها الرجعيون للقضاء على الاشتراكية .

وتقول الدول الديمقراطية بلهجة التأكيد : إن الفاشية والشيوعية أمرهما واحد لا يختلف ، وأن الديكتاتوريتين الجامعتين تعصفان على السواء بالحرية ، وتسترقان الفرد وتستعبدانه .

على أن الواقع أن كل واحدة من هذه التهم المتقاذفة تعبر عن وجهة نظر سطحية ، ولما كان الجنس الإنسانى لا يزال يخوض حرباً أهلية حول هذه الآراء تشمل العالم كله ، فإن النتائج الحيوية يجب أن تعرّف تعريفاً خالصاً من الهوى .

إخفاق الرأسمالية

كانت الرأسمالية هى الفلسفة الاقتصادية السائدة عند مولد النهضة الصناعية ، وكانت ثورات التحرير السياسية التى قامت فى أخريات القرن الثامن عشر قد استقرت وحققت غاياتها فى بداية القرن التاسع عشر ، وتوطدت دعائم الدول الديمقراطية — من جمهوريات وملكيات دستورية — فى العالم الغربى ، وكان من الطبيعى أن تصبح المثل العليا السياسية التى انتصرت ، هى المبادىء الأساسية السائدة فى ميادين الاقتصاد والصناعة والتجارة فى فاتحة العصر الصناعى .

وهكذا سارت حرية الاجتهاد ، وحرية التجارة ، وحرية المنافسة ، جنباً إلى جنب مع الحرية السياسية . غير أن الحرية فى الجماعة الإنسانية نسبية ، والحرية التى ظل الإنسان خمسة آلاف سنة يجاهد فى سبيلها ، معناها فى الواقع التنظيم الصالح للأفراد فى الجماعة . ولا سبيل إلى الحرية الإنسانية إلا بتقييد النوازع والحوافز الإنسانية بالكبح العام — أى بالقانون . وهى — أى الحرية — لا تمنح إلا فى نطاق يمنع أن تجور حرية فرد من الأفراد على حرية الآخرين أو تعطلها .

على أن الاقتصاديين من دعاة الحرية

المطلقة للاجتهاد، عجزوا عن أن يدركوا أن الحرية فى الشئون الاقتصادية لا يمكن أن تكون مطلقة، فإن حرية العمل التى لا حد لها ولا قيد عليها لا يمكن أن تثمر « الحرية » فى هذا العالم، إلا إذا كانت المساواة التامة المطلقة قائمة بين الأفراد، وإلا إذا ألغى الميراث، وصار على كل إنسان ن يبدأ من البداية. ولما كان مثل هذا لا يحتمل أن يكون، فإن حرية الاجتهاد وتكافؤ الفرص لا يمكن أن يكونا على أحسن تقدير إلا بقدر نسبى. ومن الجلى أن النظام الموجود الآن فى الدول الرأسمالية لا يمكن أن يسمى « اجتهاداً حراً » مع احتكار كثير من الصناعات احتكاراً يمنع أن توجد محاولات جديدة، أو يحول دون منافسة هذه الصناعات.

ومن أجل ذلك خلقت الحالة الصناعية الحديثة ثروات لا تتطاول إليها الأحلام للأقوياء من الوجهة الاقتصادية، وفقراً ونقصاً فى الحرية للملايين الذين صار عملهم مجرد سلعة.

وقد أحدث هذا الموقف بطبيعة الحال رد فعل، وكانت ثمرته الاشتراكية الحديثة. وتقول الاشتراكية إن الرأسمالية الخاصة تفضى إلى الاحتكار — أى إلى حصر رأس المال فى أيدى الأقلين وإفقار جماهير العمال.

وقد ظلت هذه الحرب بين الطبقات دائرة منذ نحو قرن إلى الآن، على الرغم من أن النزاع قائم على سوء فهم. فليس السبب فى فشل النظام الرأسمالى، أن رأس المال يسيطر عليه الأفراد والشركات الخاصة، وإنما فشل لأن « الحرية » عُدت مثلا أعلى مطلقاً، بدلا من مثل أعلى إنسانى يحتاج دائماً إلى التنظيم والتكييف بالقانون.

وبعد فترة من الغنى الخيالى لحفنة من الناس، وفقر متزايد للأكثرين، شرعت أمم شتى تجتاز الهاوية بين طبقات الرأسماليين والفقراء بتجربة اتحادات العمال، والأمن الاجتماعى، وضرائب التركات وغير ذلك من التدابير. وتدل التجربة دلالة لا شك فيها على أن حل المسألة ميسور من هذه الناحية، على نحو ما كادت تحل فى السويد والدانمرك والنرويج. فإن كون النشوء يتطلب تحويل بعض وجوه النشاط الإنسانى من الفرد إلى الدولة، ليس معناه نهاية الفردية، وإنما معناه أن مصلحة الجماعة وحرية أعضائها، تقتضيان لخيرها أن تكون بعض وجوه النشاط الحيوية للجميع تحت سيطرة الجماعة. فإن حياتنا المدنية قائمة على مبدأ أساسى هو أن الحرية الفردية فى أوسع نطاق، هى ثمرة الحظر المضروب على الأعمال الإنسانية التى تفتات على أعمال الغير.

وهـــذا هو معنى الحرية السياسـية وهو أيضـاً معنى الحرية الاقتصـادية .

ولا شك فى أن التوازن الناقص الذى لم تحقق سواه إلى الآن بين الحرية والـكبح قد عاق تقدمنا الاقتصادى .

غير أن هناك عقبة أخرى كبرى فى سبيل التقدم الصناعى ، وهى النزاع بين الحركة الصناعية والقومية السياسـية . وقد خلق هذا النزاع نزاعاً آخر أعنف ، يوشك أن يقضى على ما جنيناه فى القرنين الماضيين .

إن الصناعة الحديثة تتطلب حرية التبادل والنقل أكثر مما تتطلب الاجتهاد الفردى والمنافسة . وغايتها هى إنتاج أعظم ما يمكن إنتاجه من سلع الاستهلاك . وهـذا يقتضى اسـتخدام الخامات المجلوبة من كل أنحاء الأرض ، والتوزيع الحر على جميع أسواق العالم . وقد كانت هـذه الأحوال الجوهرية للتقدم الصناعى مفهومة ومدركة فى بداية عصر النهضة الصناعيـة ، فصارت حرية التجارة هى السيـاسة الطبيعية لأول دولة صناعية كبرى ، وهى إنجلترا .

فلما تقررت زعامة إنجلترا بفضل حرية التجارة ، بدأ الناس فى العالم الغربى يفكرون تفكيراً قومياً ، ويقدمون الولاء للدولة على كل شىء آخر . وبدا للحكومات الوطنية — وللسواد الأكبر من الشعوب — ان إقامة صناعات وطنية ، ولو قامت على غير أساس اقتصادى ، أهم من السماح للشعب بأن يحصل على خير السلع وأرخصها فى الأسواق . ولهذا قامت الحواجز الجمركية ، وفى ظلها ظهرت الصناعات القومية فى الولايات المتحدة ، وفى ألمانيا ، وفى بلاد شتى أخرى

وقد استطاعت الحواجز الجمركية زمناً ما ، أن تمكن بعض الأمم من زيادة ثروتها ورفع مستوى المعيشة فيها ، ولكن فى خلال بضع عشرات من السنين ، لم تكد تبقى دولة تستطيع أن تزيد ترقية اقتصادياتها . فإن الدول الصناعية نقصتها الخامات التى اضطرت إلى ابتياعها من الخارج ، وعجزت عن استهلاك إنتاجها كله فى الداخل . وما كادت الدول تبلغ هـذه الدرجة من التشبع ، وصار لا معدى عن التبادل مع الدول الأخرى التى لجأت إلى الحماية الجمركية ، حتى قام النزاع فاضطربت الأحوال الاقتصـادية فى العالم كله .

ومنذ اللحظة الأولى التى فرضت فيها الحواجز الجمركية ، استحال أن نتكلم عن نظام الاجتهاد الحر . ومنـذ ذلك الوقت راحت المبادىء الاقتصادية والضرورات تصادم العقائد السياسية ، وتخوض معركة خاسرة . وصارت نظريات الاقتصـاديين الأحرار ، مهما بلغ من قوة الحجة فيها ،

عاجزة عن مغالبة العواطف القومية الجامحة .
فلما لم تكن ثم بلاد جديدة تستكشف ، أو أرض عذراء تضم ، فإن الأمم المنقسمة لم يكن لها محيص عن التصادم العنيف .

وهـذا الذى اعتدنا أن نسميه التجارة العالمية ، ليس فى شىء من التجارة ، وإنما هو فى الواقع حرب اقتصادية . وليس الباعث عليه هو التبادل التجارى والإنتاج والاستهلاك ، أو حتى الربح ، بل تدعيم القوة الاقتصادية للدول القومية بكل وسيلة .

وأصبح لا يسع الاقتصاد القومى أن يعمل فى ظل القيود السياسية التى تفرضها الدولة إلا بالتشجيع المصطنع . وبدأت الرأسمالية تقضى على المنافسة التى هى أساس النظام الرأسمالى ، وأنشئت الاتحادات لتفادى قانون العرض والطلب الصارم ، وظن الأقوام أنهم ينجون بالتوجيه الاقتصادى لاتقاء إرباء الإنتاج على الحاجة ، ولإبقاء الأسعار مرتفعة .

وحدث فى الناحية الأخرى أن أنشأ العمال اتحادات الحرف ، وأن ألفوا الأحزاب السياسية ، ليوجهوا التشريع وجهتهم وليسيطروا على الحكومات .

وفى كل مكان فى العالم الغربى ترتفع الأصوات اليوم باتهام مديرى الشركات وزعماء أحزاب العمال واتحادات الحرف ، بالقضاء على الحرية الفردية . وخلاصة الصيحة هى أن الاقتصاد الموجَّه يؤدى إلى الدكتاتورية وسحق الديمقراطية .

ولا شك فى أن هذا صحيح .

فإن اتحادات الشركات واتحادات العمال ، تدفع الديمقراطيات إلى زيادة السيطرة الحكومية وتضييق الحرية الفردية ، ولكن الغريب هو أن أبطال الحرية ودعاتها الذين يتسخطون على هذا الاتجاه ، لم يعنوا بأن يدرسوا ويحللوا الأزمة التى يجتازها العالم .

إن المصالح القومية فى كل دولة تكره الحكومات والشعوب على نشدان الاستكفاء الذاتى الاقتصادى ، والاستعداد للحرب ، وزيادة التوجيه الاقتصادى . والكيان السياسى لكل دولة قومية يتعارض تعارضاً عنيفاً مطلقاً مع الحاجات التى لابد منها لنظام اقتصادى قائم على الاجتهاد الحر . ومن العبث فى الوقت الحاضر أن يبحث المرء عن قوانين الحياة الاقتصادية ، فإن المدفع فى عالم الصناعة القومية ، هو الذى ينظم الإنتاج والتجارة والاستهلاك . وليس ثم قانون أسمى من هـذا ، لتسيير الاقتصاد فى عالم مكون من أمم قومية ذات سيادة تامة . ولهذا ينحط الناس فى كل أمة إلى دَرَك الرق باطراد .

وإنه لينبغى أن يكون من الجلى لكل امرىء أن القومية عبارة عن حواجز

لا سبيل إلى تخطيها أمام الاجتهاد الحر ، فإن الرسوم الجمركية العالية وإعانات التصدير ، وإتلاف بعض الإنتاج رغبة في رفع الأسعار ، واتحادات الشركات ، قد عطلت تأثير العوامل والقوى الاقتصادية ، واضطر شعب كل دولة حيال التهديدات المستمرة من الدول الأخرى ، أن يجعل القوة في حكومته القومية مركزية .

وأصبحت حقوق الفرد التي كسبها بثمن باهظ في آخر القرن الثامن عشر ، على وشك الضياع التام والانتقال إلى طاغية جديد هو الدولة القومية . وصارت مزايا النظام الإقتصادي الحر ، وارتفاع مستوى المعيشة ، وزيادة الثروة ، وطيب المسكن ، وصلاح التربية ، واتساع وقت الفراغ ، أقل قيمة في نظر الذين أعمتهم وأشرقتهم الدولة القومية من عواطفهم الوطنية . فإنا نرى الشعوب تنزل باختيارها وفي حماسة عن حق الاستمتاع بالحرية والغنى ، إذا هي أتيح لها أن تعكف على عبادتها الذليلة لقوميتها ولرموزها .

وهكذا ، فيما عدا فترة محدودة بعد ابتداء النهضة الصناعية ، لم تقم للاقتصاد الحر قائمة في الحقيقة ، لأن مبدأ القومية السياسية قضى عليه قبل أن يشتد ساعده . ولهذا حدث في كل دولة جربت ذلك ، أن أدى سوء السيرة في الانتفاع بالاجتهاد الحر إلى زيادة سلطة الدولة ، وإلى نظام الحكم الجامع ، وإلى القضاء على الحرية الفردية .

على أن الاتجاه في الدول الاشتراكية كان على المنوال نفسه وللأسباب عينها ، فإن الاشتراكية والنظام الجامع ليسا مجرد رد فعل لمحاولة علاج الأعراض البارزة الملحة ، لأزمة خلقها التصادم بين القومية والحركة الصناعية . وقد سار التطور في كل دولة قومية في نفس الطريق ، في ظل الفوضى العالمية التي اضطرت كل دولة أن تنشد من أسباب القوة أقصى ما يدخل في وسعها ، وقد اتجهت كل دولة إلى السيطرة على الفرد والتحكم فيه .

إخفاق الاشتراكية

في سنة ١٩١٧ صارت دولة كبيرة هي روسيا مسرحاً لتجربة اشتراكية واسعة النطاق ، فقلبت الشيوعية النظام القديم — القيصرية والرأسمالية معاً — غير أن الثورة لم توجد المساواة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية

وقد كان المثاليون الذين يؤمنون بإخلاص بالمجتمع الجامع ، مقتنعين بأنه متى تم تحويل « ملكية » الأرض ووسائل الإنتاج من الأفراد إلى الدولة ، فإن المساواة الاجتماعية

تتحقق ، فيوجد مجتمع جديد سعيد يعيش في رغد .

على أنه تبين بعد سنوات قليلة من قيام الثورة أن المساواة الاجتماعية والاقتصادية المطلقة لا تتفق مع طبيعة الإنسان ، فإن الاجتهاد الخاص لازم للتقدم ، ولا معدى عن مقدار من الملكية كنتيجة للحرية الإنسانية ، فأدخلت سلسلة من الإصلاحات أدت إلى إيجاد درجات في الغنى والسلطة ليست أقل بروزاً منها في أية دولة رأسمالية .

وقد ظلت الأمة الروسية عشرين عاماً تعمل بهمة وإخلاص في وضع أساس قوة صناعية عظيمة وإنتاج الأسلحة اللازمة للدفاع عن بلادها إذا هوجمت ، ولكن مستوى المعيشة ظل منخفضاً جداً على الرغم من أرقام الإنتاج الضخمة . ويعيش العمال في أحوال هي أقل ملاءمة من الأحوال في الديمقراطيات الغربية ، ولا وجود للحرية الفردية . ومع أن كل الموارد الطبيعية والأدوات ملك للجميع ، إلا أن العلاقة بين الإدارة والعامل هي مثل ما في إنجلترا أو أمريكا — بل هي شر ٌّ في الواقع . ومعظم العمال مقيدون بالمصنع أو الأرض أو المنجم ، وليس لهم حرية الانتقال إذا لم يرضوا عن حالهم . وبعد عشرين سنة من استئصال شأفة الطبقتين العليا والوسطى ، تكونت طبقة جديدة حاكمة . فالقائد أو الموظف الكبير أو المهندس الناجح أو الكاتب أو المصور أو قائد الفرقة الموسيقية ، يتبوأ منزلة أسمى بكثير من منزلة الجمهور ، كما هو الحال في أعرق البلاد الرأسمالية .

وليس مما يغض من توفيق الشعب الروسى أن يقال إن المبادئ العليا الاجتماعية لماركس ولينين ، لم يكد يتحقق منها شيء في الاتحاد السوفيتي ، فقد كانت الشعوب السوفيتية في خوف دائم من العدوان الأجنبي ، فكان أكبر مسعى لها أن تقوى سلطة الدولة السوفيتية المركزية ، ومن هنا صار بقاء اتحاد الجمهوريات السوفيتية هو المبدأ الأعلى في نظام ستالين . ولم يحتج الأمر إلى زمن طويل لتحوُّل الدولية الأصيلة في الفلسفة الشيوعية ، إلى شيوعية قومية وتسرُّبها فيها .

وبعد أن تغلب ستالين على تروتسكى ، أخذت الحكومة السوفيتية تبنى القوة العسكرية والصناعية لاتحاد الجمهوريات ، وتصب العناصر غير المؤتلفة في هذه البلاد الواسعة في قالب قومى واحد عظيم ، وتستثير غرائز الجماعة القومية إلى حد يسَّر للحكومة السوفيتية أن تطالب الشعب بأية تضحية للدفاع عن الدولة السوفيتية وتقويتها .

وقد استثيرت العواطف القومية لهذه الشعوب غير المتجانسة ، التى يتألف منها

الاتحاد السوفيتى بنفس الأساليب الخطابية ، ونفس الصيغ والقوالب ، ونفس الأعلام والموسيقى والأردية العسكرية التى تستخدم فى البلاد الرأسمالية . وقد اضطرت الأمة أن تنزل عن كل أمل فى حياة مادية أرغد إلى زمن طويل، لتبنى قوة الدولة القومية ، وأن تخفض إنتاج سلع الاستهلاك إلى الحد الأدنى ليتسنى قصر هم الأمة كله على صناعة مواد الحرب .

وقد أثبت الهجوم الألمانى فى يونيو من سنة ١٩٤١ أن هذا كان لابد منه . وجاء الانتصار فى ستالنجراد دليلا على مبلغ نجاح هذه الخطة .

وقد أخمدت الادارة المركزية المعارضة التى كانت كامنة بين جماهير العمال فى هذا التغيير فى السياسة ، بلا رحمة ، وصارت هذه الإدارة أكثر ديكتاتورية وأشد استبداداً ، يوماً بعد يوم ، من جراء المعارضة الداخلية المتزايدة ، والضغط الخارجى المتزايد الناشئ عن سوء الحالة الدولية ، وخنقت تدريجاً آمال الشعب الروسى فى الحرية ، وصار من الجلى فى أخريات سنة ١٩٣٠ أن الدولة السوفيتية صائرة إلى التحكم الجامع التام فى الأمة بواسطة إدارة أوتقراطية .

فبعد خمسة وعشرين عاماً من إقامة أول دولة شيوعية على مبادئ ماركس ولينين ، صار الاتحاد السوفيتى أعظم دولة قومية على ظهر الأرض ، وصارت له بيروقراطية تامة السلطة، وأكبر جيش فى العالم، وقوة بوليس معدومة النظير تسيطر على نشاط كل مواطن، وطبقات اجتماعية جديدة، وامتيازات خاصة لمن يتولون مراكز رئيسية .

وقد تقول الأمة السوفيتية أنه ليس من العدل أن يعاب النظام الشيوعى بأنه تحول إلى دولة مركزية قوية ، فقد كان هـــذا ضروريا لأن الاتحاد السوفيتى كانت تحيط به دول رأسمالية معادية له،فاضطر إلى اتباع سياسة الدفاع القومى .

وهذا صحيح .

ولكن كون اتحاد الجمهوريات السوفيتية كان شيوعياً ،على حين كانت الدول الأخرى رأسمالية ، لا قيمة له على الإطلاق . والسبب الوحيد الأكبر فى تحول الاتحاد السوفيتى إلى دولة قوية،هو أنه كانت هناك دول قوية أخرى قائمة . وما دام هناك عدة دول قوية ذات سيادة يحتك بعضها ببعض ، فلا مهرب لها من التصادم ، بغض النظر عن نظمها الاقتصادية الداخلية .

ومن الجلى أن هــذه الحقيقة هى التى وجهت السياسة السوفيتية . ففى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفى كل الاجتماعات الدولية

التى عقدت للبحث فى صورة التنظيم العالمى الجديد ، كان ممثلو الاتحاد السوفيتى يدافعون عن نظرية واحدة لا تتغير — هى السيادة القومية بغير شرط أو قيد ، كما فعل الشيوخ لودج ، وجونسون ، وبورا ، فى مجلس شيوخ الولايات المتحدة فى آخر الحرب العالمية الأولى . وما من شك فى أن أشد الشيوخ الأمريكيين تمسكا بعزلة بلادهم فى سنة ١٩١٩ ، خليقون أن يوافقوا من أعماق قلوبهم على الآراء التى يدعو إليها بعد ربع قرن ، أبناء دولة تزعم أنها أعظم الدول ثورة وأوضحها « دولية » .

وقد سارت السياسة السوفيتية الخارجية على نهج أية دولة كبرى غيرها تماماً — المحالفات ، ومناطق النفوذ ، والتساهل بالتوفيق فى المواقف الضعيفة ، والتوسع بعد الانتصار الحربى . فالشيوعية فى الاتحاد السوفيتى ليست إلا وسيلة لغاية ، وهذه الغاية الكبرى هى القومية .

وقد كان النظام السوفيتى فى عهد لينين وبعد موته بعدة سنوات ، أخلى جداً من الاستبداد ، منه اليوم . وكان هناك حظ كبير من الحرية الفردية ، وكانت هناك مناقشات علنية حرّة ، وانتقاد للحكومة وللحزب فى الصحف وفى المحافل ، وإنما جاء تحول النظام أخيراً إلى دولة جامعة ذات قوة بوليسية نامة السلطة ، مع قمع حرية الكلام وحرية النقد ، وكل حرية فردية ، وقد جاء تحول الاتحاد السوفيتى إلى دكتاتورية جامعة مسايراً ومحاذياً ليقظة القومية ونموها ، ولاشتداد ساعد الدولة القومية .

فمنذ سنة ١٩٢٠ أخذت الشيوعية تتضاءل أهميتها ، والقومية تنمو وثبا . وفى هذه الأعوام الخمسة والعشرين الأولى عجزت الدولية الشيوعية على الرغم من محاولات ومساع لا تحصى ، عن نشر مبادئ موسكو فى الخارج ، ولكن الدولة السوفيتية الجامعة القومية نجحت . حتى الأحزاب الشيوعية فى البلاد الأجنبية — وهى تستوحى موسكو بلا شك — نفضت يدها من السعى لصبغ بلادها بالصبغة الاشتراكية ، وصارت أداة ليس إلا لسياسة روسيا السوفيتية القومية ، واتخذت فى كل دولة موقفا لم تمله الحاجة إلى بث الشيوعية ، وإنما أملته الحاجة إلى تقوية المركز الدولى للاتحاد السوفيتى .

ولا محل هناك للجزم بشئ فيما يتعلق بالنزاع بين الرأسمالية والشيوعية ، فإن كلتيهما تدعى أن غايتها رفع المستوى المادى والثقافى للجماهير ، أما أن هذا النظام أو ذاك أقدر على إدراك هذه الغاية ، فأمر يجب أن يتقرر بعد التجربة ، لا بأن يحطم كل واحد رأس الآخر فى حرب طبقات

سخيفة . وإذا كان شعب معين ، كالشعب السلافى ، يميل به تقاليده التى مضى عليها قرن إلى الملكية العامة ، وإذا كانت شعوب أخرى ـ كاللاتينية والأنجلو السكسونية ـ تؤثر مدفوعة بتقاليدها الملكية الخاصة ، فإنه ليس ثم أدنى سبب يمنع هذه النظم المختلفة أن تكون قادرة على الوجود معاً ، والتعاون معاً .

ومن الممكن أن نمضى فى حرب الطبقات عشرات من السنين ، وقد تهزم إحدى الطبقتين الأخرى ، ولكن حل مسألة القرن العشرين لن يتقدم خطوة واحدة .

إن دعاة الرأسمالية والشيوعية يجب أن يدركوا أنهم يحتربون فى مركبة موحدة . فالنزاع على مقعد أوثر ، أو فى سبيل راحة أوفر ، لا معنى له ، لأنهم جميعاً محمولون لا محالة إلى نهاية واحدة . فأما المركبة فهى القومية ، وأما النهاية فهى النظام الجامع .

الطريق إلى الفاشية

دفعت الحوادث فى العقود الماضية ، بما تمخضت عنه وأدت إليه مما لا حيلة فيه ، بكل الدول الصناعية من رأسمالية وشيوعية إلى نظام الدولة القوميـة التى ليس فوقها سلطة ما . وفى بعض الدول التى كان الضغط فيها أعظم ، أدى الأمر إلى الرفض العلنى للمبادئ الديمقراطية ، وإلى إقامة مذهب جديد هو الفاشية، التى أعلنت أن الدولة هى الغاية القصوى السامية للجماعة الإنسانيـة .

وقد انتشرت هـذه الحركة الفاشيـة الجديدة المناقضة لجميع المبادئ الأساسـية لصريح الأديان وللاشتراكية والديمقراطية ، انتشار النار فى الهشيم اليابس حول الكرة الأرضية كلها .

فما معنى الفاشية ؟

لا نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال إلا إذا تحررنا من الأهواء ، فلن نبلغ شيئاً إذا كنا نسمى من يشك فى حكمة السياسات الرأسمالية شـيوعياً ، أو بأن نسمى من يجترئ على أن يقول إن روسيا السوفيتية ليست بجنة عدن ، فاشـياً . وينبغى أن نكف عن الاعتقاد بأن الفاشية أداة سياسية فى أيدى عصابة صغيرة تشتهى السلطة .

وتوجد فى الفاشية عناصر من كل من الرأسمالية والاشتراكية ، ولكنها تبقى مع ذلك أقرب إلى أن تكون فكرة صوفية ، ولا يزال خير تعريف للفاشـية هو المقال الذى كتبه بنيتو موسولينى عنها فى دائرة المعارف الإيطالية .

والفاشـية رد فعل لتطورات القرنين الأخيرين . فقد حير الإنسان وخيب أمله عدم الاطمئنان وإفلاس الفردية الديمقراطية

فى عصر تنازع بين القوميات . وقد أحاط موسولينى فكرة الفاشية بالصوفية ، ليغرى الإنسان بنبذ الفردية وتقبل الخضوع التام للدولة فى مقابلة الأمن والاطمئنان .

وكتب يقول : « يرى الفاشى أن كل شىء يوجد فى الدولة، وأنه ما من شىء إنسانى أو روحى أو أى شىء له قيمة ، يوجد خارج الدولة ، فالفاشية بهذا المعنى : جامعة . . والدولة ، فى الواقع ، هى الموجدة للحق باعتبارها الإرادة الأدبية الشاملة . . . » .

وهذه الأقوال تبين بجلاء أن الفاشية ليست فكرة اقتصادية ، وأنها فى جوهرها مبدأ اجتماعى سياسى ، وغايتها التنظيم التام للحياة الفردية ، والهبوط بالفرد إلى الرق .

فيما بين عامى ١٩١٧ و ١٩٤٢ لم يحدث أن دولة واحدة رأسمالية ديمقراطية تحولت إلى شيوعية ، ولكن نحو عشرين منها انقلبت فاشية . ثم أن روسيا التى أقامت الشيوعية من طريق الثورة ، لم تكن قط دولة رأسمالية ديمقراطية وإنما كانت دائماً زراعية إقطاعية ، وجماعة متأخرة من الشعوب تحكمها أسرة أوتقراطية . ولكن الظاهرة نفسها بدت فى روسيا من اللحظة التى قامت فيها الثورة الشيوعية ، كما بدت فى الدول الرأسمالية ، وحدث نفس الاندفاع الذى لا يقاوم نحو الإدارة البيروقراطية المركزية . ومن الجلى إذن فى الأحوال السائدة الآن أن الشيوعية ماضية فى نفس الاتجاه الذى تمضى إليه الرأسمالية ، أى نحو النظام الجامع .

وقد رأينا فى حياتنا أن كلاً من الرأسمالية والاشتراكية تؤدى إلى تحكم الدولة — أى الفاشية . ولا مفر من أن نستخلص من هذا أن الفاشية لا شأن لها « بنوع » النظام الاقتصادى، رأسماليا كان أو اشتراكيا، وإنما شأنها بجوهره ، وهو التوجيه الصناعى .

إن النزاع الحقيقى فى عصرنا ليس دائراً بين الفردية والكلية ، ولا بين الرأسمالية والشيوعية ، بل بين التوجيه الصناعى والقومية .

ولأى غاية يثور كل هذا الشك ، وتلك البغضاء والحرب بين الاشتراكيين والرأسماليين؟ إن الحقيقة هى أن كليهما ينقلب فاشيا آخذاً بالنظام الجامع . وقد آن أن ندرك هذا ، وأن نسرع فى الجهاد المشترك فى سبيل الحرية الإنسانية والخير الإنسانى، ضد العدو الحقيقى المشترك وهو الدولة القومية .

قد انخدع المعسكران جميعاً بمنطق الفاشية القائل بأنه لا سبيل إلى الحرية الفردية إلا « بحرية » الدولة ، بل الواقع أن النظرية الفاشية تذهب إلى أن سلطة الدولة هى المقياس الوحيد للسيادة القومية . وهذه النظرية تجعل

حاجات الصناعة الحديثة خاضعة تمام الخضوع لأوامر القومية ذات السلطة العليا.

والناس فى الديمقراطيات يحاولون أن يتبينوا أيهما الخطر : ألشيوعية أم الفاشية ؟ وهم فى هذا يحلمون بحرية تقرير لا يملكونها ، إذ لا اختيار هناك . ونحن الآن متجهون رأساً إلى الفاشية ، وقد بلغناها إلى حد كبير ، وحتى لو نجحت ثورة شيوعية هنا أو هناك ، فإن هذا لا يغير شيئا من الاتجاه إلى النظام الجامع . وأخلق بالبلاد الشيوعية إذا زاد عددها أن تنضم بسرعة إلى الحشد الذى تقوده الدولة القومية .

فلا الرأسمالية الفردية ، ولا الاشتراكية الجامعة ، تستطيع أن تعمل داخل كيان الدولة القومية ، فإن كلتيهما تخلق الفاشية فى ظروف معينة خاصة ، ظروف تتحكم فيها وتهيؤها القومية . ولا قيمة لأيهما نختار ، لأنه إذا كانت الدولة « قومية » ، فإنها تصير لا محالة فاشية .

تشويه الدين

بلغت عبادة الدولة القومية ذروتها فى البلاد الفاشية ، ولكن تشويه الدين وتسخيره للغايات القومية لوحظا فى كل أمة .

إن العنصر المقدس والمهذب فى المسيحية هو أنها عالمية — وأن مبدأها أن الناس خلقوا متساوين أمام الله ، وهم يعنون لإله واحد قانونه واحد يسرى على الناس جميعا .

ولقد كانت هذه فكرة ثورية فى التاريخ البشرى ، ولكن ظهور الدولة القومية منع هذه الفكرة أن يكون لها أثر مهذب .

ففى اللحظة التى بدأت فيها الأمم الحديثة تتبلور ، بدأ الشعور القومى فى العالم الغربى يتغلب على الشعور المسيحى . وكانت الكنيسة منقسمة ، فازدادت انقساما إلى مذاهب أخرى يؤيد كل منها المثل الأعلى الناشىء للأمة . وصار من المعترف به فى كل بلد أن السياسة القومية سياسة مسيحية ، وتحولت الكنائس المسيحية إلى هيئات قومية تؤيد الغرائز القبلية للروح القومية .

ففى آلاف من الكنائس يسأل الله القسس الكاثوليك والوعاظ البروتستانت المجد لمواطنيهم والوبال لغيرهم ، وإن كان هذا يناقض مناقضة شديدة أسمى المثل العليا الدينية التى أوتيها الإنسان .

إن المبدأ الأخلاقى الكونى لا يكون كونيا ولا أخلاقيا إذا كان لا يصح إلا داخل جماعات منفصلة من الناس ، فـ « لا تقتل » لا يمكن أن يكون معناها أن من الإجرام أن تقتل رجلا من مواطنيك ، ولكن من الفضيلة أن تقتل رجلا يعد مواطنا فى دولة أخرى .

ومثل هـذا التطور يلاحظ فى جميع أديان التوحيد الثلاثة ، فالوحدة التى احتفظ بها القرآن قرونا بين الشعوب الإسلامية المختلفة الأصول ، قد ذهبت وصار الشعب الإسلامى قوميات شتى ، فدعاة الجامعة التركية يرمون إلى توحيد فروع معينة من الجنس التركى ، ودعاة الجامعة العربية يشيرون باتحاد الشعوب العربيـة ، ويقول المسلمون فى الهند : « إننا هنود أولا ومسلمون بعـد ذلك » ، وقد نسى الجميع الصبغة العالمية التى كانت أساس دين الإسلام العظيم .

والأمر لا يقتصر على المسيحية والإسلام ، فإن أقدم الموحدين ، وهم اليهود ، قد نسوا التعاليم الأساسية لدينهم ، وهى أنه عالمى ، ويبـدو أنهم عادوا لا يتذكرون أن الله الواحد الأحد تعالى ، قد اختارهم لينشروا دعوة التوحيد بين أهل العالم . فهم يبغون أن يعبدوا بعواطف مشبوبة ، إلههم القومى الخاص ، وأن تكون لهم دولتهم القومية . وما من اضطهاد أو عذاب مهما بلغ من أمره ، يمكن أن يسوغ نبذ هذه الرسالة العالمية من أجل القومية — وهى اسم آخر للقبلية التى هى أصل مصائبهم جميعا .

وإنه لعلى أعظم جانب من الخطر لمستقبل الإنسانية أن تدرك مبلغ التشويه الذى أصاب عقيدة التوحيد العالمية ، فما كان من الممكن قط بدون تأثيرها ، أن تقوم الحرية الإنسانية فى الجماعة — الديمقراطية — ولا أن تبقى . وما من سبيل إلى إنقاذ الجماعة الإنسانية إلا بالعالمية . فإذا لم تعد الكنائس المسيحية إلى مبدئهـا المركزى ، ولم تجعله مبدأها المركزى فيما تعمل ، فإنها ستزول أمام عقيدة جديدة عالمية لابد أن تبرز من بين الخراب والآلام التى يسببها تهافت القوميـة الآتى لا محالة .

وما استطاعت سوى وسيلة واحدة فى تاريخ الإنسان المعروف كله ، أن تنجح فى إيجاد نظام اجتماعى يكفل للإنسان الأمن من القتل والسرقة وغيرها من الجرائم ، ويضمن له حرية التفكير والقول والعبادة . هذه الوسيلة هى القانون .

وما تيسرت العلاقات الاجتماعية المنظمة بالقانون — وهى السلام — إلا فى نطاق وحدات اجتماعية ذات مصدر مفرد للقانون ، بغض النظر عن حجم هـذه الوحدات الاجتماعية أو أرضها أو سكانها أو جنسها أو دينها . ولم يكن هذا قط ميسوراً فيما بين وحدات اجتماعية كهذه ذات سيادة منفصلة ، حتى ولو كان أقوامهـا من جنس واحد ، ودين واحد ، ولغة واحدة ، وثقافة واحدة ، ودرجة واحدة من الحضارة . فإن النزاع والحروب بين الوحدات الاجتماعية لامهرب

منها كلما احتكت طوائف من الناس متعادلة في الاستقلال والسيادة .

فالنتيجة إذن واضحة . وهي أن مسألة السلم في زمانـــا رهن بإقامة نظام قانوني يستعلي على الدول القومية . وهذا يستدعي تحويل جانب من سلطات السيادة في الدول القوميـــة الموجودة إلى هيئات عالمية ، أو بعبارة أخرى إقامة حكومة عالمية قادرة على إيجاد قانون عالمي للشئون العالمية .

إن عهد الحروب بين الأمم سينتهي ، كما ينتهي كل ما هو إنساني ، وقد ينتهي على الأرجح في خلال هذا القرن ، بإقامة قانون عالمي لتنظيم العلاقات الإنسانيـة . وسيتقرر هـذا القانون العالمي بالوسـائل الرشيدة أو بالعنف أو بالفتح .

وللمرة الأولى في تاريخ البشرية أصبح في وسع دولة واحدة أن تفتح العالم وتحكمه، وقد كاد هتلر يفعل ذلك . ومثل هـذا التوحيد للعالم بالفتح، يبدو من الوجهة السياسية احتمالا ممكناً ، إذا لم يوجد نظام قانوني يرضي الرغبة الغريزية للشعوب في الأمن .

وإذا آثرنا الصراحة قلنا إن أزمة القرن العشرين ، هي أن هذا الـكوكب يجب أن يكون تحت إشراف موحد بالقـانون . ومهمتنا وواجبنا أن نسعى لإيجاد هـذا الإشراف الموحد بوسيلة ديمقراطية بأن نعلن أولا مبادئها ، وبأن نحقق الغاية بالإقناع ، وبأقل ما يمكن من إراقة الدماء . فإذا أخفقنا في تحقيق هذه الغاية ، فإنه يجب أن نـكون على يقين من أن سنة التاريخ التي لا تتبدل ستكرهنا على شن حروب أخرى عديدة ، بأسلحة أقوى ، على جماعات أعظم قوة ، إلى أن ينتهي آخر الأمر الوصول إلى الإشراف الموحد عن طريق الفتح .



[ستظهر خلاصة الجزء الثاني من كتاب إمري ريفز « قضية السلام » — وهو يعالج المسائل الأساسـية للسيادة ، وعقم الدبلوماسـية ، والحاجة إلى حكومة عالمية تقوم على القانون بدلا من المعاهدات — في عدد مارس ١٩٤٦ من المختار .

إن الـكفاح في سبيل السلام هو المهمة التالية العظمى للمدنية . والخلاصة الآتيـة هي عبارة عن تحليل عميق جلي للمسألة . ويتوقع محررو المختـار أن تـكون خلاصة هـذا الـكتاب أعظم ما تدور عليه المناقشة مما نشره المختار في هاتين السنتين] .

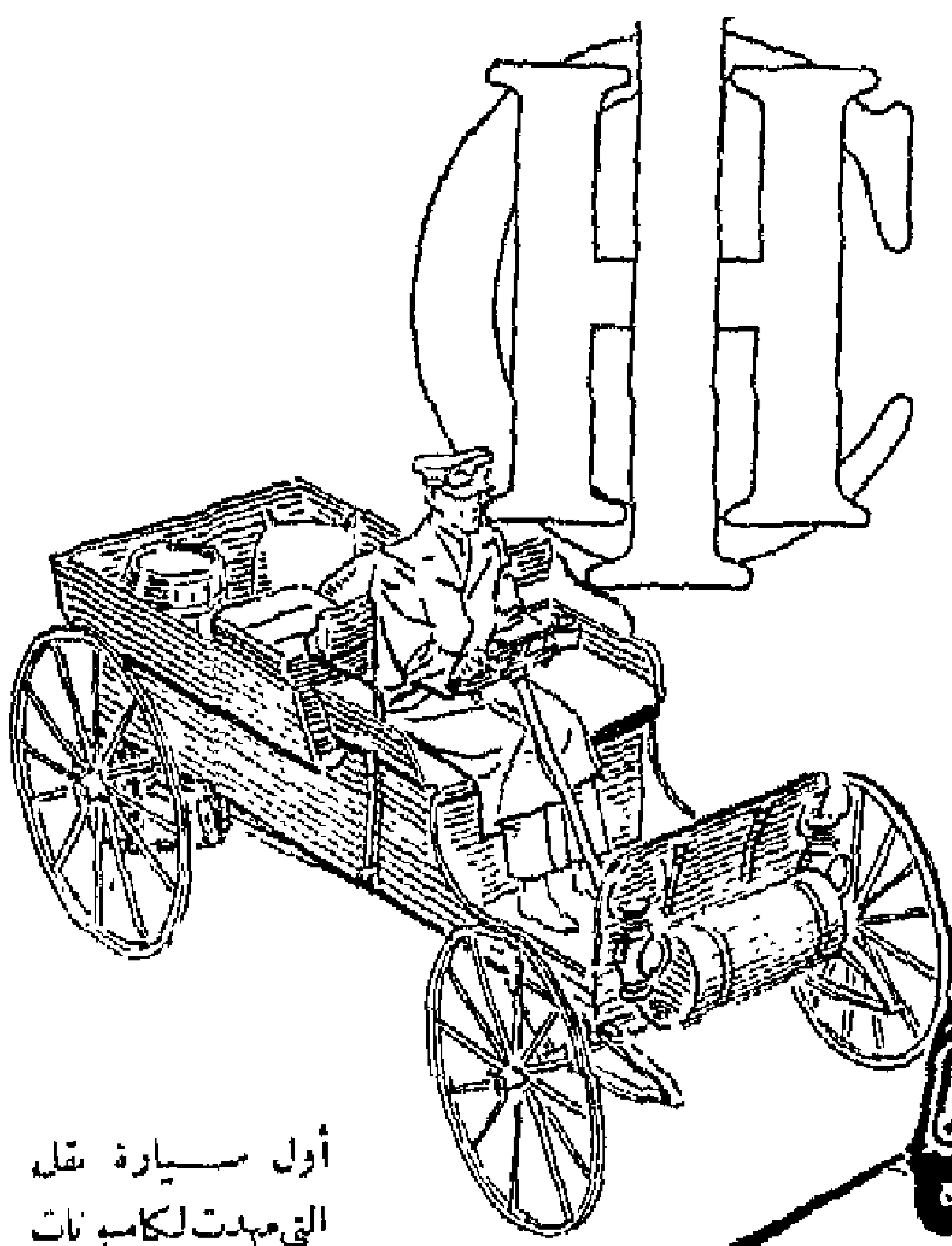
فهرس المختار

المجلد (٥)

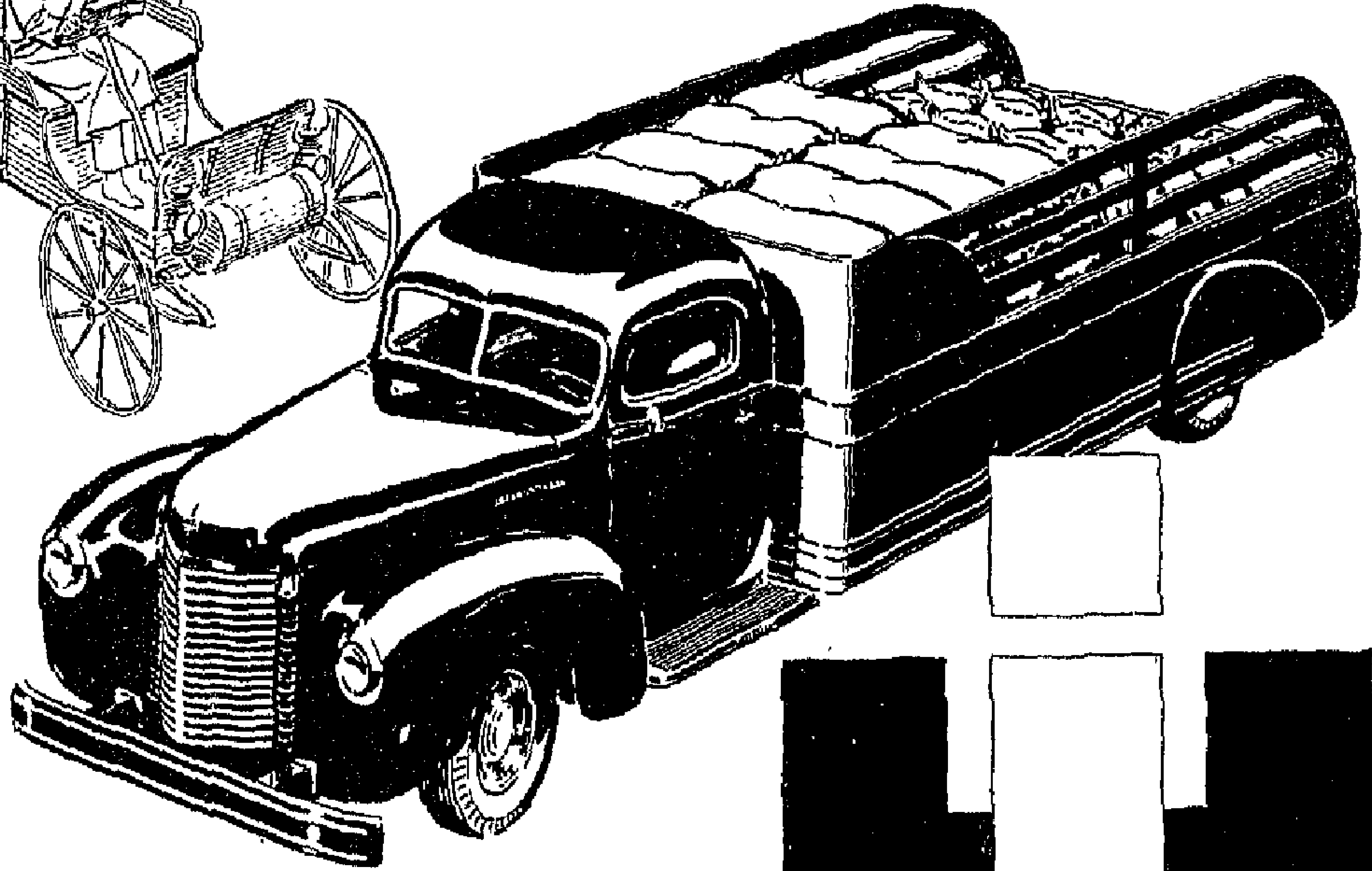
العدد ٢٥-٣٠ | سبتمبر ١٩٤٥ - فبراير ١٩٤٦ | السنة الثالثة



هذه المؤسسة مافتئت تخدم الصناعة والزراعة منذ ١١٠ أعوام . وقد بدأت بإنتاج آلة ماك كورميك الحاصدة وما لبثت منتجاتها أن تزايدت وتنوعت حتى أصبحت اليوم تؤلف مجموعات كاملة من الجرارات وآلات المزارع وآلات القوى الصناعية . وثمة الآن رمز جديد لجميع هذه المنتجات ... وهو رمز الخبرة والخدمة .



أول سيارة نقل التي مهدت لكاميونات إنترنشونال الحديثة



هذا الرمز الجديد دليل إلى منتجات إنترنشونال هارفستر إنه رمز الخبرة والخدمة



مرت سنون عديدة منذ أن اتخذ رمز «IHC» دليلا على كل آلة تنتجها شركة «إنترنشونال هارفستر». ومنذ ذلك الوقت اتسع إنتاج شركة «إنترنشونال هارفستر» وأصبح يشمل مجموعات كاملة من جرارات «إنترنشونال» وآلات القوى الصناعية «إنترنشونال» وجرارات «ماك كورميك ديرنج» ومعدات المزارع «انترنشونال ...» وهذه الآلات تخدم الصناعة والزراعة في جميع نواحيها .

وإن ما تمتاز به منتجات «إنترنشونال هارفستر» من متانة البناء ، وكمال الأداء ، والاقتصاد ، تبرهن عليه الخدمات الفائقة التي تؤديها لمستعمليها في جميع أنحاء العالم . فابحث إذن عن هذا الرمز الجديد حينما تحتاج إلى مثل الآلات التي تنتجها مؤسسة «إنترنشونال هارفستر» إن هذا الرمز عنوان الشهرة المرموقة والتقدير العظيم في العالم أجمع ... كما أنه عنوان على الخدمة الفائقة للصناعة والزراعة .

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building — Chicago 1, U. S. A.

سيارات النقل إنترنشونال – آلات القوى الصناعية إنترنشونال
جرارات ماك كورميك ديرنج ومعدات الزراعة إنترنشونال

INTERNATIONAL HARVESTER

PARKER "51"

پاركر "٥١"

جربه — تعرف لماذا يتمنى كل فرد حيازة قلم پاركر « ٥١ » إن ريشته المغلفة ، الندية دائماً ، تبدأ الكتابة فى التو والحال ، وتنساب انسياباً ناعماً كأن بها أجنحة ! وكلماتك تجف حال ظهورها ! إن قلم « ٥١ » هو وحده الذي يستطيع استعمال حبر پاركر « ٥١ » . —

أسرع أنواع الحبر فى العالم إلى الجفاف

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U. S. A.

كتابة جافة بمداد سائل !

RCA

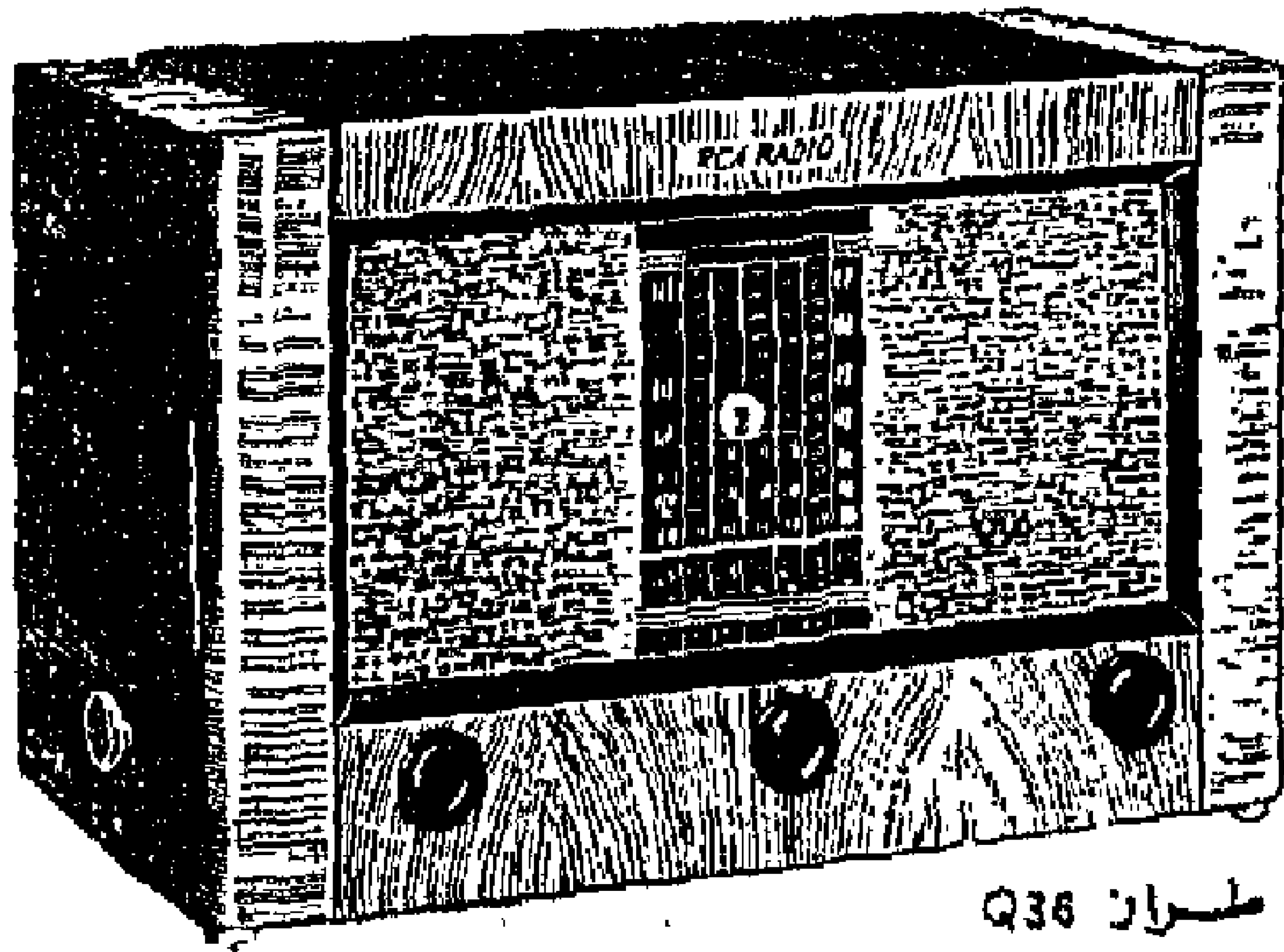
تنجز ما تعهدت به في الحرب

بفضل أجهزة الراديو الجديدة التي أنتجتها للسلم

هذه هي أجهزة الراديو الجديدة RCA التي كنت تترقبها . إنها أجهزة عهد السلام خرجت لساعتها من المصنع ، كل ما فيها جديد حتى الكابينه والاجزاء الإضافية صنعت بعد الحرب

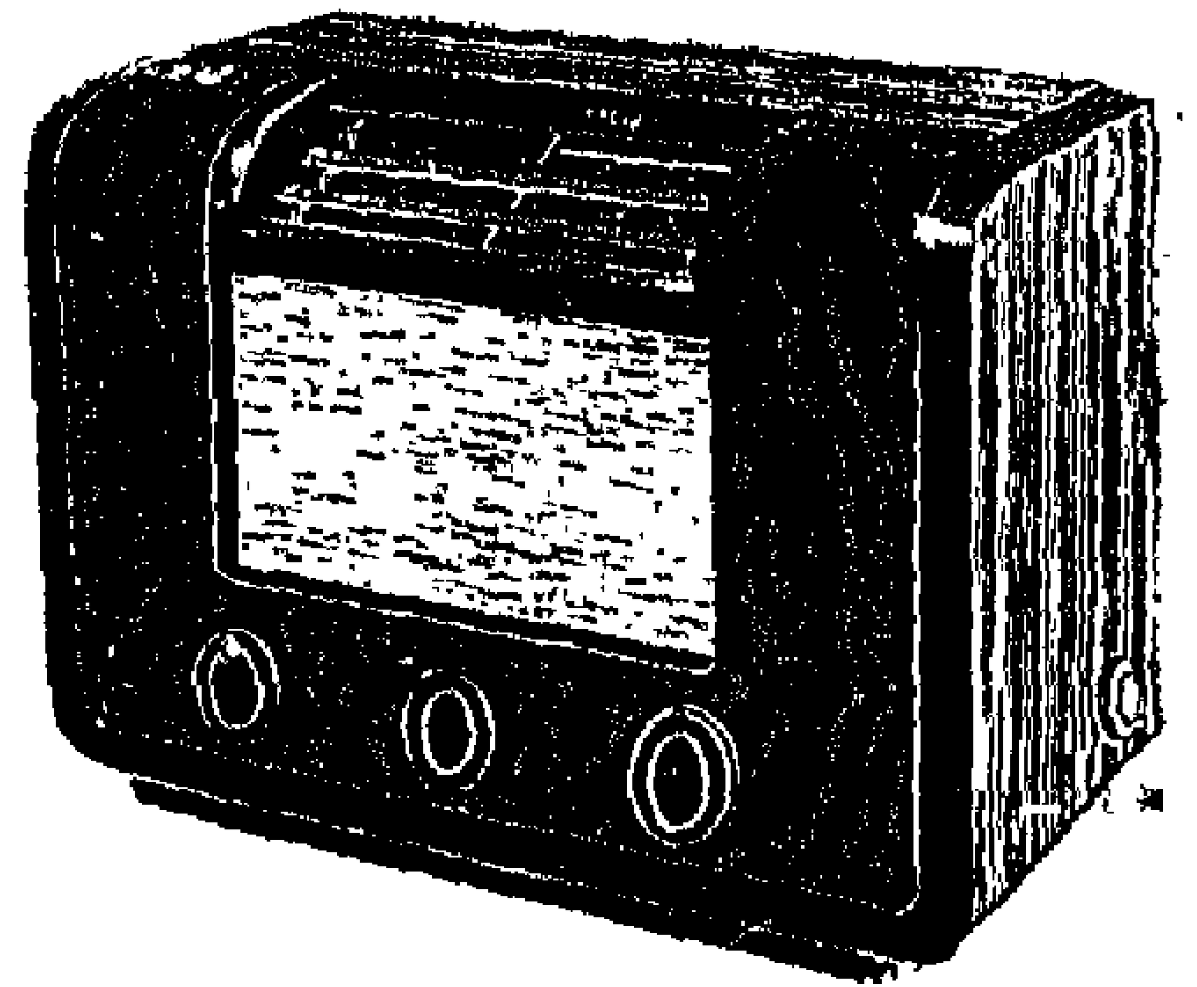
وسيكون من دواعي إعجابك ما تجده في راديو RCA من نغم جميل واداء فاتن ومميزات عديدة لا يمكن لغير RCA أن يقدمها

انتخب ما يعجبك من النماذج العديدة التي تعرضها RCA — ومن بينها أجهزة تعمل على بطاريتين أما السعر فيناسب كل طالب اشترراديو RCA لتظفر بأجود راديو!



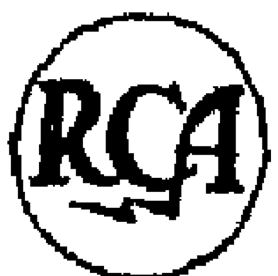
طراز Q36

أحدث طراز — ١١ صماماً . سبع مناطق أمواج للضبط الدقيق ، على أطوال ٣١ ، ٢٥ ، ١٩ ، ١٦ ، ١٣ متراً . قوة إخراج ١٢ وات . وصلة كهربائية لإدارة الاسطوانات . مصنوع بحيث لا تؤثر فيه الأحوال الجوية الإستوائية . عين سحرية اليكترونيه تبين ضبط المحطة المذيعة . صندوق أنيق «فلفيتون» مصنوع من خشب الجوز .



طراز Q B 11

يسير بالبطارية ، وله خمس مناطق أمواج للضبط الدقيق . ووصلة بكوبس كهربائي للاسطوانات . مصنوع بحيث لاتؤثرفيه الأحوال الجوية الاستوائية



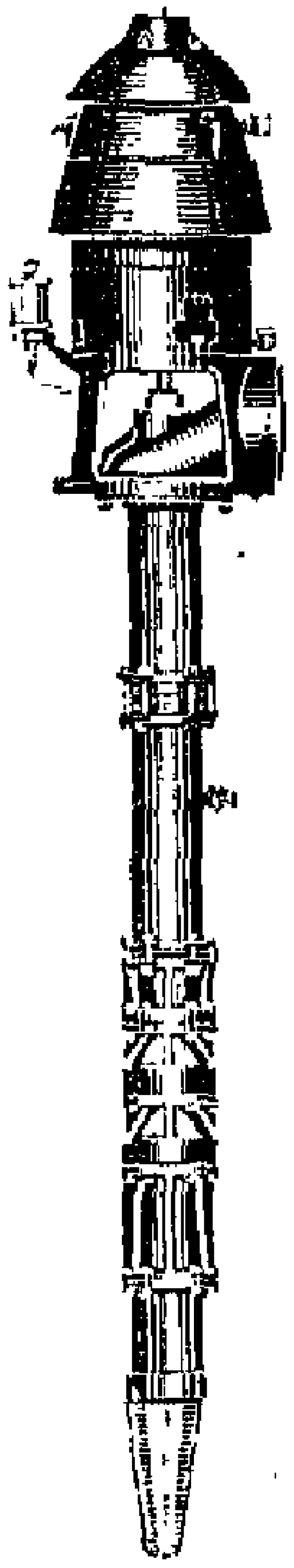
RCA RADIO

RADIO CORPORATION OF AMERICA

مصممة بحيث تحتاج

إلى أقل

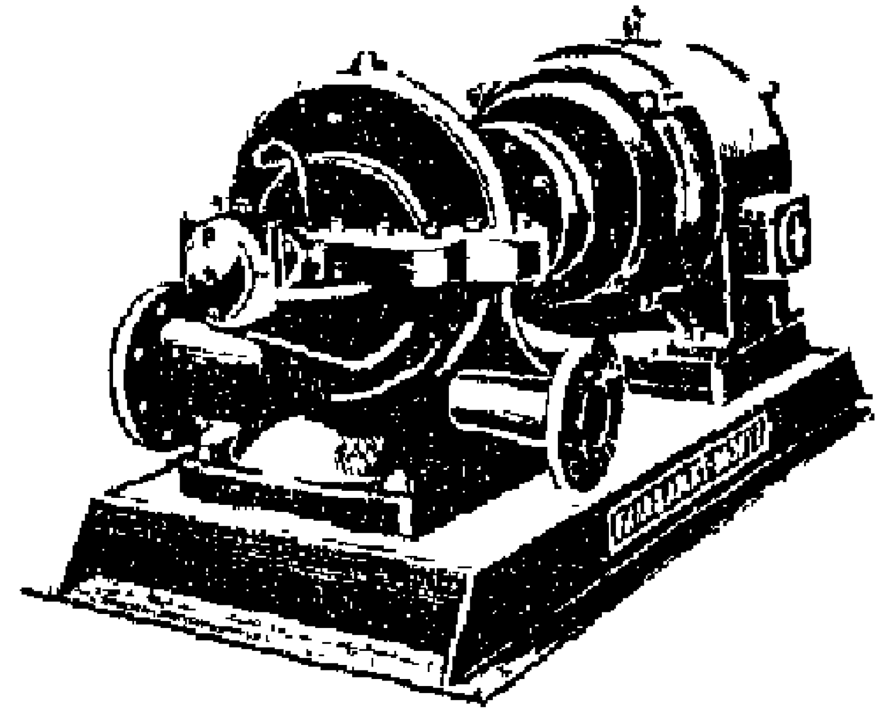
صيانة



ان خبرة ١١٦ عاماً فى مضمار الصناعة قد أتاحت لمؤسسة « فيربانكس - مورس » أن تزود مضخاتها بثلاثة ضمانات هامة لكى تجنب مستعملى هذه المضخات التعرض لكثرة تغيير القطع أو تكاليف الصيانة المرهقة .

مضخات تربين فيربانكس - مورس للآبار العميقة مصنوعة على قوائم مفتوحة أو مغلقة وعلى نوعين : نوع يشحم بالزيت والآخر يشحم بالماء وذلك لتصلح لجميع المطالب التى يقتضيها العمل بالكهرباء أو الديزل أو الجازولين .

حين تصنع كل مضخة نضع نصب أعيننا الأحوال التى ستستخدم فيها . ثم تمر المضخة بسلسلة تجارب لاختبار صلاحيتها قبل تسليمها . وترفق معها تعليمات مفصلة وبيانات كاملة عن طريقة إدارتها واستعمالها .



مضخات فيربانكس — مورس المركزية متاحة فى جميع الأحجام والطاقات لجميع عمليات سحب الماء .

هذه العوامل مجتمعة لا تهيء فقط أقل حد من نفقات الاستهلاك والصيانة بل تتيح أيضاً للمضخة أن تؤدى عملها سنوات طويلة بأقصى حد من القوة .

لكافة الاستعلامات خابر وكيل أو موزع « فيربانكس — مورس » .

شركة شمال شرق أفريقيا التجارية
القاهرة - الاسكندرية

ف . ا . كتانه دمشق
بيروت — طهران

ف . ا . كتانه وشركاه
ليمتد بغداد

چوزيف ج . زورجولد . تل أبيب
(مضخات التربين ذات التشحيم المائى)

م . برجر . تل أبيب
(جميع المنتجات ما عدا مضخات التربين ذات التشحيم المائى)

Fairbanks, Morse & Co., Inc.

تأسس سنة ١٨٣٠



إسم جدير بأن تتذكره

Export Division
80 Broad St. New York 4, U. S. A.

محركات ديزل . محركات كهربائية . مولدات . مضخات . أجهزة مائية . معدات المزارع . مطاحن هوائية . مقاييس . معدات السكك الحديدية .

حيــاة سعيــدة ، مــديــدة

يستعين العلماء اليوم بمعدات « بوش ولومب » البصرية فيهيئون لك حياة أرغد ، وأطول ، وأصح . والأطفال الذين يولدون اليوم يمتازون عن أطفال عام ١٩٠٠ بأن حظهم من فسحة العيش أوفر .

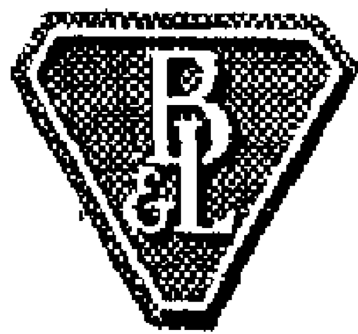
والبكتريولوجيا علم من العلوم التي تقوم عليها حياة الأفراد ، أتاحت ميكروسكوبات « بوش ولومب » الدقيقة لآلاف الكيميائيين فى المعامل اكتشاف أدوية جديدة للتغلب على المرض ووسائل جديدة لوقاية الصحة وثمة أجهزة بصرية أخرى من إنتاج « بوش ولومب » تساعد على تحضير مواد كيميائية جديدة لتأمين الحياة ، وأساليب حديثة لحفظ الطعام .

وسلامة البصر ، لك ولأسرتك ، وقف على إخصائي العيون. وهؤلاء يستخدمون معدات « بوش ولومب » البصرية ونظارات « بوش ولومب » لحماية عينيك الغاليتين .

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

OPTICAL COMPANY



روشستر
الولايات المتحدة الامريكية

تأسست سنة ١٨٥٣

شركة بوش ولومب : تصنع زجاجا للابصار ومجموعة كاملة من أدوات الإبصار للاستعمال فى الحرب والتربية والبحث العلمي والصناعة ولتصحيح بصر العيون وحفظه

تنساب بطلاقة
قوة انسيابية طليقة
وخطوط رشيقة مشيقة
تميز سيارات ستوديبيكر الحديثة

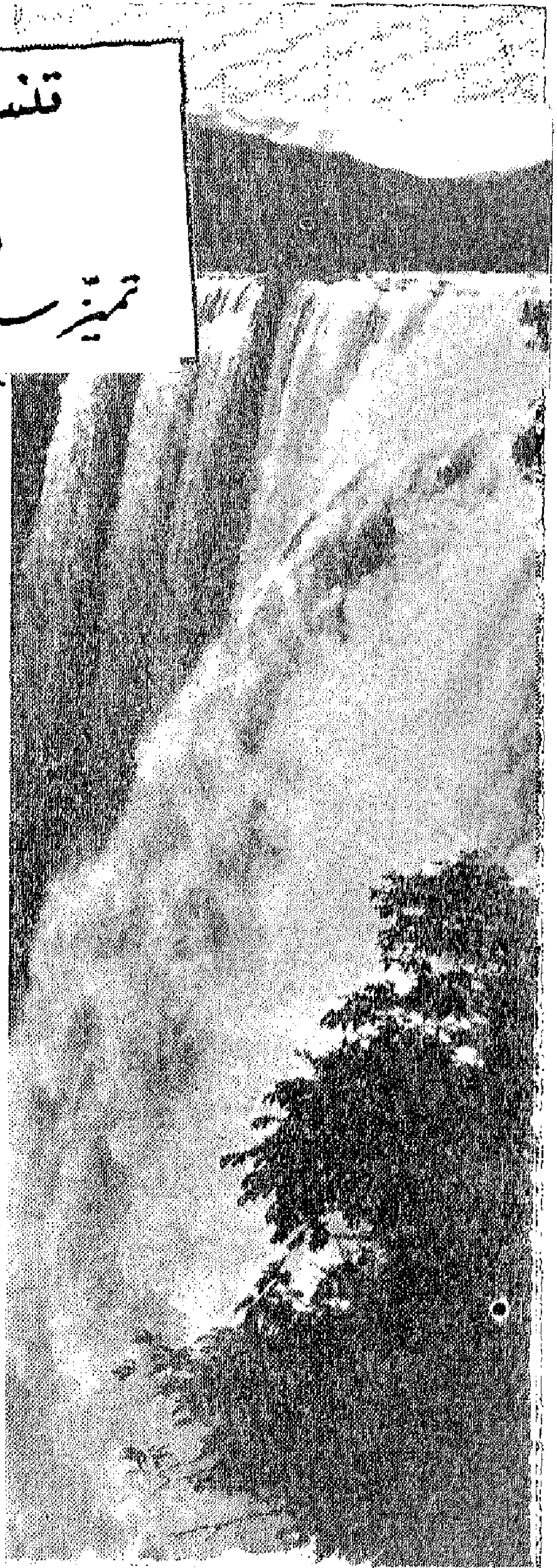
قوة مطردة ثابتة كأنما هى سيل عرمرم يتدفق من فوق جرف هاز . . . هذه هى قوة سيارات « ستوديبكر شامبيون » ذات الأداء الباهر . إنها ميزة لم تعرفها قبل الآن فى سيارة فى مثل سعرها المخفض .

وهذه القوة يتيحها محرك (٦ سلندرات) ينفرد بأحدث تصميم فى عالم السيارات . وهذا المحرك يولد لك من كل صفيحة وقود ، قدرة على قطع مسافات أطول مما تستطيع أن تتصور .

ولن تجد فى الأسواق أو فى أية سيارة فى نطاق هذا السعر المخفض مثل تلك الخطوط الرشيقة وذلك التصميم الانسيابى البديع الذى تجده فى سيارة « ستوديبكر شامبيون » الجديدة الفخمة طراز « سكاى واى » .

إن هذه السيارة الممتازة لجديرة حقاً بالانتظار حتى ولو كانت إجراءات الشحن قد تؤخر وصولها قليلا إلى بعض الجهات . إلا أن هذه الظروف خارجة عن إرادة « ستوديبكر » التى تبذل كل وسع لاستعجال تصدير سياراتها .

وتذكر ، أن سيارات النقل (الكاميونات) التى تضم جميع مميزات « ستوديبكر » الرفيعة هى أيضا فى طريقها إليك

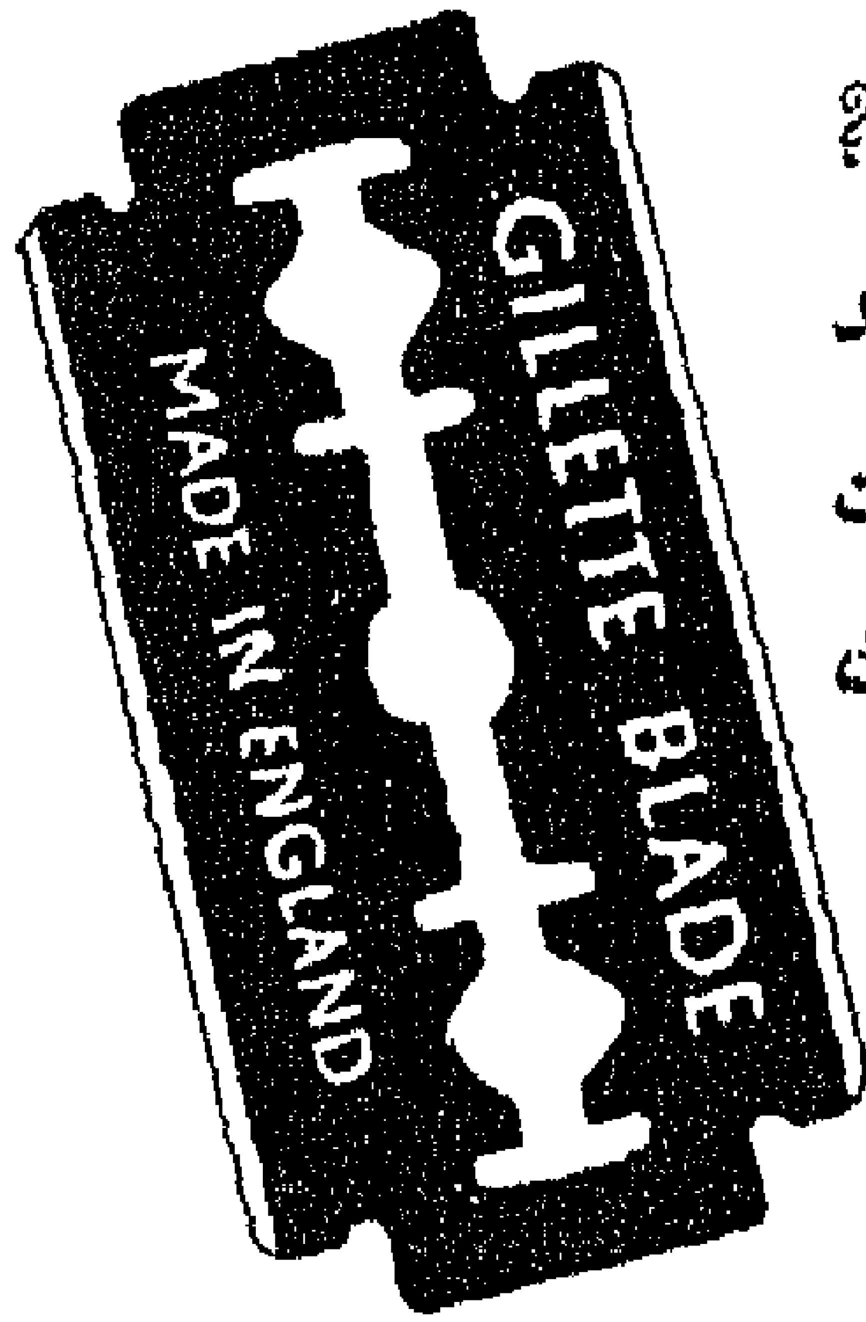


THE STUDEBAKER EXPORT CORPORATION

South Bend, Ind, U.S.A. - Cables: Studebaker

Studebaker

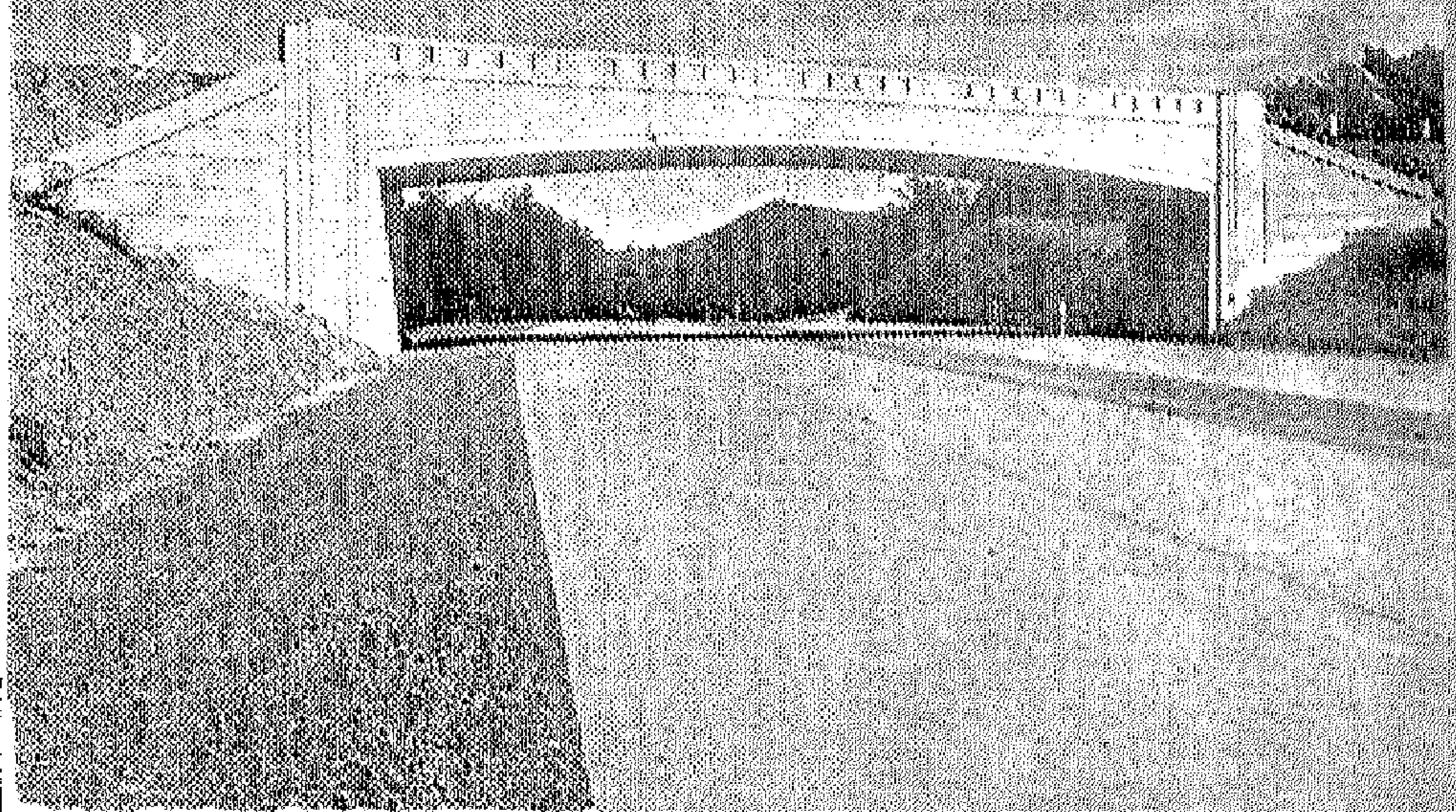
مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل



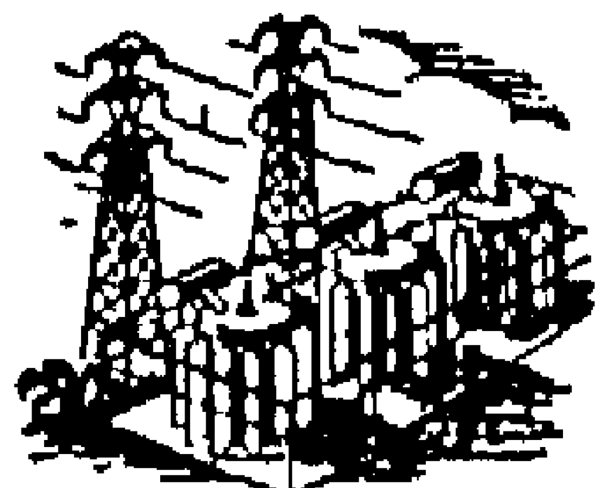
لماذا يفضل ملايين الرجال استعمال شفرات جيليت على غيرها ؟
لأنها تعطى أسرع وأنعم وأتم حلاقة فى العالم وقد تجسد
في بعض الأحيان صعوبة فى الحصول على شفرات جيليت
لأن إنتاجها لا يزال محدوداً فابحث عنها لأنها جديرة بذلك

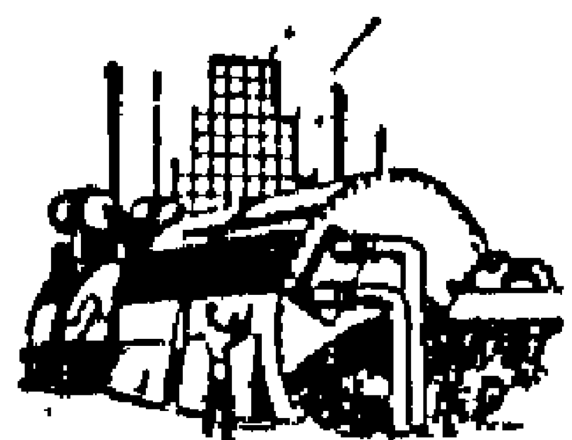
شفرات
جيليت

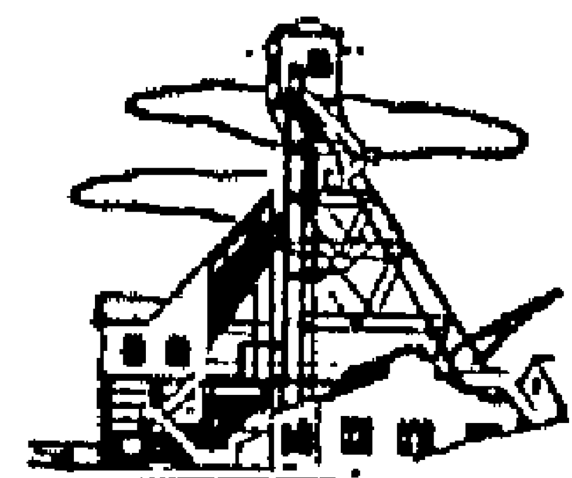




أكثر من ١٦٠٠ من المنتجات للصناعة


معدات كهربائية


توربينات مائية وبخارية


آلات للاسمنت والتعدين


مضخات


آلات لطحن الدقيق

إن الطرق الجيدة تفتح آفاقاً جديدة . . . فهى تتيح للنقل سرعة أكبر وتكاليف أقل . . . وهى تختصر المسافات بين المزارع والمدن . . . وتحمل ضرورات الحياة إلى أكبر عدد من الناس .

وهى تهيئ عملاً أيسر وعيشاً أرغد لكل فرد

وإحدى المهام الصناعية الضخمة التى تضطلع بها مؤسسة « أليس شالمرز » هى تهيئة إنتاج المواد اللازمة لبناء الطرق الصالحة . فمن مخازننا الهائلة تأتيك أكبر مجموعة من آلات تحضير الأسمنت فى العالم — وهى عبارة عن عدد لا حصر له من آلات نسف الصخور والمناخل والأفران والمطاحن . ولقد ساهمنا فى بناء آلاف الجسور والبرابخ المسلحة كما عبّدنا آلاف الأميال من الطرق !

ذلك أن مؤسسة « أليس شالمرز » لها باع طويلة فى كل ميدان : الطرق ، والبيوت ، والملابس ، والطعام ! إننا نصنع المحركات وسيور V ، والتربينات المائية — أكبر مجموعة من آلات الصناعة الرئيسية فى العالم — لنهيئ للشعوب إنتاجاً أوفر

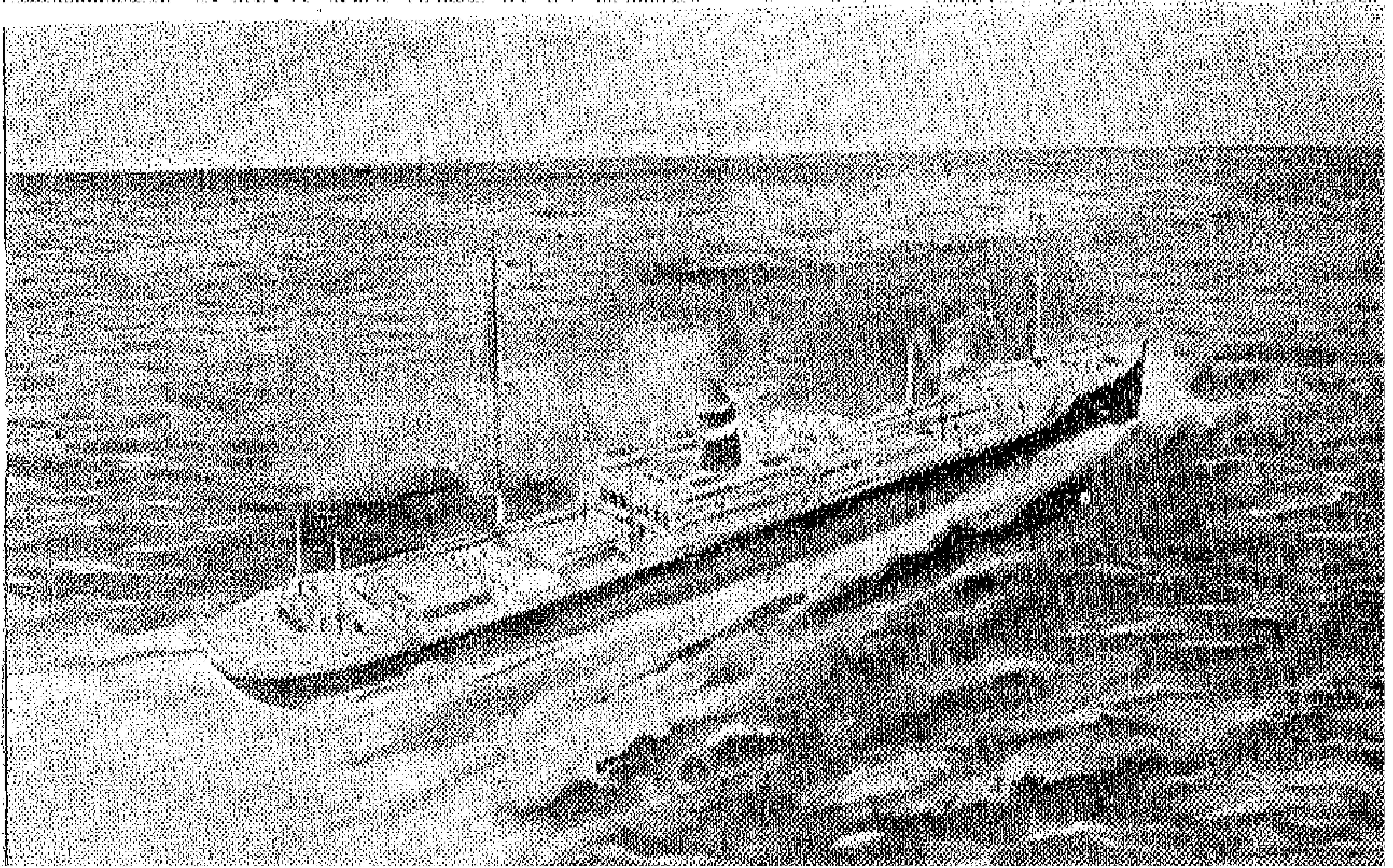
ALLIS  CHALMERS

MILWAUKEE 1, WISCONSIN U.S.A.

الوكلاء فى الشرقين الأدنى والأوسط

القطر المصرى والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش . م . م ، ٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية ، ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة ليمتد ٢٨٢/٩ شارع المستنصر ببغداد — ١٢٤/١٠ شارع الملك فيصل بالبصرة — المملكة العربية السعودية : أمريكان إسترن كوربوريشن ، جده — إيران وأفغانستان : أمريكان إسترن كوربوريشن ، عمارة منصر ناصية شارعى شهريزا وروزفلت ، طهران . وهناك مراسلون لشركة « أليس تشالمرز » فى مختلف البلاد القريبة والبعيدة .

غـذاء أفضـل لعـالم أفضـل



عبر البحار الشاسعة ...

إن طرق العالم مهمتها أن تجمع شمل الأمم وتربطها بعضها ببعض . والآن وقد دبت الحياة من جديد فى الطرق التجارية فستتمكن ملايين الأسر من الحصول على الأصناف الكفيلة بأن تهيئ لها حياة أرغد وعيشاً أهنأ

وشركة سويفت مؤسسة عالمية جرت منذ خمسة وثلاثين عاماً على إنتاج الأطعمة المغذية وتوزيعها ، على الطرق العالمية ، فى جميع أسواق العالم . ومؤسسة سويفت تعنى بحماية طعامها بفضل أرقى الأساليب الفنية وأفضل وسائط الوقاية العلمية . ولذا تجد مستهلكى منتجات سويفت على ثقة من أن هذه المنتجات قد توافرت فى صنعها أدق شروط الصحة والسلامة ... ألوان من الطعام ، قام الدليل على أنها مضمونة الجودة ، عالية القيمة الغذائية .

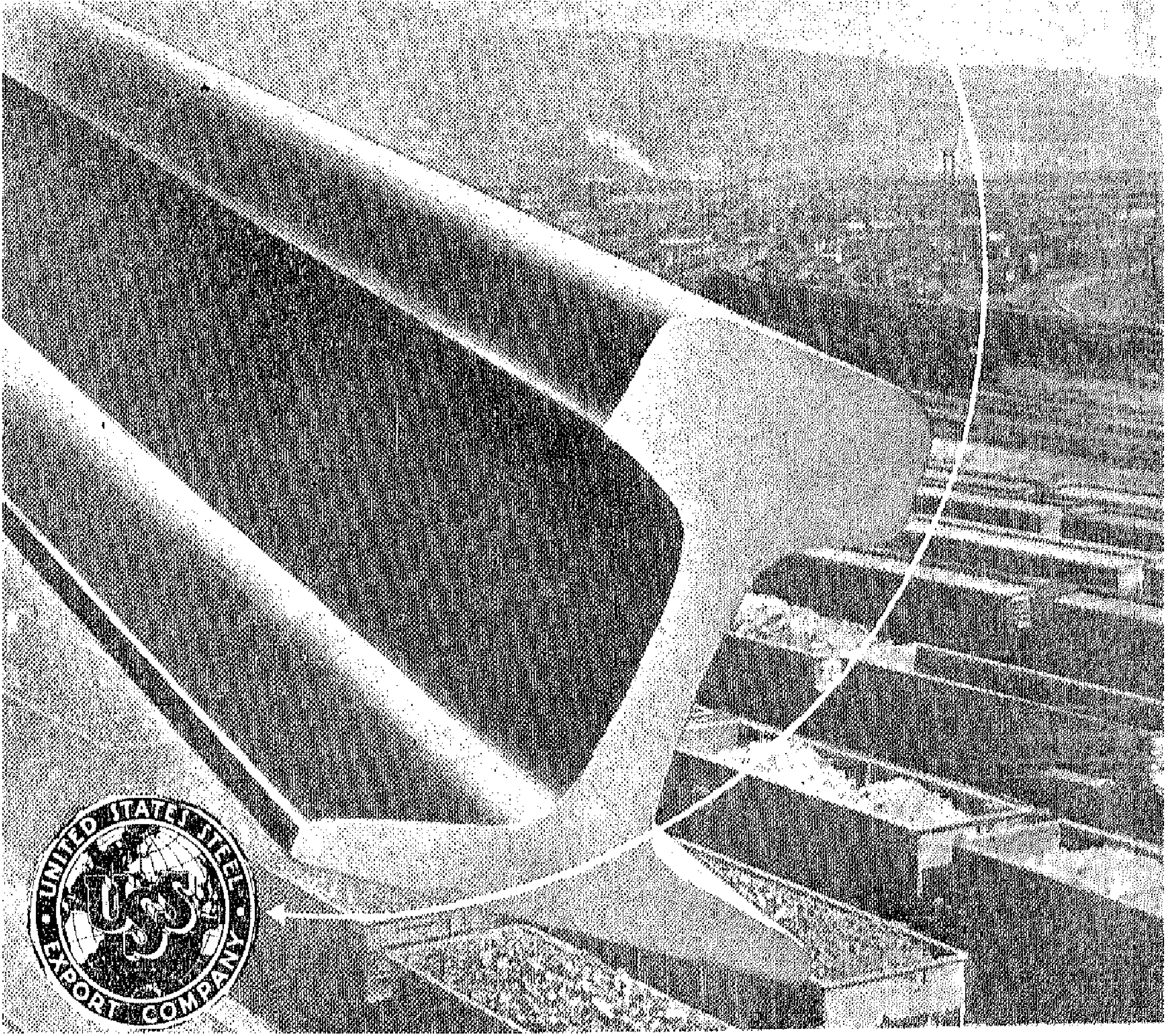
Swift

شركة "سويفت" الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواى توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

INTERNATIONAL SWIFT COMPANY

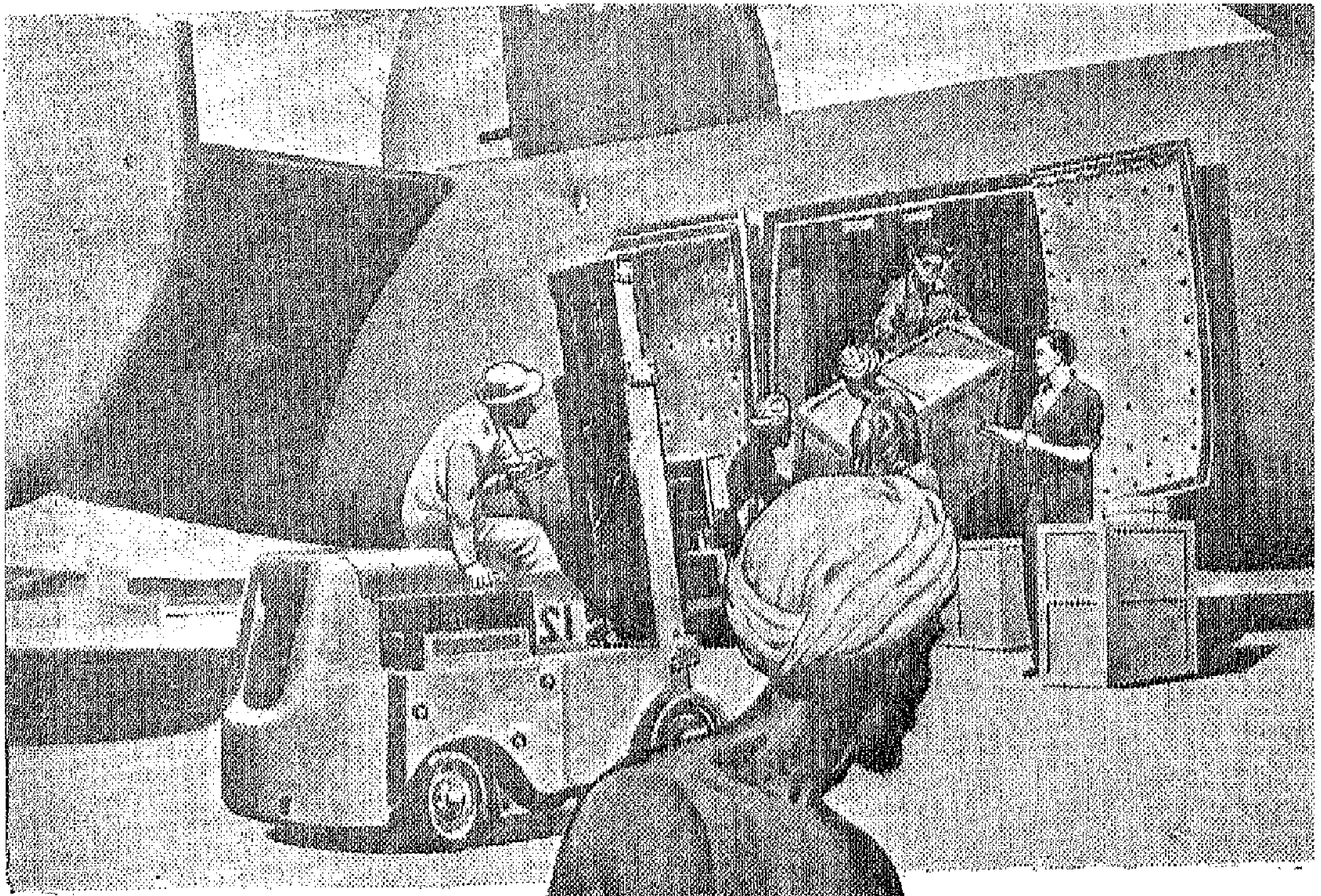
Av Corrientes 389, Buenos Aires. Rep. Argentina



صلب لعالم الغد

إن النقل بالسكك الحديدية مقبل اليوم على عهد جديد فى السرعة والضمان والأمان . وأغلب هذه التحسينات تحتاج إلى أنواع من الصلب ، جديدة فى تفوّق نوعها ، جديدة فى قوتها — أنواع من الصلب أتاحتها الأبحاث العديدة فى معامل أكبر شركة لإنتاج الصلب فى العالم : شركة « يونيتد ستيتس ستيل » . وسواء سافرت بنفسك أم شحنت سلعك بالسكك الحديدية فستكون فى خدمتك أنواع الصلب "U.S.S" الجديدة المحسنة ، التى تصنع وتوزّع بفضل التسهيلات العالمية التى تملكها شركة « يونيتد ستيتس ستيل »

شركة يونيتد ستيتس ستيل
UNITED STATES STEEL EXPORT COMPANY
★ ★ 30 CHURCH STREET, NEW YORK 8, U. S. A. ★ ★
نحن فى خدمة العالم بأنواع الصلب الممتازة من منتجات أكبر مصانع العالم





الإكسبريس العالمى ... فى ٤ أيام

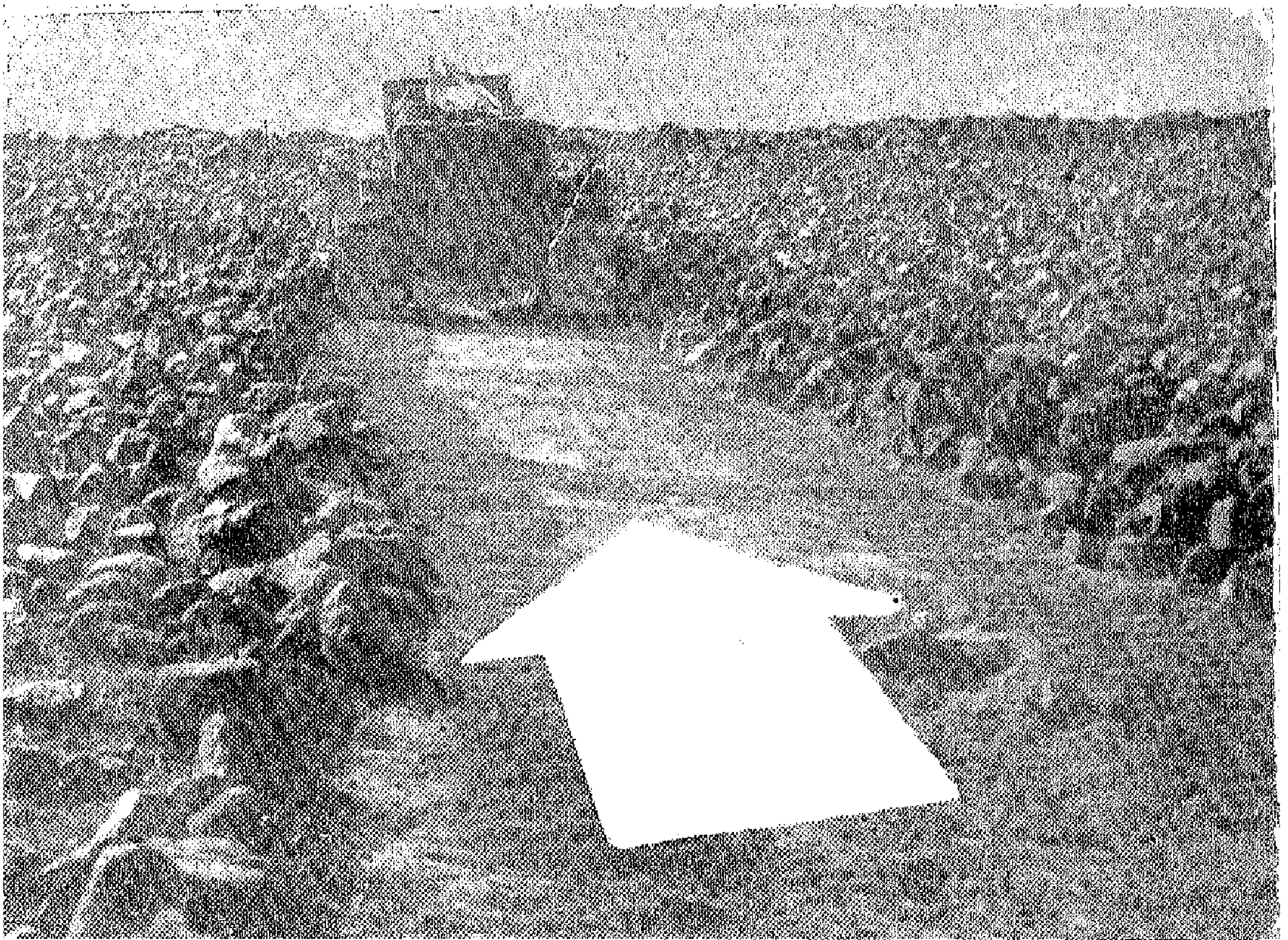
١٤٫٠٠٠ ميل فوق البحار والقارات .. فى أربعة أيام . ويسمون ذلك «الإكسبريس العالمى» . وإن المحافظة على جدول سفر كهذا ، تقتضى أن تستمر محركات الطائرات ، والأجهزة ، والأنوار ، والراديو ، لا يصيبها خلل .

وإنك لتجد إسم « أوتو — ليت » على أسلاك الطائرة ، تسدى فى هذه الخدمة .. وأما فيما سواها، حيث ترى أن لصدق الاعتماد والاستقامة، أسمى منزلة، فإنك تجد «أوتو — ليت» مرادفاً لمولدات الكهرباء ، وأجهزة بدء الحركة ، وشموع الاحتراق ، والبطاريات . معدات كهربائية للآلات المتحركة ، يسلم جميع صناع السيارات وجميع أصحابها بأنها أجود المعدات.

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY

(Export Division) Chrysler Bldg, New York 17, N.Y., U.S.A.

AUTO-LITE أجهزة للقيام والاضاءة والاشعال



الآلة التى تعبّد الطرق بسرعة

إن جرارات « كاتربلر » ديزل القوية قامت بتعبيد أغلب الطرق الحديدة التى كان الحلفاء فى حاجة إليها ، لنقل أسلحتهم وذخائرهم وطعامهم وسائر المؤن والمعدات إلى جبهات القتال فى الحرب العالمية الكبرى

والآن أصبحت آلاف من هذه الآلات المتينة ، الفائقة المقدرة ، متاحة من جديد لخدمة المشاريع الحيوية العظيمة والتقدم فى الأمم المحبة للسلام .

والصورة فوق هذا الكلام تريك كيف أن جرارة واحدة من جرارات « كاتربلر » المزودة بالمسالف التى تسوّى الأرض ، تستطيع أن تشق سبيلها وسط ركام من الحجارة الصلدة الثقيلة فتعبد طريقاً نافعاً وقد أخذت هذه الصورة فى شرق الأردن ، على الطريق الزراعى الذى يصل بين حيفا وبغداد .

CATERPILLAR TRACTOR CO., PEORIA, ILLINOIS, U.S.A.

CATERPILLAR DIESEL

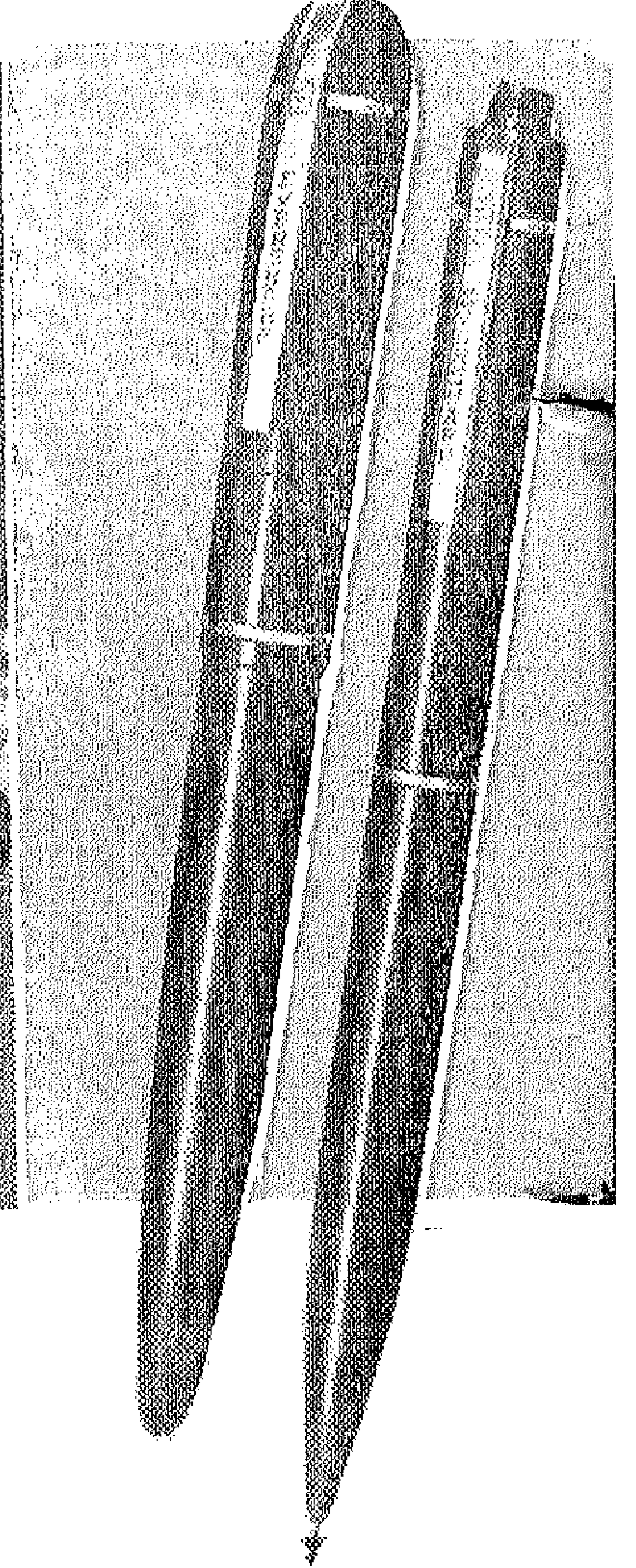
ماركة مسجلة

محركات • جرارات • ممهدات الطرق • معدات جرف التراب

تصوَّر قلماً يستطيع أن يطير!

إنه قلم ايفرشارب الذى يعتز به
طيارو الخطوط العالمية "پان أميريكان"





لا عجب أن يكون قلم ايفرشارب هو الوحيد المفضل عند كل من يمتطى جناح الجو! فخزانه العجيب الفريد يمنع رشح الحبر وتسربه فى الطبقات العليا — وعلى اليابسة أيضاً بالطبع. فلا مضايقة ولا أصابع ملطخة! وفى الطبقات العليا تنضح الأقلام الأخرى ويسيل حبرها — أما قلم ايفرشارب فيستمر فى كتابته — على أكمل وجه!

والخزان السحرى علاوة على ذلك يهيىء اقلم ايفرشارب كتابة عدد أكبر من الكلمات، بسهولة أوفر، وحاجة أقل إلى التعبئة.

أما قلم الرصاص ايفرشارب، ذو الطلقات، المعروف بـ « وزن الريشة » فيكفى ضغط بسيط على زره السحرى ليظهر الرصاص — تماما على طريقة المدفع الرشاش!

ايفرشارب

ضمان مستمر

[illegible] أقلام الحبر ايفرشارب وأقلام الرصاص ايفرشارب مضمونة — ولا يقتصر هذا الضمان على عدد معين من السنين ولا حتى على الحياة بل هو ضمان للأبد.

قدم ايفرشارب ... تكون قدمت أبدع هدية!



شركة الملح والصودا المصرية ليمتد

رأس مالها ١٬٠٥٨٬٧٨٣ جنيه استرليني

مصانع فى

كفر الزيات   محرم بك

وادى النطرون

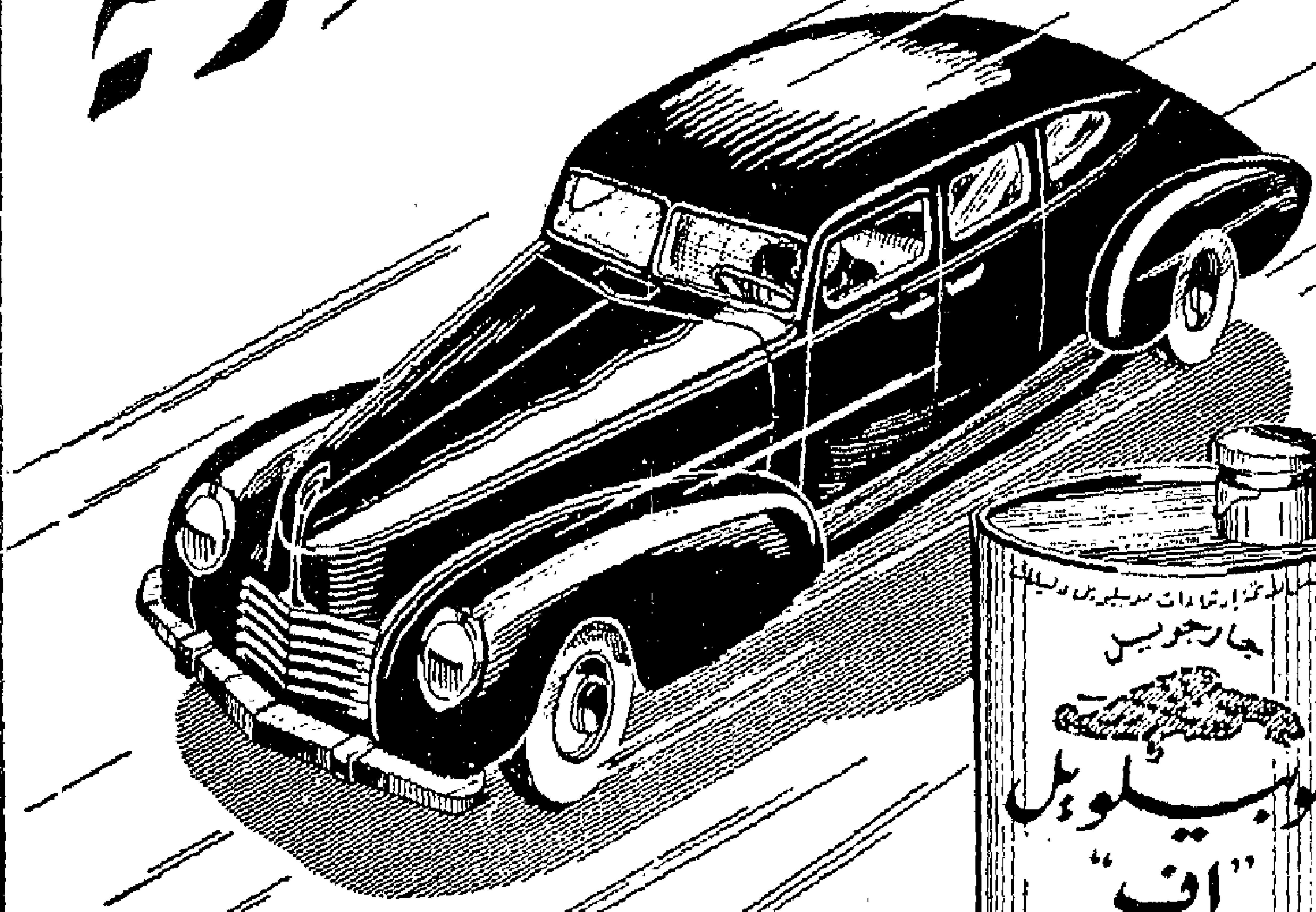
المكس   القبارى

منتجاتها

زيوت . نباتين . صابون منزلى . صابون معطر . صابون حلاقة
أحماض دهنية . شحوم متجمدة . جليسرين صناعى وطبى
كسب . سلكات الصودا . سلفات الصودا . سلفات المانيزيا
بيكربونات . شمع للاضاءة . شمع للارضية . أوعية معدنية
الخ ... الخ ... الخ ..

سير منتظم
وحياة طويلة





سوكوني فاكوم



زيوت موبيلويل
تطيل عمر المحركات

الزمن قد أثبت أن راديو فيليپس
هو أحسن ما يعتمد عليه

إن صفة الاحتمال التي اشتهرت عن راديو «فيليپس» ليست بنت المصادفة . إذ أن كل جهاز من أجهزة راديو «فيليپس» روعى فى تصميمه أن يؤدى خدمته فى أقسى الأحوال الجوية وأشدها تقلباً ... ويكفى أنه من إنتاج مؤسسة لها فى مضمار الكهرباء خبرة نيف وخمسين عاما .

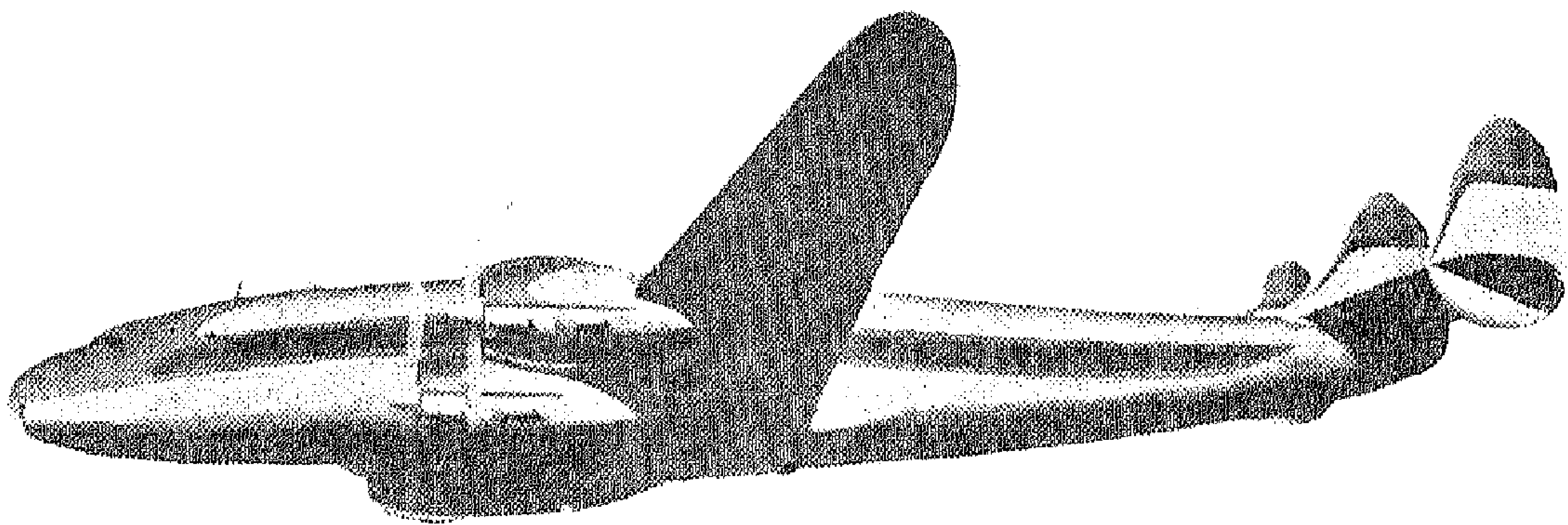
وجميع أجهزة راديو «فيليپس» الجديدة ستكون موسومة بهذا الطابع بالذات : إمكان الاعتماد عليها اعتماداً مطلقاً . وستأتيك هذه الأجهزة الجديدة فى تصميم سباق ، وستكون مشتملة على جميع ابتكارات اللاسلكى الجديدة التى توصل إليها علماء «فيليپس» خلال سنى الحرب .

فكن على صلة دائماً بأقرب وكيل «فيليپس» إليك فهو أول من يظفر بأفضل ما فى عالم الراديو .

قريبا تأتى — أحسن أجهزة

راديو فيليپس



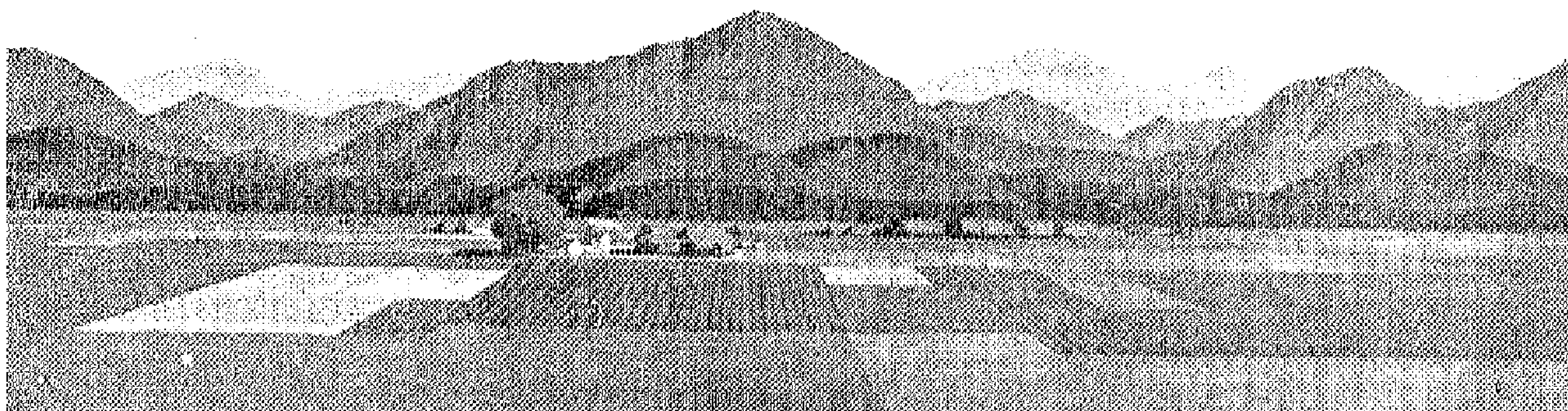


لوكهيد كونستليشن

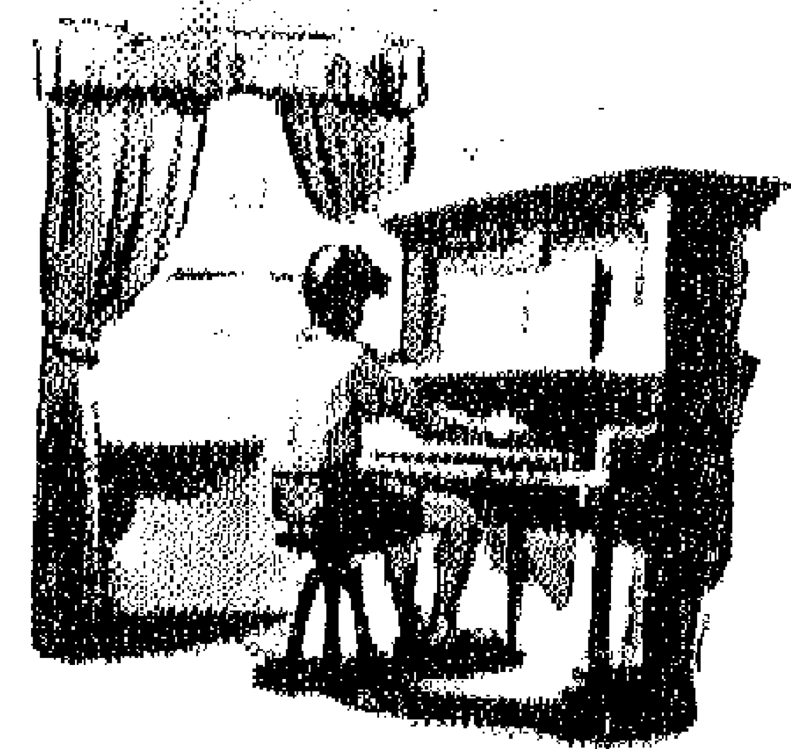
طراز جديد فى عالم النقل الجوى!

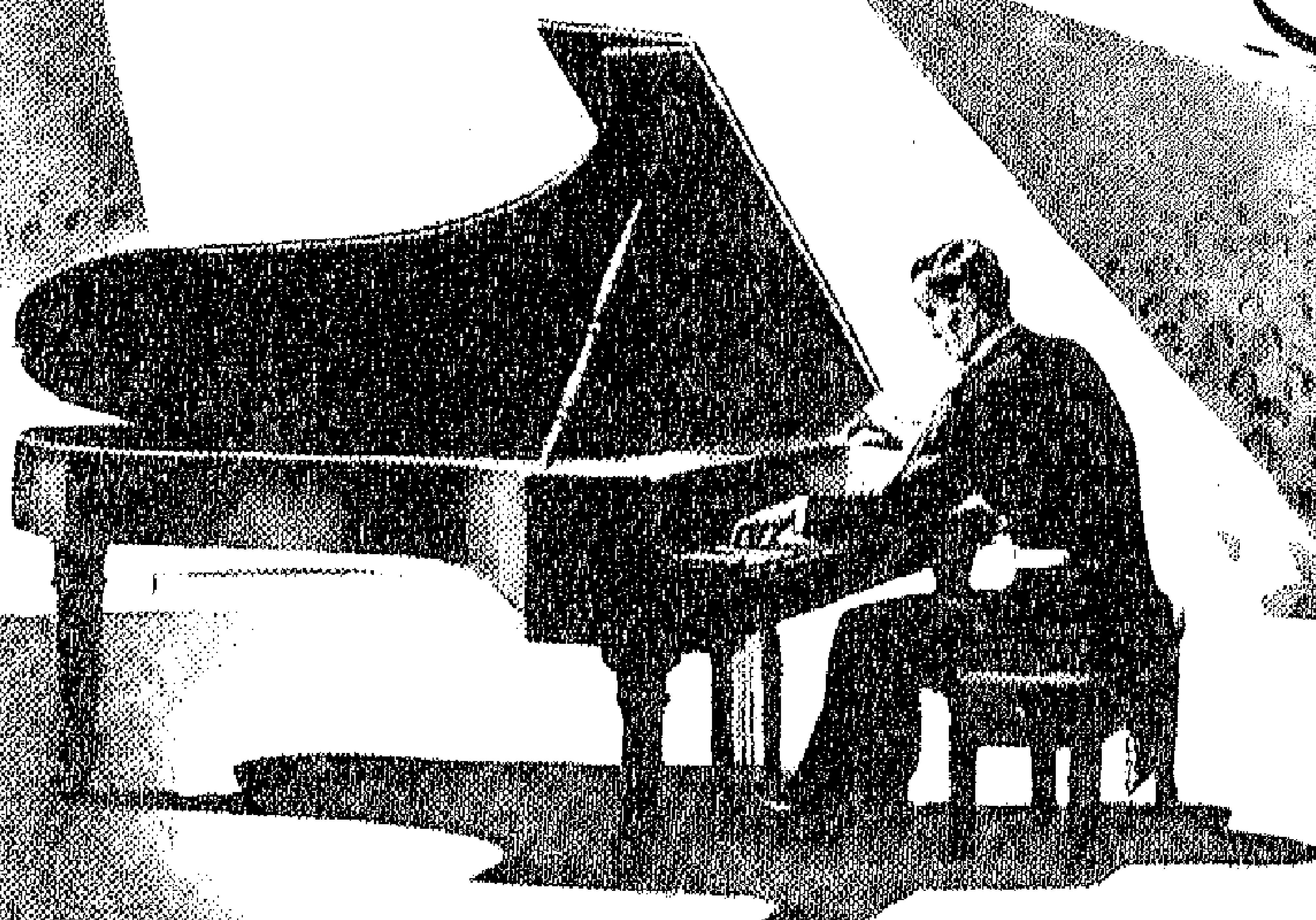
Lockheed Constellation

Lockheed Aircraft Corporation, Burbank, California — *Years ahead in the science of flight*



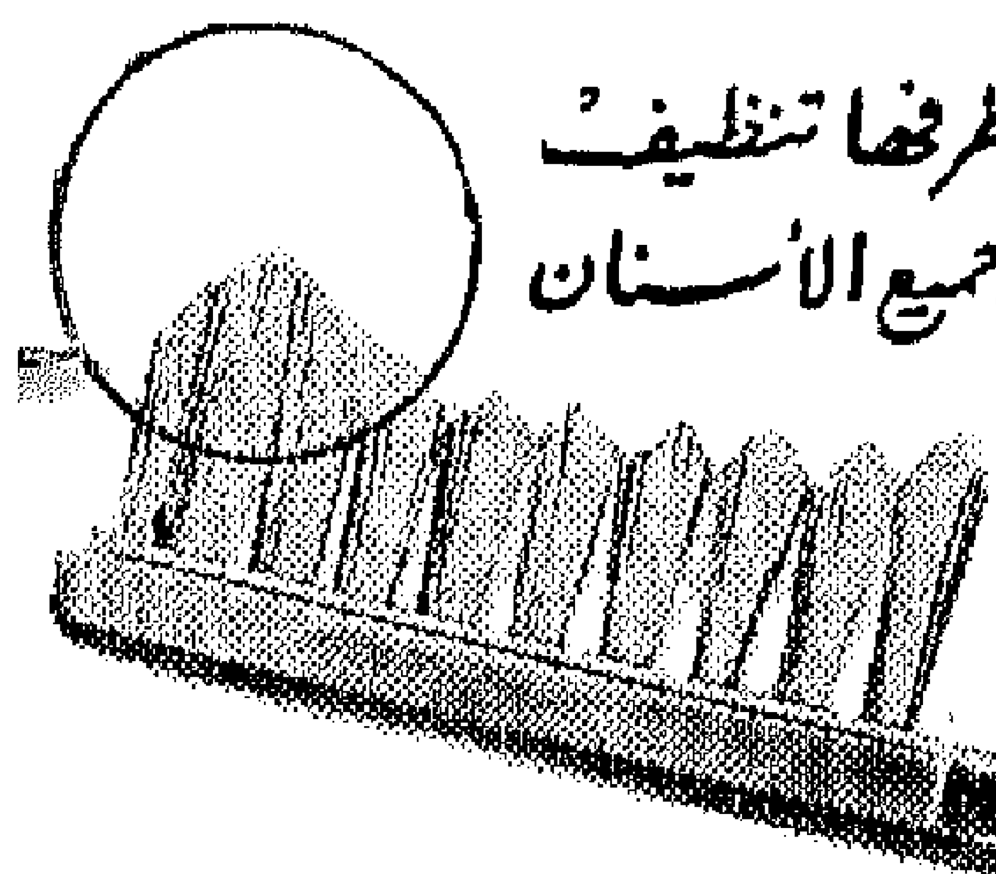
المران سبيل الكمال ...





إن الإنتاج الفنى العالى لا ينال إلا نتيجة للعمل المرهق المتواصل . والمران والنظام والخبرة عوامل لا بد منها للوصول إلى درجة الكمال . وهذا ينطبق على كل إنتاج ممتاز فى أى ميدان من ميادين النشاط .

فمنتجو فرشة الأسنان Pro-phy-lac-tic ظلوا ٥٥ عاما منقطعين لإنتاج فرش الأسنان دون غيرها فأسفر ذلك عن أن اسم Pro-phy-lac-tic أصبح رمزاً للامتياز فى العالم أجمع . وحين تشترى فرشة أسنان Pro-phy-lac-tic تعلم علم اليقين أنك تحصل على أجود ما أخرجته سنون طويلة من الخبرة والمهارة ، وأفضل المواد .



على طرفها تنظيف جميع الأسنان

فرشة أسنان "برو-فى-لاك-تيك"

Pro-phy-lac-tic



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العالم ، مصنوعة بمهارة خاصة نتيجها خبرة مئة عام فى صناعة أرقى مستحضرات الزينة للرجال .

وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة ، حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر محلات الشرق الأوسط .

ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح حلاقة ناعمة دون أن يتهيج الجلد .

أكوا فلفا : أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعد الحلاقة . مبرد ، منعش ، نقى ، زكى الرائحة

كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للرجال الذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية ، الندية ، اقتصادى للغاية بخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة .

The J. B. Williams Co., GLASTONBURY, CONN., U.S.A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ اكثر من ١٠٠ سنة

أوجه إطار
في أوجه الأماكن

إطار چنرال

أجود إطار لأطول مسافة

شركة چنرال تير أند رابر إكسپورت
أكرون ، أوهايو ، الولايات المتحدة
تلغرافيا : چنتيروكو اوكرونوهايو
مصانع في الولايات المتحدة، وكندا ومكسيكو، وفنزويلا، وشيلي، والبرتغال.



he General Tire & Rubber Co.
AKRON, OHIO

[تتمة مقالة الغلاف]

وكل امرئ راجح العقل يشعرُ أنه فى حاجة إلى الفرار من هذه الفوضى التى لا هدف لها ، وإلى أن يحطم أغلالَ تلك العادة المفسدة ؛ وهى قراءة مالا جدوى منه ولا قيمة له . هـذا على أنه يشعر أيضاً أنه فى حاجة إلى معرفة ما يجرى حوله من أحداث الدنيا ، ويحبُّ أن يقف على رأى أهل المعرفة والعقل فى هـذه الأحداث . وهو شديد الظمأ إلى كل شىء مُعَاصِر ، ولـكنه يخشى فى الوقت نفسه ، أن يَطغى عليه طوفان الـكلام ، فيغرق فى أمواجه أفـكاره وآراءه .

فهـذا الرجل وأمثـاله من الناس هُمُ الذين يرحّبون بمجلة « ريدرز دايجست » ويحرصون على قراءتها ، فهى تضرب حول هذا الطوفان سدوداً وتجعل له مصارف حتى توجهه إلى خير غايةٍ . وكأنى بصفحاتها تصفّى كَدَرَ هذا الطوفان ، وتحد من ارتفاعه وطغيانه حتى يصير إلى قَدْر تجد فيه ضالتك من المعرفة، ولا تخشى معه غرقاً ولا ضياعاً . فإذا نظرت وأنصفت ، عرفت أن المحاولة قد بلغت غاية النجاح .

وأنا نفسى مدين بالشكر كل شهر للذين يتولون للناس هـذا العمل النافع .



أخطار القراءة

ألدوس هكسلي

الكاتب والناقد والروائي المشهور، ومؤلف "الوسائل والغايات"

كل شيء تجد النفس فيه لذة ومتاعاً عُرضة للإفراط والإغراق — حتى القراءة. وأنت إذا أفرطت في القراءة انقلبت من فضيلة إلى رذيلة — رذيلة يتفاقم خطرها، لأنك لا تجد أحداً يعُدّها رذيلة. ومع ذلك فالإفراط في القراءة هو الضرب الوحيد من ضروب الإدمان الذي نجا من المذمّة التي يستحقها. وهذه حقيقة عجيبة، وكل امرئ منصفٍ يراقب الناسَ ويراقب نفسه، يتجلّى لَهُ أن الإفراط في القراءة خليق أن يكون مَهلكةً للوقت، ومَضيعةً للنشاط، ومَفسدة للفكر، ومَصرفاً للنظر عن حقائق الحياةِ.

وأعظم قسطٍ من الإفراط في القراءة مبذول في مطالعة الأنباء والأخبار وتفسيرها والتعليق عليها. وأكثر هذه التعليقات سخيف مبتذل، أو مشوب تمليه الأهواء. وإذا أنت نظرت إلى خير القارئ من أيّ الناس كان، رأيت أن معظم هذه الأنباء والأخبار لا جدوى منه ولا قيمة له، فنحن لا نقتصر على أن نفرط في القراءة وحسبُ، بل شرٌّ من ذلك أننا نفرط في قراءة أشياء لا خير فيها.

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية